موسوعة العلامة الأوردبادي

الجزء الثامن

سبيكة النضار

أو شرح حال شيخ الثار

تأليف

العلامة الشيخ محمد علي آل الغروي الأوردبادي

١٣١٢ - ١٣٨٠ هـ

جمع وتحقيق سبط المؤلف

السيد مهدي آل المجدد الشيرازي

بنظر ومتابعة

مركز إحياء التراث

التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

شبكة الفكر
alfeker.net

موسوعة العلامة الأوردبادي

الجزء الثامن

سبائك النضار
أو شرح حال شيخ الثار

تأليف

العلامة الشيخ محمد علي الغروي الأوردبادي قدس سره

١٣١٢ - ١٣٨٠ هـ

جمع وتحقيق سبط المؤلف

السيد مهدي آل المجدد الشيرازي

بنظر ومتابعة

مركز إحياء التراث

التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ شعبة المكتبة

كربلاء المقدسة/ ص.ب (٢٣٣)/ هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ٢٥١

www.alkafeel.net
library@alkafeel.net
tahqiq@alkafeel.net

آل المجدد الشيرازي، محمّدمهدى محمّد جعفر، ١٣٦٠ هـ-

موسوعة العلّامة الأوردبادي = The Scholar Al-Aurdaba'di's Encyclopedia/ جمع وتحقيق السيّد مهدي آل المجدد الشيرازي ؛ بنظر ومتابعة مركز إحياء التّراث التّابع لدار مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة .- الطبعة الأولى.- كربلاء: مكتبة العتبة العباسية المقدّسة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥.

٢٥ مجلد. - (مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة؛ ٣٩ - ٥٩).

يتضمن مصادر وكشافات.

١. الأوردبادي، محمّد علي بن أبي القاسم بن محمّد تقي، ١٣١٢- ١٣٨٠ هـ-- الآثار ٢. الشيعة — تراجم. ٣. دوائر معارف. ٤. الشّعر العربي-- القرن ١٤ هـ. ألف. مركز إحياء التّراث التّابع لدار مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة. ب. العنوان. ج. العنوان: The Scholar Al-Aurdaba'di's Encyclopedia.

BP80. A7 A5 2015

الفهرسة والتصنيف في مكتبة ودار مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية في بغداد لسنة ٢٠١٥م: ٦٢٤.

موسوعة العلّامة الأوردبادي الجزء الثامن

الكتاب: سبيك النّضار او شرحُ حال شيخ الثّار.

المؤلّف: الشيخ محمّد علي الأوردبادي (ت ١٣٨٠ هـ).

المحقق: سبط المؤلّف السيّد مهدي آل المجدد الشّيرازي.

بنظر ومتابعة: مركز إحياء التّراث التّابع لدار مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة.

الناشر: مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة.

المدقق اللغوي: علي حبيب العيداني.

المطبعة: دار الكفيل - العراق - كربلاء المقدّسة.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ١٠٠٠.

التاريخ: ١٥ جمادى الأُولى ١٤٣٦هـ - ٣ آذار ٢٠١٥م.

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الواحد الأحد، والصَّلاة والسلام على نبيّه الأمجد، وعلى آله السَّبيل الجَدَد.

وبعد:

فإنّ الشخصيّةَ الإنسانيّةَ بطبيعتِها الَّتي جُبِلتْ عليها تتلاقفها عوامل ثلاثة، تحدّد مسارَها، وهي: الوراثة، والبيئة، والتّربية، بحيث يصعب تجاوزها، والقفز عليها غالباً.

ولذا نجد هناك تأكيداً من قِبَل الشَّرائع السَّماويّة والوضعيّة، على الاعتناء بها، وعدم إهمالها، لما لها من أهميّة قصوى في المسيرة التكامليّة للإنسان.

وهذا ما نجده جليّاً في هيكلة بحث «شيخ الثار» الّذي عقده جدُّنا العلّامة الكبير الأُوردبادي في كتابه هذا.

فقد تعرّض للعامل الوراثي من خلال عنوان «من هو المختار» باستعراضه للسلسلة النسبيّة الَّتي ينتمي إليها، مثل جدّه مسعود، عظيم القريتين، حسب الوصف القرآني، وأبيه ذي الشدّة والمراس الحربي.

وهكذا عمّه صاحب أميرالمؤمنين عليه السلام، وعامله على المدائن، حتّى

أيّام الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الذي أقرّه أيضاً على منصبه، ولجأ إليه بعد هجوم الفسطاط.

ثمّ تطرّق إلى عامل البيئة الممتدّ من حياة أبيه ـ وهو من الموالين لأهل البيت عليهم السلام ـ حتّى استشهاده والمختار ابن ١٣ سنة.

ثمّ تولّاه الحنان العلوي حتّى قال الأصبغ في ذلك:

رأيت المختار على فخذ أميرالمؤمنين عليه السلام. حتّى أشار إلى تربيته وانقطاعه إلى أهل البيت عليهم السلام، والتزلّف إليهم، والنّهل من نميرهم الخالص، فصار في مصاف القادة والأُمراء، والعبّاد الأتقياء. إضافة إلى فصاحته الّتي جعلته في جملة الخطباء البلغاء. حتّى لخّص جدّنا العلّامة الأوحد قدّس سرّه ذلك بمقطوعة نثريّة من السّهل الممتنع، فقال:

«إنّ المولى سبحانه أنعَمَ على المختار في نفسيّته الكاملة بكلّ فضيلة، وحباه شدّةً في لين، وقوّةً في تمكين، وثراءً في زهد، ونسكاً مع جهد، وكرامةً في الأخلاق، وطهارةً في الأعراق، وبلاغةً في القول والفعل».

أيّ كلمات هذه؟ أهي كلمات وحي نزل عليه، أم عبارات صاغتها يد الإخلاص الصادق، فأهدتها إلينا؟

وإن تعجب فلا عجب من علمائنا الماضين الذين عجنوا الورع بالعلم، والعمل بالتقوى والحلم، حتّى عُدَّ مدادهم أفضل من دماء الشهداء، وأرواحهم شامخة مع الأولياء والأوصياء.

رحم الله الماضين منهم، وأدام خَلَفَهم الباقين، وجدُّنا العلّامة الأُوردبادي

أحدهم. تتعرّف عليه من أُسلوبه، وتتبّعه، واستقصائه، المَقْرُون بالعلم ودقّة الفهم. إضافة إلى الذوق السَّليم الذي يعرضه لك بأُسلوبه الحكيم.

والآن لنعودَ إلى صاحبِنا المترجَم، ودفاع المؤلّف عنه بكلّ ضراوة، مبيِّناً أركان كلّ دسيسة مسّته وخلفيّاتها، والّتي منها دعوى أنّه رحمه الله أراد تسليم الإمام الحسن عليه السلام المجتبى إلى معاوية، عند لجوئه إلى عمّه يوم كان والياً على المدائن من قِبَله.

فردّ عليهم العلّامة الأُوردباديُّ فِريتَهم، وأدار السَّهمَ نحو نحورهم، فقال:

حقّاً إنّ من يرى هذا الرأي فإنّه في وشك الكفر، بل هو واقع فيه، ولقد تظاهر بقسوة تلين عندها الجلامد والصُّخور.

لقد شيّد جدّنا المؤلّف قدّس سرّه ما سعى إليه المختار، وناضل من أجله، بأُسلوب متين، مطعّم بنصوص البراهين، ولعمري إِن كان قُسُّ بن ساعدة يفتخر بلسانه، فحقّ لجدّنا العلّامة أن يفتخر ببنانه وبيانه.

وإن كان ثأر الحسين عليه السلام جرى على يد «المختار» فهذا قلم مؤلّف هذا الكتاب قد ثار لشيخ الثار.

وإن كان أبو إسحاق صيّر الأرض جحيماً تحت أقدام قاتلي العترة البررة، فهذا العلّامة الخبير الأُوردبادي حوّل كلماته إلى جَمرات متّقدة، أحرقت تلك العقول القذرة، حتّى ظهرت شمس الحقيقة بأيدي سفرة.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يرزقنا ولاية أهل بيت النبوّة في الدّنيا، وشفاعتهم في الآخرة، إنّه سميع مجيب.

السيّد مهدي آل المجدّد الشيرازي

تعريف بالكتاب

قال العلّامة الكبير الشيخ عبدالحسين الأَميني قدّس الله روحه في كتابه «الغدير» بعد ذكر مَن تَصدَّى لتدوين حياة المختار وسيرته: منهم:

٢١: الشيخ الميرزا محمّد علي الأُوردبادي له: «سبيك النّضار»، أو «شرح حال شيخ الثار» في مائتين وخمسين صحيفة. وقد أدَّى فيه حقَّ المقال، وأَغرق نزعاً في التحقيق، ولم يُبْقِ في القوسِ مَنْزَعاً.

قرأتُ كثيراً منه، ووجدته فريداً في بابه، لم يُؤَلَّف مثله. جزاه الله عن الحقّ والحقيقة خيراً.

ثمّ يقول: وله في المختار قصيدة على رَوِيّ قصيدة أبي تمَّام، عَطَفَ فيها على مديحِهِ إطراءَ صاحِبِهِ ومُشاطِرِهِ في الفضيلة: إبراهيمَ بنِ مالك الأشتر.. ثمّ ذكر القصيدة(١).

وقال الإمام الشيخ آقا بزرك الطهراني في كتابه «الذريعة»: «سبيك النضار في شرح حال شيخ الثار» للشيخ الميرزا محمّد علي الأُوردبادي المتوفَّى سنة ١٣٨٠، كتبه في حُسْنِ حال المختار بن أبي عبيد الثقفي، ورفع عنه كُلَّ ما قيل فيه من سهام الأغراض(٢).

السيّد مهدي آل المجدّد الشيرازي

---

(١) الغدير ٢: ٣٤٥.

(٢) الذريعة ١٢: ١٣٥/الرقم ٩١٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

[تمهيد]

الحمد للّه وكفى، وسلام على عباده الَّذين اصطفى؛ محمَّدٍ سيِّد الأنبياء، وخاتمِ السُّفراء، وآله الأَدلَّاء على الهُدَى، المجنَّبِينَ عن الرَّدَى، وعلى شيعتهم الفائزين بخالص الولاء، الحائزين قَصَبَ السَّبْق في النُّصْرة والدُّعاء.

وبعد، فقد كثر اللَّغط، وتعاوَرَ طنينُ الجاهلين حول قضيَّة البطلِ المفدَّى، ناصرِ أهل بيت الوحي ـ صلوات الله عليهم ـ الطَّالبِ بثارهم، والمدركِ أَوتارَهُم، شيخِ الثار، والفتى المغوار، **المختار بن أبي عبيد الثقفي** رضوان الله عليه، بالرغم ممَّا له من شريف الرُّتْبة، ورفيعِ المقام، وقدمٍ راسخة في وُدّ ذوي القربى، ويَدٍ واجبة عند أئمّة الهدى ـ عليهم السلام ـ فكم أَطْفأَ لوعةً، وأَخْمَدَ لهباً، وأثلجَ فُؤاداً، يومَ قاد الحَشْدَ اللُّهام، وفرَّق أعداءَ الله أَيدي سبا. غير أنّ ضُؤُولة المُنَّة[1]، وقصور الباع، حَدَيا صاحبَهُما إلى الجَلَبَة والصَّخَب، وهو يحسبُ أنَّهُ ينشر حقيقةً، أو يُظْهِرُ له[2] شخصيَّة بارزة. هيهات، فقد تاهَتْ به مَخايِلُهُ[3]، وغَرَّتْهُ يومَ مَنَّتْهُ هواجسُه، وها أنا مُثبتٌ لك الحقَّ الصُّراح، ممّا أوقفني عليه التَّوفيق إن شاء الله تعالى.

محمّد علي الغروي الأُوردبادي

---

(١) المُنَّة: القوّة، والضعف، فهي من الأضداد. والمراد هنا الأوّل.

(٢) له: أي لنفسه.

(٣) المخايل: المظانّ، جمع المَخِيلة وهي موضع الخَيْل وهو الظنّ.

من هو المختار؟

هو أبو إسحاق المختارُ بنُ أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عُمَيْر بن عَوْف بن عُقْدَة بن غِيَرَةَ بن عوف بن ثقيف الثقفي[1].

لم يكن «المختار» بِبِدْعٍ من عظماء أُمَّته في نشأته الراقية بين أكابر من رجالات بيته الرفيع من ثقيف، بين زعامةٍ، وإمارةٍ، وقيادةِ جيشٍ، ووَجاهةٍ عندَ الناس.

يقال: إنَّ مَسْعُوداً جدَّه هو عظيم القريتين[2]، وكأنَّ القائل يريد ما حكاه الله سبحانه عن مشركي قريش بقوله: ﴿**لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾[3].

وفي الإصابة لابن حجر: عن ابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق ابن عبّاس: إنّها نزلت في رَجُلٍ من ثقيف، ورجُلٍ من قريش. والثقفيُّ هو مسعود بن عمرو[4].

---

(١) أُسد الغابة ٤: ٣٣٦، الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٥/ الترجمة ٨٥٦٧ «المختار بن أبي عبيد ابن مسعود الثقفي»، ٧: ٢٢٣/ الترجمة ١٠٢٢٨ «أبو عبيد بن مسعود» وذكر فيه النسب كاملاً، الاستيعاب ٤: ١٤٦٥/ الترجمة ٢٥٢٨ «المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي»، ٤: ١٧٠٩/ الترجمة ٣٠٧٧ «أبو عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي».

(٢) المعارف: ٤٠٠.

(٣) الزخرف: ٣١.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٨١/ الترجمة ٧٩٧٤.

وفي ترجمة عُروة بن مسعود بن مُعَتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد ابن عوف بن ثقيف عمّ والد المغيرة بن شعبة: أنّ المراد بالقريتين مكّة والمدينة، والرجلان: الوليد بن المغيرة من أهل مكّة، وعروة بن مسعود الثقفي من أهل الطائف.

وعن مجاهد: عتبة بن ربيعة، وعمير بن عروة بن مسعود.

وعن السّدّي: الوليد، وكنانة بن عبد عمرو بن عمير.

وعن ابن عبّاس: الوليد، وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي(١).

وعلى أيّ فهو بتلك المنزلة التي كان لا يُسْتَنْكَرُ عدُّهُ زعيم قومه، أو عظيم بيئته.

وعقد لجَدِّهِ مسعود في الإصابة(٢) ولإخوته ـ حبيب(٣) وربيعة(٤) وعبد ياليل(٥) ـ تراجم.

[أبوه]

وأَمَّا أَبُوه ـ أبو عبيد ـ ففي أُسْد الغابة: «أنّه من جِلَّةِ الصَّحابة»(٦).

---

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٤: ٤٠٦/ الترجمة ٥٥٤٢.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٨١/ الترجمة ٧٩٧٤ «مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي».

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٢: ١٩/ الترجمة ١٥٩٥ «حبيب بن عمرو بن عمير... الثقفي».

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ٢: ٣٩١/ الترجمة ٢٦١٩ «ربيعة بن عمرو بن عمير... بن ثقيف» قال: أخو أبي عبيد والد المختار. وهو وَهَمٌ، والصواب أنّه عَمُّ أبي عبيد والد المختار، فكأنّ صواب عبارة المتن «أخو أبي أبي عبيد والد المختار».

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ٤: ٣٢٠/ الترجمة ٥٢٨٤ «عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي».

(٦) أُسد الغابة في معرفة الصحابة ٤: ٣٣٦ في ترجمة المختار، قال: «كان أبوه من جلّة الصحابة».

وكان أمير الجيش في وقعة «قُسّ النَّاطِف»[١] من الكوفة على عهد عمر، وفي الجيش رجال من أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ[٢].

وفي أُسد الغابة: إنَّ عمر بن الخطّاب استعمله سنة ثلاث عشرة، وسيَّره إلى العراق في جيش كثيف فيهم جماعة من أهل بدر[٣].

وروى ابن حجر في الإصابة: عن ابن سعد، عن الواقدي بأَسانيده: أنَّ أبا عبيد ـ والد المختار ـ قدم من الطَّائف في زمن عمر حين نَدَبَ النَاسَ إلى العراق، فخَرَجَ أَبو عبيد فاستُشْهِدَ يوم الجسر[٤]، وبقي ولده بالمدينة، وتزوَّج ابن عمر صفيّة بنت أبي عبيد[٥]... إلخ.

قال ابن الأثير في أُسد الغابة: وإليه يُنْسَبُ الجسر المعروف بـ«جِسْر أبي عبيد»، وإنّما نُسِبَ إليه لأنّه كان أمير الجيش في الوقعة الَّتي كانت عند الجسر، فقُتِلَ أبو عبيد ذلك اليوم شهيداً.

وكانت الوقعة بين الحرّة والقادسيّة، وتعرف الوقعة أيضاً بـ«يوم قُسّ الناطف» و«يوم المروحة». وكان أمير الفرس «مردان شاه بن بهمن»، وكانوا جمعاً كثيراً،

---

(١) قُسُّ النَّاطف: موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي (معجم البلدان ٤: ٣٤٨). وفيه وقعت الواقعة بين الفرس بقيادة «خُرّزاذ» الحاجب، والمسلمين بقيادة أبي عُبَيْد. (انظر المعارف: ٤٠١). المحقّق.

(٢) انظر المعارف، لابن قتيبة: ٤٠١.

(٣) أُسد الغابة في معرفة الصحابة ٥: ٢٤٨.

(٤) وقعة الجسر: كانت هذه الواقعة المسمّاة: يوم الجسر في آخر رمضان سنة ١٣، وهي نفسها وقعة قُسِّ الناطف، وسوف يأتي ذكرها في هذا الكتاب مفصّلاً. المحقّق.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٧/ الترجمة ٨٥٦٧ «المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي».

فاقتتلوا، وضرب أبو عبيد مَلْمَلَةَ[١] فيلٍ كانَ مع الفرسِ، وقُتِلَ أبو عبيد واستُشْهِدَ معه من الناس ألف وثمانمائة[٢]... إلخ.

وفي شذرات الذهب لابن العماد الحنبليّ: أنَّهُ استُشْهِد فيها نحو ثمانمائة من المسلمين، وأَنَّ جسر أبي عبيد على مرحلتين من الكوفة[٣].

وفي الإصابة: قال أبوبكر بن أبي شيبة في مصنّفه: حدّثنا أُسامة، عن إسماعيل ابن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: كان أبو عبيد بن مسعود الثقفي عبر الفرات إلى النهروان، فقطعوا الجسرَ خلفَهُ فقتل، وقُتِلَ أصحابُهُ.

وقال البلاذري: يُقالُ: إنَّ الفيل برك على أبي عبيد فمات تحته، فأخذ الراية أخوه الحَكَم فقُتِلَ، فأخذها جبر بن أبي عبيد فقُتِلَ[٤].[٥]

قلت: وتفصيل هذه الواقعة: أنَّ المسلمين لمَّا فرغوا من فتح سُوريَّة وفرَّ هِرَقْلُ ومَن سَلِمَ من بطارِقَتِهِ ورجال دولته إلى قُسْطَنْطِنِيَّة في أُوليات أيَّام عمر، نـدَبَ النَّاسَ إلى حرب فارس مع المثنَّى بن حارثةَ الشَّيباني؛ يـفعل ذلك ثـلاثة أيـام ولم يُجِبْهُ فيها أحدٌ لِما أُشْرِبُوا هيبةَ فارس، وقوَّةَ سلطانها، وقَهْرَهُمُ الأُممَ، وما لقي منها العربُ على عهد سابُور.

فلمَّا كان اليومُ الرابع نَدَبَهُمْ ـ عُمَرُ ـ فرغَّبهم في النَّفير، وتكلَّم المثنَّى ونَشَّطهم

---

(١) أي خرطومه. (المؤلّف).

(٢) أُسد الغابة في معرفة الصحابة ٥: ٢٤٨ في ترجمة أبي عبيد بن مسعود الثقفي.

(٣) انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١: ٢٧/ حوادث سنة ١٤هـ. وفيه «جسر أبي عـبيدة». وقد وردت تسميته بكليهما فلا تغفل.

(٤) ذكر قتل جبر بن أبي عبيد مع أبيه، ابن قتيبة أيضاً في المعارف: ٤٠١. (المؤلّف).

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ٧: ٢٢٣/ الترجمة ١٠٢٢٨ «أبو عبيد بن مسعود الثقفي».

وهَوَّنَ أمرَ فارس، فكان أوَّل من انتَدَبَ أبو عبيد الثقفي، ثمَّ سَلِيط بن قيس، وهو من البدريّين، ثمّ تتابع الناس. فلمَّا اجتمع ذلك البعث قيل لعمر: أَمِّرْ عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين أو الأنصار.

فقال: لا والله، لا أفعل، بل أُؤمِّرُ عليهم أوَّلَ من انتدب وهو أبو عبيد الثقفي. فولَّاه أمر ذلك الجيش.

ولمّا انتدبَ الناسُ للخروج أَمَرَ عمرُ المُثَنَّى بالخروج إلى عسكره بالعراق، وأَتْبَعَهُ بأَبي عبيد، فوصل المثنّى والفُرْس على اختلافهم في أمرهم، وقد ولّوا «رُسْتَمَ» حربهم عشر سنين، فكاتب «رُسْتَم» أهل السواد، ودسّ إليهم الرؤساء فثاروا بالمسلمين، فانحاز بهم المثنّى وهو ينتظر قدوم أبي عبيد، فإِنَّهُ الأَميرُ عليه.

وجعل «رستم» أمر السواد إلى «جابان»، فالتقى هو والمسلمون بعد قدوم أبي عبيد، وهَزَمَ المسلمونَ الفرسَ، وأصابوا منهم ما شاؤوا. وأبصر رجلان من ربيعة: رجلاً عليه حليٌّ فشدّا عليه فأخذاه أسيراً، فوجداه شيخاً كبيراً فزهدا فيه، واتَّفقا على أنَّ لأحدهما سَلَبَهُ، وللآخر إسارَهُ.

فَلَمَّا خَلُصَ الآخر به قال: إنَّكُم معاشرَ العرب أهلُ وفاء، فهل لك أن تؤمِّنني وأُعطيَكَ غلامين أمردين خفيفين في عملك، وكذا وكذا درهماً؟ فأجابه إلى ما سأل.

قال: أَدْخِلْنِي على أميركم ليكونَ ذلك بمشهد منه، فأدخله على أبي عبيد وأخبره الخبر، فأَخبرَهُ جماعةٌ منهم وقالوا: هذا الملك «جابان» وهو الذي لَقِيَنا بهذا الجمع.

فقال أبو عبيد: لا سَبِيلَ لنا عليه بعد أن آمنه رجل من المسلمين، ثُمَّ خلَّى

سبيله. وَفرَّ من سَلِمَ من عسكر «جابانَ» نحو «كَسْكَر»[١] وفيها «نَرْسي» ابنُ خالَةِ كِسْرَى.

وكانت كَسْكَرُ قطيعةً له، وفيها النِّرْسِيانُ[٢] لَهُ يحميه لا يأكُلُهُ بَشَرٌ ولا يَغْرِسُهُ غيرُهُم إلَّا مَلِكُ فارس وإلَّا مَن أَكْرَمُوهُ بذلك.

وهذا التمرُ كانَ حمىً للملوك، والعربُ تعرف ذلك. فأمر أبو عبيد باتِّباعهم، فالتقوا في أَسفل «كَسْكَرَ» بمكان «السّقاطية»[٣]، واقتتلوا قتالاً شديداً، ثمّ انهزم الفرس وهرب «نَرْسي»، واستولى أبو عبيد على خزائنه، وجُمِعَت الغنائم، فرأوا من الأطعمة شيئاً عظيماً، فلم يكن العرب بشيء أشدَّ فرحاً منهم بالنِّرْسِيان، لأنَّهُ كان يحميه ويُمالِئُهُ عليه ملوكهم، فاقتسموه وجعلوا يطعمونه الفلّاحين، وبعثوا بخُمْسِهِ إلى عمر.

ولمَّا بلغ «رستمَ» ما أوقع المسلمون بعسكره، اختار ذا الحاجب «بَهْمَن جاذَوَيْه» فوجَّهَهُ إليهم ومعه الفِيَلَةُ، فأقبل ومعه الراية العظمى «درَفْش كابِيَانْ»، وأقبل إليه أبو عبيد وبينهما الفرات، فخيَّرَهُ بين عبور الفرات إلى الفرس، وبين عبور أُولئك للنِّزال، ونهى الناسُ أَبا عبيد عن العبور لقُوَّة الفرس وكثرتهم واستكمال عديدهم والعتاد، وناشده سَلِيطُ بنُ قيس والوجهاء فلَمْ يَنْتَهِ. فنهد

---

(١) كَسْكَر، كجَعْفَر: كورة من كور بغداد، قصبتها واسط، يُنسب إليها الدَّجاج والبطّ. (تاج العروس ٧: ٤٤٧ مادّة «كسكر»). المحقّق.

(٢) النِّرْسِيان، بالكسر: من أجود التمر بالكوفة، وليس بعربي محض، الواحدة بهاء. (تاج العروس ٩: ١٠ مادة «نرس»). المحقّق.

(٣) السّقاطيَّة: ناحية بكسكر من أرض واسط. معجم البلدان ٣: ٢٢٦.

بالنَّاس وعبروا إليهم، وعَضَلَتِ الأرضُ[١] بأهلها، وألْحَمَ النَّاسُ الحَرْبَ.

فلمَّا نظرت خُيُولُ المسلمين إلى الفِيَلَةِ عليها النَّخْلُ، والخيلِ عليها التَّجافِيف، والفرسان عليهم الشَّعَر، أوجست خِيفةً منها.

فكانَ المسلمون إذا حملوا عليهم لم تُقْدِمْ خيولُهم، وإذا حملوا على المسلمين بالفِيَلَةِ والجَلاجِلِ[٢] فرّقت بين كراديسهم، ولا تقوم لها الخيول إلّا على نِفارٍ، وخَزَقَهُمُ[٣] الفُرسُ بالنُّشّاب[٤]. وعَضَّ المسلمينَ الألمُ، ولم يصلوا إليهم، واشتدَّ بهم الكَرْبُ، وضاق بهم المُطَّرَدُ، فترجَّل أبو عبيد، وترجَّل الناس، ثمّ مشوا إليهم فصافحوهم بالسيوف، فجعلت الفِيَلَةُ لا تحمل على جماعة إلّا دفعتهم، وعليها الصَّناديقُ فيها الرُّماة. فنادى أبو عبيد: احتَوِشُوا الفِيَلَة، واقْطَعُوا بُطُنَها[٥]، واقلِبُوا عنها أهلَها.

فاحتوشَ المسلمونَ الفِيَلَةَ، ودارت عليهم رَحَى الموت، ووَاثَبَ: هو الفيلَ الأبيض، فتعلَّق بِبِطانِهِ فقطعه، ووقع الَّذين عليه. وفعل القومُ مثل ذلك فما تركوا فيلاً إلَّا حَطُّوا رَحْلَهُ، وقتلوا أصحابه، وأهوى الفيلُ لأبي عبيد فنفَحَ مِشْفَرَهُ بالسَّيف، فاتَّقاهُ الفيلُ بيده، فأصابت أبا عبيد فوقع، فخبطه الفيلُ بيده وقام عليه. فاشتدَّت عنده الحرب، وسالت النُّفُوس.

---

(١) عَضَلَتْ: ضاقَتْ.

(٢) الجَلاجِل: جمعُ الجُلْجُل، وهو الجرس الذي يعلّق على الدَّوابِّ.

(٣) خَزَقَهُمُ الفُرس: أصابوهم.

(٤) النُّشَّاب: السِّهام، الواحدة نُشَّابة.

(٥) البُطُن: جمع البِطان، وهو الحِزام الذي يجعل تحت بطن الدابّة.

فلمّا رأى المسلمون مافُعِلَ بأميرهم خشعت نفوسهم، وأخذ اللِّواء من سَمَّاه[١] أبو عبيد فقُتِلَ، ثمَّ آخر فقُتِلَ، حتَّى قُتِلَ سبعة من حَمَلَةِ اللِّواء. ثُمَّ أخذه المثنَّى وفرَّ النّاسُ، فبدرهم رجل من ثقيف، وقطع الجسرَ غَضَباً لأبي عبيد، فقال: «أيُّها الناس مُوتُوا على ما مات عليه أُمراؤُكم أو تظفروا». وأصبح الفرس يحوشونهم كيف شاؤوا، وأَلجأُوهم إلى الجسر. فأَسرع منهم أُناس فتواثبوا في الفرات فغرقوا، وحَمَى المثنَّى وفرسانٌ من المسلمين بقيَّةَ العسكر، وجاؤوا بعُلُوجٍ من السَّواد فوصلوا الجسر، ونادى المثنّى: «أيُّها الناس، أنا دونكم فاعبروا على هَيْنَتِكُمْ ولا تَدْهَشُوا» ـ وكانَ آخر من قُتِلَ عند الجسر سَلِيط بن قيس ـ وعبر المثنّى، وحمى جانبه، ورامهم ذُو الحاجب، فلم يقدر عليهم، وقُتِلَ من المسلمين أربعةُ آلاف، وفرَّ ألفان، وبقي مع المثنّى ثلاثة آلاف[٢].

وجبر هذا العسكر بعده بوقعة «البُوَيْب»، وتُسَمَّى «يومَ الأَعْشار» الذي لم يفلت فيه من الفرس إلَّا شريدٌ، وأُحْصِيَ مائةُ رجلٍ قَتَلَ كلٌّ منهم عَشَرةً في المعركة[٣]، وأَغار المسلمونَ على العُلُوج حتَّى بلغوا ساباط المدائن[٤].

---

(١) في تاريخ خليفة بن خيّاط: ٨٣ وقد كان أبو عبيد قال: إن قُتلتُ فعليكم الجبر بن أبي عبيد، فإن قتل فعليكم أبو الجبر بن أبي عبيد، فإن قتل فعليكم حبيب بن أبي ربيعة بن عمرو بن عمير، فإن قتل فعليكم عبدالله بن مسعود بن عمرو بن عمير وهو أخو أبي عبيد... فقتل جميع الأُمراء.
وفي تاريخ الطبري ٢: ٦٤١ وتتابع سبعة من ثقيف كلّهم يأخذ اللواء فيقاتل حتّى يموت.

(٢) انظر تفصيل ما ذكره المؤلّف مختصراً في تاريخ الطبري ٢: ٦٣٠ ـ ٦٤٢، وتاريخ ابن الأثير ٢: ٤٣٣ ـ ٤٤١.

(٣) ولذلك سُمِّيَ «يوم الأعشار».

(٤) انظر تفصيل وقعة البويب في تاريخ الطبري ٢: ٦٤٤ ـ ٦٥٣، وتاريخ ابن الأثير ٢: ٤٤١ ـ ٤٤٤.

وتعقّبه «يوم الخَنافِس» الّذي غنم فيه المسلمون ما لم يكن بحسبانهم(١).

ثمّ كانت «وقعة القادسيّة» العظمى الّتي لم يكن قبلها ولا بعدها مثلها، وبها أُرْحِضَتْ مَعَرَّةُ الفُرْسِ، واكتُسِحَ مُلْكُهُمْ(٢).

قال الفقيه ابن نَما في «ذَوب النُّضار»(٣): إنّ المختار كان مع أبيه في هذه الوقعة(٤) وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان يَتَفَلَّتُ للقتال فيمنَعُهُ سعدُ بنُ مسعودٍ عَمُّهُ(٥).

---

(١) انظر تفصيل هذه الوقعة في تاريخ الطبري ٢: ٦٥٥ ـ ٦٥٨، وتاريخ ابن الأثير ٢: ٤٤٥ ـ ٤٤٨.

(٢) انظر تفصيلها في تاريخ الطبري ٣: ١ ـ ٥٠، وتاريخ ابن الأثير ٢: ٤٥٠ ـ ٤٨٥.

(٣) هذه الرسالة برمّتها مندرجة في عاشر البحار المطبوع على الحجر غير مرّة. (المؤلّف).

أقول: وقد طُبع هذا الكتاب مستقلّاً، وذكره شيخنا الحجّة الشيخ آغا بزرك قدّس سرّه في الذريعة ١٠: ٤٣/الرقم ٢٤٦ بقوله: ذوب النُّضار في شرح أخذ الثار للشيخ جعفر بن أبي إبراهيم محمّد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلّي، مؤلّف «مثير الأحزان» المتوفّى (٦٤٥)، ويقال له: «شرح الثار»، أورده بتمامه من البحار ص٢٩٢ من المطبوع في تبريز ١٣٠٣.

وأقول أيضاً: وفي الطبعة الجديدة من البحار يكون في ج٤٥ ص٣٤٦.

ويقول صاحب «الكنى والألقاب» الشيخ القمّي قدّس سرّه ١: ٤٤٢ عند ذكره بعد ترجمة والده: الشيخ نجم الدين جعفر بن محمّد بن هبة الله بن نما الحلّي، كان رحمه الله من الفضلاء الأجلّة، ومن كبراء الدين والملّة، عظيم الشأن، جليل القدر، أحد مشايخ آية الله العلّامة، وصاحب المقتل الموسوم بـ«مثير الأحزان»، وقد يظهر أنّ أباه وجَدّ جَدّه جميعاً كانوا من العلماء، رضوان الله عليهم أجمعين ... إلى آخره.

وأقول: وقد وقع هنا اشتباه من الشيخ القمّيّ حيث قال بتتلمذ العلّامة الحلّي على ابن نما؛ لأنّ ولادة العلّامة سنة ٦٤٨، ووفاة ابن نما ٦٤٥ فلا يصحّ ذلك.

(٤) أي وقعة قسّ الناطف.

(٥) انظر ذوب النُّضار: ٦٠ ـ ٦١.

[عمّه]

وأمَّا عَمُّهُ هذا، فإنَّ أميرالمؤمنين عليّاً صلوات الله عليه لَمَّا كَتَّبَ الكتائِبَ «يومَ الجمل» عقد لعَبْسٍ وذُبْيانَ ـ وغيرهما من بطون قيس ـ رايةً، وولّى عليهم سعد بن مسعود الثقفي[١]، ثمّ ولّاه ـ عليه السلام ـ المدائنَ[٢] فكان عامله ـ عليه السلام ـ عليها طيلةَ عهده، وأيّامَ ولده الإمام المجتبى سلام الله عليه[٣].

وفي «روضة الصَّفا»: أنّه كان على عمل المدائن من عصر عمر وسنيّ عثمان كلّها[٤].

ولقد كان بها حسن السيرة، محمود النقيبة، مطيعاً لإمام العدل، خَشِناً على أعدائه، متفانياً في ولائه. وسيأتي ما برز من صدق نيّته، وثبات إيمانه مع الإمام المجتبى ـ عليه السلام ـ لمّا اختبره المُختار.

قال النجاشي في «فهرسته»: ولّاه أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ المدائنَ، وهو الذي لجأ إليه الحسن ـ عليه السلام ـ يوم ساباط[٥].

---

(١) الأخبار الطوال: ١٤٦. وانظر تاريخ الطبري ٣: ٥١٣ وفيه «وسُبْع قيس عليه سعد بن مسعود الثقفي»، وأنساب الأشراف: ٢٣٥ وفيه «وكانت قيس عيلان وعبدالقيس سُبْعاً عليهم سعد بن مسعود عمّ المختار بن أبي عبيد الثقفي».

(٢) تجده في عدد من السِّير والمعاجم: (المؤلّف). وانظر الأخبار الطوال: ٢٠٤، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠١، وتاريخ الطبري ٣: ٥٦٣، ٤: ٥٥ و٥٩، وأنساب الأشراف: ٤٨٤، وتاريخ ابن الأثير ٣: ٢٣١ و٢٨٠ و٣٣٦ و٣٤٠.

(٣) مقاتل الطالبيّين: ٤١، الإرشاد، للمفيد ٢: ١٢. ونصّت كُلّ كتب التاريخ على لجوء الإمام الحسن عليه السلام إليه حين طُعِنَ بساباط المدائن.

(٤) روضة الصَّفا ٣: ٢٠٨.

(٥) رجال النجاشي: ١٦/ الترجمة ١٩ «إبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي».

وقال ابن قتيبة في «المعارف»: إنَّ لسعدٍ عَقِباً بالكوفة[١].

قلت: ذكر النجاشي، والشيخ في «الفهرست» منهم: أبا إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي[٢].

قال: أصله كوفي... إلى أن قال النجاشي: انتقل أبو إسحاق هذا إلى إصفهان وأقام بها، وكان زيديّاً أوّلاً، ثمّ انتقل إلينا. ويقال: إنَّ جماعة من القمّيّين ـ كأحمد ابن محمّد بن خالد ـ وفدوا إليه وسألوه الانتقال إلى قُمّ، فأبى.

وكان سبب خروجه من الكوفة: أنَّه عمل «كتاب المعرفة»، وفيه المناقب المشهورة والمثالب، فاستعظمه الكوفيّون، وأَشاروا عليه بأن يتركه ولا يخرجه.

فقال: أيُّ البلاد أبعد من الشيعة؟ فقالوا: إِصفهان. فحلف أن لا أَروي هذا الكتاب إلّا بها، ثقةً منه بصحّة ما رواه فيه[٣].. إلخ.

وله تصانيفُ كثيرةٌ، ذكر النجاشيُّ، والشيخُ منها ما يقرب من خمسين كتاباً[٤]، وذكرا أسانيدهما إليها، وذكرا: أنّه توفّي سنة ٢٨٣[٥].

كان المختار أيّام ولاية عمّه معه[٦]، ويظهر من غير موضع من السير: أنَّهُ كان موضع ثقته، ومحلّ طمأنينته، يفوِّض إليه كفالة إِمْرَتِهِ إذا اقتضت الضرورة مغادرته للمدينة.

---

(١) المعارف: ٤٠٠ ـ ٤٠١ وفيه «فكان سعد عامل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على المدائن، وله عقب بالكوفة».

(٢) رجال النجاشي: ١٦ ـ ١٧/ الترجمة ١٩، الفهرست، للطوسي: ٣٦/ الترجمة ٧.

(٣) رجال النجاشي: ١٦ ـ ١٧/ الترجمة ١٩.

(٤) وقد طُبع له أخيراً كتاب الغارات بتحقيق السيّد جلال الدين المحدّث بطهران سنة ١٣٩٥.

(٥) رجال النجاشي: ١٦ ـ ١٨/ الترجمة ١٩، الفهرست، للطوسي: ٣٦ ـ ٣٨/ الترجمة ٧.

(٦) تجده في غير واحد من الكتب، وفي «ذوب النُضار» وغيره. (المؤلّف). انظر ذوب النُضار: ٦١.

روى أبو حنيفة الدينوري في «الأخبار الطوال» عند ذكره لتألُّب الخوارج على أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ عبدالله بن وهب الراسبي خرج في جوف اللَّيل، والتأَمَ إليه جميعُ أصحابه، فصاروا جمعاً كثيراً منهم، فأخذوا على الأنبار وتبطّنوا شَطَّ الفرات حتَّى عبروا من قِبَل «دَيْر العاقُول»[١]... إلى أن قال: فاستخلف سعدُ ابن مسعود على المدائن ابنَ أَخِيه؛ المختار بن أبي عبيد، وخرج في طلب عبدالله ابن وهب وأصحابه، فلقيهم بكرخ[٢] بغداد مع مغيب الشمس، وسعد في خمسمائة فارس[٣]... إلخ.

ولولا أنَّه كان يجدُ فيه من الحنكة ما يُؤهِّله لمثل ذلك العمل الخطير لما فَوَّض إليه ما ائتمنه عليه إِمامُ العدلِ من سياسة الدِّين والدُّنْيا.

ويحدِّثنا التاريخ عن ثقته به على بيت المال أيضاً؛ ففي الإصابة: روى موسى ابن إسماعيل، عن أبي عوانة، عن مغيرة، عن ثابت بن هرمز: إنّه حمل المختار مالاً مِنَ المدائن مِن عند عَمِّه إلى عليٍّ عليه السلام.

لكنَّ الحديث فيه زيادة هي من وضع الدَّسَّاسين، ولعلَّ عُمْرها أقصر من

---

(١) دَيْر العاقول: قريةٌ كانت بين واسط والكوفة يُنسَبُ إليها جماعة من أهل العلم، وموضعها اليوم مدينة النعمانيّة التي عُرِفَت في بعض الأدوار بـ«البغيلة». أحد الفضلاء.

(٢) كذا ورد في النصّ المنقول عن الدينوري، مع أنّ بغداد والكرخُ من محالّها الغربيّة، إنّما أُسِّست في أيّام أبي جعفر المنصور سنة ١٤٥، أي بعد هذه الحادثة بزمن غير قصير. ويمكن تخريج هذا المعنى على أنّ الإشارة المذكورة كانت إلى الموضع الذي أُنشِئَت فيه محلّة الكرخ فيما بعد فتأمّل. أحد الفضلاء.

(٣) الأخبار الطوال: ٢٠٥.

وفي تاريخ الطبري ٤: ٥٥ ـ ٥٦، وتاريخ ابن الأثير ٣: ٣٣٧ وخرج [سعد بن مسعود الثقفي] في الخيل واستخلف بها ابن أخيه؛ المختار بن أبي عبيد.

أصله، وهي: فأَخرجَ كيساً فيه خمسة عشر درهماً[١]، فقال: هذا من أُجور المُومِسات.

فقال له عليّ عليه السلام: ويلَكَ مالي وللمومسات؟!

ثمّ قام وعليه مُقطَّعةٌ حمراءُ، فلمّا سلّم قال عليٌّ عليه السلام: مالَهُ قاتله الله، لو شُقَّ عن قلبه الآن لوُجِدَ ملآنَ من حُبِّ اللّات والعُزّى[٢].

وثابت بن هرمز المنتهي إليه سند الرواية[٣]، نقلَ الذهبيُّ في ميزان الاعتدال عن ابن الجوزيِّ عَدَّهُ من المجهولين[٤].

---

(١) من علامات وضع الحديث هو الاختلاف في التفاصيل، والذي في مصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٢٦٣/ح٨٨ «كيساً فيه نحوٌ من خمس عشرة مائة». أي يكون ١٥٠٠ درهمٍ أو دينارٍ، فهل كُنَّ المومسات بهذه الكثرة في المدائن بحيث تكون ضرائب ما يكتسبنه هذا المقدار؟!
على أنّه يمكن أن يكون المراد من المومسات الإماء اللّاتي للخدمة ـ كما قاله ابن جنّي كما في تاج العروس ٩: ٣٥ مادّة «ومس» ـ فيكون أميرالمؤمنين عليه السلام ردَّه رفقاً بحال الضعفاء.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٥ ـ ٢٧٦/ الترجمة ٨٥٦٧.

(٣) أصل هذا الحديث في مصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٢٦٣/ح٨٨ وفي سنده زيادة «عن ثابت بن هرمز، عن عبّاد». ولم نجد رواية لثابت بن هرمز عن عبّاد، ولم نعرف عبّاداً هذا من هو.

(٤) ليس الأمر كذلك فإنّ الذي نقل الذهبي عن ابن الجوزي كونه مجهولاً هو ثابت بن أبي المقدام عن بعض التابعين، قال في ميزان الاعتدال ١: ٣٦٨/ الترجمة ١٣٧٧: «ثابت بن أبي المقدام عن بعض التابعين، مجهولٌ. كذا أورده ابن الجوزي، وما أُبْعِدُ أن يكون ثابتاً أبا المقدام، وهو ثابت بن هرمز. يروي عن المسيّب بن نجبة، وهو ثقة احتجّ به النسائي». وثابت بن هرمز عند القوم صدوق يَهِمُ، روى له النسائي وأبو داود وابن ماجة. انظر تقريب التهذيب ١: ١٤٨/ الترجمة ٨٣٤.

نعم، هو بُتْريٌّ زيديٌّ قائل بتقديم الشيخين. انظر أعيان الشيعة ٤: ١٩. وقال الطريحي في مجمع البحرين ١: ١٥١ وهم الذين دعوا إلى ولاية عليّ عليه السلام فخلطوها بولاية أبي بكر وعمر.
وكان الأَولى أن يشير إلى المغيرة بن مِقْسَم، فإنّه كان عثمانياً وكان يدلِّس. انظر تهذيب التهذيب ١٠: ٢٤٠ ـ ٢٤١/ الترجمة ٤٨٤.

وموسى بن إسماعيل الواقع في صدر سند الحديث ذَكرَ ابنُ حجر في «تهذيب التهذيب» والذهبي في «الميزان» عن ابن خراش: أنّه تكلّم الناس فيه[١]، فهو من المتروكين.

على أنّ اللّائح على وَجْنَة هذا النقل هو التّقوُّل والافتعال، فإنَّ سعداً ـ ذلك البَرَّ الصالح ـ لم يك بالذي يجعل الضرائب على المومسات، فيبيح لهنّ الفجور الذي حرَّمته شريعة الإسلام، كما يفعله من لا حَرِيجَةَ له من الدين، من الولاة والأُمراء، ثمّ يبعث بها إلى أميرالمؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ المعروف بخشونته في ذات الله، فيُحَطُّ بذلك قَدْرُهُ عنده.

ولو غاضيناك على عدم المبالاة في الدِّين، فهلّا كان سعد يرعى منزلته عند إمامه؟ فكيفَ يكاشفه بما يَعُدُّه حُوباً كبيراً، ويُوشِكُ معه عَلَى إسقاطه عن الإمرة نهائيّاً على ذلك الفعل الشائن، فتلزمه شِيَةُ[٢] العار، وتَبقى خالدة في عَقِبِهِ.

هَبْها فلتةً بدرت عنه، فكيف يُصارِحُ بها المختارُ ـ المشهورُ بحنكته في الأُمور، حتَّى إنَّ أميرالمؤمنين عليه السلام شَهِدَ له بالكِياسَة منذ عهد صباه، كما سيوافيك وجه القول فيه إن شاء الله تعالى ـ أمامَ الإمام الَّذي عَرَفَ خطَّته في مُناوَأةِ الباطل، وسَحْقِ ذوي الزيغ، وسماسرة الضَّلال؟! فيَخْسَر عطفه، وما يَرْقُبُهُ منه من ولاية وعمل، بل يخسر ـ في الأقل ـ الزُّلْفَةَ لديه، مجرَّدةَ عن كلِّ اعتبارٍ آخر.

ولو كان في قلبه من حُبِّ الرَّجُلَيْن شيءٌ لظهر في الأَقلِّ مرّةً واحدة في فَلَتات لسانه، كما بَدَرَ من غيره من المستسلمين، ولَنَقَلَهُ التاريخ كما نقله عنهم، ولَحَسَبَهُ

---

(١) ميزان الاعتدال ٤: ٢٠٠/ الترجمة ٨٨٤٧، تهذيب التهذيب ١٠: ٢٩٨/ الترجمة ٥٨٥.

(٢) الشِّيَةُ: العَلَامَةُ.

وعَدَّهُ المتحرُّون للوقيعة فيه، الَّذين لم يَأْلُوا جُهْداً في افتعالِ كُلِّ شائنة، وعَزْوُها إليه أكبرُ وسيلة في المَسِّ بكرامته، وكان خيراً لهم ممَّا شَوَّهوا به سمعته. ممَّا سوف تقفُ على حقيقته إنْ شاء الله تعالى، ولقد وجدنا المُهَمْلِجَة[1] يَعْزُون إليه كُلَّ شائنة إلَّا هٰذه.

فالحديثُ مختلقٌ على أَميرالمؤمنين عليه السلام، وعلى سعد، وعلى المختار جميعاً، وإنَّما اعتمدنا على صدره لاحتفافه بقرائن الصدق، واعتضاده بغيره من السِّيَر.

(١) هَمْلَجَ هَمْلَجَةً: مَشَى مشي البرذون، فهو مُهَمْلِج.

[نشأته]

نشأ المختار بين تلكم الأحوال كما وصفه ابنُ نَما في الرِّسالة، قال: نَشَأَ مقداماً شجاعاً، لا يتَّقي شيئاً، وتَعاطَى معاليَ الأُمور، وكان ذا عَقلٍ وافر، وجَوابٍ حاضر، وخِلالٍ مَأْثُورة، ونفسٍ بالسَّخاء موفورة، وفطرة تدرك الأشياء بِفِراستها، وهـمَّةٍ تعلو على الفَراقدِ بنَفاستها، وحَدْسٍ مُـصيب، وكَـفٍّ(١) فـي الحُـرُوبِ مُـجِيب، ومارَسَ التَّجارب فحنَّكته، ولابَسَ الخُطُوب فهذَّبَتْهُ(٢)، انتهى.

وكما قال ابن الطقطقي في «الآداب السُّلطانيّة»: وكان رجلاً شريفاً في نفسه، عالي الهمّة، كريماً...(٣) إلخ.

وقال خيرالدين الزركلي في «الأعلام»: إنَّه من زعماء الثائرين على بني أُميَّة، وأحدُ الشُّجعان الأفذاذ من أهل الطَّائِف(٤).

[ولادته]

ولد المختار عام الهجرة(٥).

[أُمُّهُ وإخوته]

وأُمُّهُ دَوْمَةُ بنتُ وهب بن عمر بن معتب. ولدت لأبي عبيد: المختار، وجبراً،

(١) الكَفُّ مؤنَّثة، وقد تُذَكَّر. انظر المصباح المنير: ٥٣٥ «كف».

(٢) ذوب النُّضار: ٦١.

(٣) الفخري في الآداب السلطانيّة: ١٢٠.

(٤) الأعلام ٧: ١٩٢.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٥/ الترجمة ٨٥٦٧، أُسد الغابة في معرفة الصحابة ٤: ٣٣٦، ذوب النُّضار: ٦٠.

وأبا جبر وأبا الحكم وأَبا أُميَّة[١]. وسوف نذكر شيئاً ممّا يتعلّق بها إن شاء الله تعالى.

وذكر ابن قتيبة في «المعارف» من ولد أبي عبيد: المختارَ، وصفيَّةَ، وجَبْراً، وأُسيداً[٢]. ولعلَّهُ المكَنّى: بأبي جبر، أو أبي أُميَّة.

[زوجته]

قال ابن قتيبة في «المعارف»: وكانت ابنةُ سَمُرَةَ بنِ جندب تحته، وله منها ابنان: إسحاق، ومحمّد.

ومن غيرها بنون، وعقبه بالكوفة كثير[٣].

[أُخته]

وأَمَّا صفيّة أُختُ المختار فتزوَّج بها عبدالله بن عمر[٤]. وفي روايةٍ: أصدقها عُمَرُ عنه أربعمائة، وزاد عبدالله سرّاً منه مائتي درهم[٥].

وفي «أُسد الغابة»: أنّها أدركت النَّبيَّ ـ صلّى الله عليه (وآله) وسلّم ـ... لا يصحّ لها سماع من النّبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلّم، روى عنها نافع، أخرجها الثلاثة[٦].

وقال ابن عبدالبر: لها رواية، روى عنها نافع مولى ابن عمر[٧]. وظاهره يعطي

(١) ذوب النُّضار: ٦٠.

(٢) المعارف: ٤٠١.

(٣) المعارف: ٤٠٢.

(٤) المعارف: ٤٠١.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ٨: ٢١٩/ الترجمة ١١٤٢٥ ونصّ روايته عن ابن عمر: أصدَقَ عنّي عمرُ صفيَّةَ أربعمائة، وزدتُ أنا سرّاً منه مائتي درهم.

(٦) أُسد الغابة ٥: ٤٩٣.

(٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤: ١٨٧٣/ الترجمة ٤٠٠٩.

أنَّ روايتها كانت عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم[١]، لكنّك سمعتَ إنكار سماعها منه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ من ابن الأثير، وحكاه ابن حجر عن ابن سعد وأنّها روت عن أزواجه[٢].

وعن ابن منده: أَدركت النبيَّ صلّى الله عليه (وآله) وسلّم، وروت عن عائشة وحفصة، ولا يصحّ لها سماع عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم[٣].

وعن الدارقطني: أنّها لم تدرك النبي صلّى الله عليه (وآله) وسلّم[٤]. والظاهر أَنَّهُ يريد الإدراك مع السّماع والتَّمييز، وإلَّا فهي من وَلائِدِ العهد النبويّ، وتزوَّج بها ابن عمر في خلافة أبيه[٥].

وقال في «الإصابة»: حدَّثَتْ عن عمر، وحفصة، وعائشة، وأُمِّ سلمة. روى عنها سالم ابن زوجها، ونافع مولاه، وعبدالله بن دينار، وموسى بن عقبة، وذكرها العجلي وابن حبّان في الثقات[٦].

---

(١) انظر على سبيل المثال روايتها عن النبيّ صلّى الله عليه وآله في مجمع الزوائد ٣: ٤٧، والمعجم الأوسط للطبراني ٢: ٣٦.

(٢) أي حكى ابنُ حجر عن ابن سعدٍ إنكارَ روايتها عن النبيّ صلّى الله عليه وآله، حيث أوردها ابن سعد فيمن لم يرو عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وروت عن أزواجه. انظر ذلك في الإصابة في تمييز الصحابة ٨: ٢١٨/ الترجمة ١١٤٢٥.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٨: ٢١٨/ الترجمة ١١٤٢٥.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ٨: ٢١٨/ الترجمة ١١٤٢٥.

(٥) قال ابن حجر في الإصابة ٨: ٢١٩ وذكر الواقدي عن موسى بن ضمرة بن سعيد، عن أبيه: أنّها تزوّجت عبدالله بن عمر في خلافة عمر، فهذا يُقَرِّبُ قولَ من قال: إنّها ولدت في عهد النبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلّم، فيُحْمَل قول من نفى الإدراك على إدراك السماع، فكأنّها لم تُميِّز إلّا بعد الوفاة النبويّة.

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة ٨: ٢١٩/ الترجمة ١١٤٢٥.

وعن ابن سعد: أَنَّ أُمّها عليلة بنت أُسيد بن أبي العـاص أُخْت عـتَّاب أَمـير مكّة[١].

وماتت صفيّة أيَّام ابن الزبير، وكانت قد أَسَنَّت، وكانت تطوف على راحلة[٢].

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٨: ٢١٨/ الترجمة ١١٤٢٥.

(٢) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٨: ٢١٩/ الترجمة ١١٤٢٥.

[عُمُر المختارِ عندَ شهادةِ أبيه]

وكان المختار عند شهادة أبيه ـ كما سبق ـ ابن ثلاثة عشر عاماً[١]، وهو من الأحلاف[٢].

وفي «الإصابة»: وليست له صحبة ولا رؤية[٣]... ثمّ قال: وقد تقدّم غير مرّة: أنَّه لم يبق بمكّة ولا الطائف أحد من قريش وثقيف إلّا شهد حجّة الوداع، فمِنْ ثَمَّ يكون المختار من هذا القسم[٤]... إلخ.

---

(١) انظر ذوب النُّضار: ٦٠ ـ ٦١.

(٢) المعارف، لابن قتيبة: ٤٠٠.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٥/ الترجمة ٨٥٦٧.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٦/ الترجمة ٨٥٦٧. ومقصوده من هذا القسم هم الصحابة الذين يُعرف الواحد منهم بوجود ما يقتضي أنّه كان في ذلك الوقت موجوداً وإن لم يَرَهُمْ هو صلّى الله عليه وآله. انظر الإصابة في تمييز الصحابة ١: ١٦٢.

[الحنان العلوي]

ومن الحنان العلوي عليه ما رواه الأصبغ، قال: رأيتُ المختار على فخذ أميرالمؤمنين عليه السلام وهو يمسح رأسه ويقول: يا كَيِّس يا كَيِّس. رواه الكشّيّ، عن جبرئيل بن أحمد، عن العبيدي[١]، عن عليّ بن أسباط، عن عبدالرحمن بن حمّاد، عن عليّ بن حَزَوَّر، عن الأصبغ[٢].

ورواه ابن نما في الرسالة عن الأصبغ[٣].

وروى علم الهدى في «الفصول المختارة» من مقالات شيخنا المفيد ما يقرب من ذلك[٤].

[حقائق راهنة]

من جَليِّ الحقائق الراهنة أَنَّه صلوات الله عليه ما كان يريد كِياسةً فِعْلِيَّةً من طفل صغير يُجلسه في حجره، ويمسحُ على رأسه، فإنّ ممّا تأباه مجاري العادة في مثله كياسةً يصفه بها أميرالمؤمنين عليه السلام، ولَمْ يُحْكَ عنه خَرْقُهُ لها منذ نعومة الأظفار. لكنَّه يريد ما سوف يَظْهَرُ عليه ويتجلّى منه من مظاهر الحِجَى يومَ تنقاد

---

(١) كذا في البحار أيضاً ٤٥: ٣٤٤/ح ١١ عن رجال الكشّي. والذي في المطبوع: «العنبري».

(٢) رجال الكشّي ١: ٣٤١/ح ٢٠١.

(٣) ذوب النُّضار: ٦١.

(٤) الفصول المختارة: ٢٩٦ قال: وقيل: إنَّما سُمِّيَ بهذا الاسم [أي كيسان] لأنّ أباه حمله وهو صغير فوضعه بين يدي أميرالمؤمنين عليه السلام، قالوا: فمسح يده على رأسه وقال: كيّس كيّس، فلزمه هذا الاسم.

له الأُمور، وتُلْوَى لديه الأَزِمَة، نُهىً مَوْصُوف في أحاديثهم عليهم السلام بأنّه: «ما عُبِدَ به الرَّحمن، واكتُسِبَ به الجَنان»[١] لا ما كان يُعْجِبُ غيرَهُ عليه السلام من تَمَحُّل الدُّهاة المعروفين كمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، فقد جاء عنهم عليهم السلام: «تلك النُّكَراء، تلك الشَّيْطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل»[٢].

فهو سلام الله عليه لا يُطري مثلَها لاسيّما فيمن يحنو ويعطف عليه، ويُجلسه في حجره، وإنَّما المعقول مِن مَغْزَى كلامه عليه السلام هو ما ثبت في أحاديث أهل البيت عليهم السلام من أنَّ «المؤمن هو الكيِّس الفطِن»[٣]، فكأنّه كان نُصْبَ عينيه ما سوف يَنُوءُ به المختار من الدعوة إليهم، وإثلاج صدورهم باستئصالِ شَأْفةِ واتريهم، مشفوعاً ذلك بِحِلْمٍ راجحٍ، وكِياسةٍ يُمْدَحُ عليها، فهو من تَنَبُّئِهِ الصادق ومغيّباته الواقعة من حِنْكَةِ المختار، وحزمِهِ في أمر الدين، وتفانيه في ذلك، وهذا غير بعيد فيمن أَطْفأَ لوعةَ سيِّد النبيّين صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأَخْمَدَ شِواظ المُصابِ من أئمّة الدين عليهم السلام، وطَلَبَ ثارات سَيِّدة نساء العالمين عليها السلام.

قال الفقيه ابن نما: فَيالَها منقبةً حازها، ومثوبةً أحرزها، فقد سَرَّ النَّبيَّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بفعله وإدخاله الفرح على عترته وأهله، وقد قلتُ هذه الأبياتَ مع كَلال الخاطر، وقذى الناظر:

---

(١) الكافي ١: ١١/ح٣.

(٢) من تتمّة الحديث المتقدّم.

(٣) الكافي ٢: ٢٢٦/ح١.

سَـرَّ النَّبيَّ[١] بأَخـذِ الثَّـارِ مِـن عُـصَـبٍ
بـاءُوا بِـقَتلِ الحُسَـينِ الطَّـاهرِ الشِّيَمِ

قَوْمٌ[٢] غُـذُوا بِـلَبانِ[٣] البُـغْضِ وَيْـحَهُمُ
لِلْــمُرتَضى وبَــنيهِ ســادَةِ الأُمَــمِ

حـازَ الفَـخارَ الفَـتى المُـختارُ إذ قَـعَدَتْ
عَــن نَـصْرِه ســائِرُ الأَعـرابِ والعَـجَمِ

جــادَتْهُ مِــن رَحــمةِ الجَــبَّارِ سـارِيَةٌ
تَــهْمِي عَـلى قَـبْرِهِ مُـنْهلَّةَ الدِّيَـمِ[٤]

* * *

(١) يصحّ ضبطها أيضاً: «سُرَّ النبيُّ».
(٢) تصحّ بالرفع، بمعنى هم قومٌ، وبالجرّ على البدل.
(٣) اللّبان: الصَّدْرُ.
(٤) ذوب النُّضار: ١٢٥، وعنه في البحار ٤٥: ٣٧٧.

[انقطاعه لأهل البيت عليهم السلام]

لم يبرح المُختار على ما كان عليه منذ العهد العلوي ـ من الانقطاع إلى أهل البيت عليهم السلام، والتزلّف إليهم.

وفي «الإصابة»: عن ابن سعد، عن الواقدي بأسانيده، وذكر حديثاً فيه شهادة أبي عبيد أسلفنا ذكره.

قال: وأقام المختار بالمدينة منقطعاً إلى بني هاشم، ثمّ كان مع عليّ عليه السلام بالعراق، وسكن البصرةَ بعد عليٍّ عليه السلام... قال: وَوُشي إلى عبيدالله بن زياد عنه أنّه يُنْكِرُ قتلَ الحسين عليه السلام ونحو ذلك، فأمر بجَلْدِهِ وحَبْسِهِ، حتَّى أرسل ابنُ عمر يشفَعُ فيه، فنفاه إلى الطائف، فأقام بها حتَّى مات يزيد بن معاوية... إلخ[١].

وإذ وَلَّى معاويةُ على الكوفةِ مغيرةَ بنَ شعبة غادر المختار العراق حتَّى أتى مدينة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، وكان يجالس فيها محمّد بن الحنفيّة، ويأخذ عنه الأحاديث[٢].

وقال الإمام الباقر عليه السلام في كلام له في الثناء على المختار: «وأخبرني

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٧/ الترجمة ٨٥٦٧.

(٢) انظر ذوب النُّضار: ٦٧.

ـ والله ـ أبي أنّه كان لَيَسْمُرُ[١] عند فاطمة بنت عليّ عليه السلام، يمهّد لها الفراش، ويثني لها الوسائد»[٢].

وفي «روضة الصفا»: إنَّ الحسين عليه السلام لمّا أرسل مسلماً إلى الكوفة أمره أن ينزل فيها دار رجل متصلّب في الولاء، ثابت عليه، فأتى مسلمٌ الكوفةَ، ونزل دار المختار[٣]. فهو إمّا أنَّه عرف بالقرائن الحالية أنَّه عليه السلام قصد بذلك المختار، فامتثل أمره بالنزول عنده، أو وجد ما وصفه متحقّقاً فيه، فطبَّق كلامه به. وفي كُلٍّ منهما للرجل من الحُسنى ما لا مزيد عليه.

قال: وهو لم يزل مُخْتَفِياً به حتَّى رضيت عنه الشيعة، واعتذرت إليه عمَّا يصدر منها من النَّيل منه منذ يوم المدائن لخَطَإِ ظُنُونهم فيه[٤].

أقول: وسيأتي وجه القول فيه إن شاء الله تعالى.

وروى ابن نما في رسالته «ذوب النُّضار»: أنّه قَبْلَ إِمارته بالكوفة: جعل يتكلَّم بفضل آل محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وينشر مناقب عليّ والحسن

---

(١) أقول: في رجال الكشّي ط دانشگاه مشهد تحقيق حسن المصطفوي «ليتمّ».
وفي البحار ٤٥: ٣٤٣ كما ذكره شيخنا المؤلّف «ليسمر» ثمّ يقول صاحب البحار قدّس سرّه: بيان: لَيَسْمُرُ من السَّمَر وهو الحديث بالليل. وفي بعض النسخ: «ليستمر»، فهو إمّا افتعال أيضاً من السَّمَر، أو بتشديد الراء؛ أي كان دائماً عندها. وفي بعض النسخ «ليبتم» وفي بعضها «ليتمّ». والأوّل كأنّه أصوب. انتهى.
وفي بعض النسخ «لَيَمُرُّ» كما في هامش العوالم: ٦٥١، وفي بعضها «لَيُقيم» كما في قاموس الرجال ١٠: ٦/ الترجمة ٧٤٣٤، وفي جامع الرواة ٢: ٢٢٠ «وأخبرني أبي أنّه كانت أُمُّهُ عند فاطمة بنت علي».
(٢) رجال الكشّي ١: ٣٤٠/ آخر الحديث ١٩٩.
(٣) روضة الصفا ٣: ٢٠٩.
(٤) روضة الصفا ٣: ٢٠٩.

والحسين عليهم السلام، ويُسَيِّر ذلك، ويقول: إنَّهم أحقُّ بالأمر مِنْ كُلِّ أَحَدٍ بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ويتوجّع لهم ممّا نزل بهم[١]... إلخ.

وستقف على أقوال له كثيرة، وأعمالٍ كلّها تَنُمُّ عن ولائه الخالص، وانقطاعه الأَكيد إلى أهل البيت عليهم السلام، ولم نذكر هنا إلّا نماذج من نتائج عرفانه الكامل، وإيمانه الثابت من الدعوة إليهم، والأخذ عنهم، وخدمتهم رجالاً ونساءً. كُلُّ هذه في ذلك الموقف الحرج، عَلَى حين أنَّ لتيّار بطش الأُمويّين خَرِيرَهُ المُرْهِب، وفي الأَخيرِ كان لبوائق ابن الزبير وتهوُّره مجالُها الواسِع.

لكنَّ المختار بالرغم من تلكم الكوارث والصُّرُوف لم يبارح الهتاف بحقّ آل محمّد ـ صلوات الله عليهم ـ في غيابَةِ الجُبِّ[٢] تارة، وعلى ظهر الناقَةِ أُخرى، وفي صدر النَّدِيِّ ثالثةً.

هذا والناسُ تَرْتَطِمُ في طخْياتِ[٣] البَغْضاء والشَّنآن لأئمّة الدين عليهم السلام، ومخالبُ النَّصْبِ مُنْشَبَةٌ بشيعتهم.

هذا ما يدلّك على طَرَفٍ من كمال نفسيّته وعقليّته.

---

(١) ذوب النُّضار: ٦٧.

(٢) يقصد السِّجن.

(٣) الطّخْية، مثلّثة الطاء: الظلمة الشديدة.

[جدارته في قيادة الأُمّة]

وأمّا ما احتواه من حِنْكَةِ الإمرة والجَدارة في قيادة الأُمّة، فأصدق شاهد لنا في ذلك أيّامه الذهبيّة يوم خفقت عليه الألوية، وتوطّد له الأُمور.

قال القاضي نور الله التستري في «المجالس»: إنَّ بعد الفتح بوقعة «خازِر»(١) امتدَّت سلطته من الكوفة إلى المدائن، إلى ديار ربيعة ومضر. ثمَّ ذكر أَنَّه استولى على ممالك من العراق إلى حدود الريّ وخراسان ونهاوند، وإلى حدود إصفهان وإلى أعمال أَذربيجان. فكانت الخطبةُ باسمه فيها جمعاء، والحُكْمُ لعمّاله، إلى أن استُشْهِد رحمه الله في وقعة مصعب بن الزبير.

وقال: إنّه فرّق عمّاله على البلاد من أهل الحِنْكَة والتَّدريب، فأخذوا البيعة له، وبسطوا فيها العدل، وهو بنفسه نشر راية القِسْطِ بالكوفة، وقمع أُصُول الجور، وكبح جماح الظالمين(٢).

وإليك أسماء من ولّاهم على البلاد برواية أبي حنيفة الدينوري في «الأخبار الطوال»؛ قال:

---

(١) خازِر: نهرٌ بين إربل والموصل ثمّ بين الزّاب الأعلى والموصل... وهو موضع كانت عنده وقعة بين عبيدالله بن زياد وإبراهيم بن مالك الأشتر النخعي في أيّام المختار، ويومئذٍ قُتِلَ ابنُ زياد الفاسق، وذلك في سنة ٦٦ للهجرة. معجم البلدان ٢: ٣٣٨.

(٢) مجالس المؤمنين ٢: ٢٤٩.

ثمّ إنّ المختار غلب على الكوفة، ودانت له العراق وسائر البلاد إلّا الجزيرة والشام ومصر ـ فإنّ عبدالملك قد كان حماها ـ ووجّه عُمّاله في الآفاق، فاستعمل عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهَمْداني[1] على المَوْصِل، ومحمّد بن عثمان التميمي على أَذربيجان، وعبدالله بن الحارث ـ أخا الأشتر ـ على الماهين[2] وهَمَذان، ويزيد بن معاوية البجلي على إصفهان وقُم وأعمالها، وابن مالك البكراوي على حُلْوان[3] وماسَبَذان[4]، ويزيد بن نَجَبة الفزاري على الرَّيِّ ودستَبى[5]، وزجر بن قيس على جُوخَى[6].

---

(١) الهَمْدَاني: بسكون الميم، وبالدال المهملة، نسبة إلى قبيلة هَمْدان اليمانيّة القحطانيّة، وكانت شيعةً لأميرالمؤمنين عليه السلام، وفيهم يقول:

ولو كنتُ بَوَّاباً على بابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لهَمْدانَ ادخُلُوا بسَلامِ

وأمّا «هَمَذَان» المدينة الإيرانيّة فهي بفتح الميم وبالذال المعجمة. وكثير من الناس يخلط بينهما ويجعل القبيلة والمدينة بالدال المهملة، والأمر على ما علمت.

(٢) الماهان: الدينور ونهاوند. وماهان: مدينة بكرمان. ويقال لنهاوند وهَمَذان وقم: ماه البصرة. انظر معجم البلدان ٥: ٤٨.

(٣) بلد في العراق، آخر حدود السواد ممّا يلي الجبال من بغداد، قيل: إنّها سمّيت باسم حلوان بن عمران بن قضاعة، وكان أقطعه إيّاها بعض الملوك، وكانت مدينة عامرة، لم يكن بالعراق بعد البصرة والكوفة وواسط وبغداد وسامرّاء أكبر منها، وحواليها عيون كبريتيّة، ينتفع بها من عدّة أدواء. انظر معجم البلدان ٢: ٢٩٠ ـ ٢٩١.

أقول: وتعرف اليوم بـ«زهاو» وينسب إليها آل الزّهاوي الأُسرة المعروفة.

(٤) ماسَبَذان: أصلها ماه سبذان، وهي مدن عدّة، وبها قبر المهدي، وليس له أثر إلّا بناء قد تعفّت رسومه ولم يبق منه إلّا الآثار. انظر معجم البلدان ٥: ٤١.

(٥) دَسْتَبَى: كورة كبيرة كانت مقسومة بين الرّيّ وهَمَذان، فقسم منها يُسمّى دستبى الرّيّ، وقسم منها يسمّى دستبى هَمَذان. انظر معجم البلدان ٢: ٤٥٤.

(٦) جُوخَى: اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد، بالجانب الشرقي منه الراذانان، وهو بين خانقين وخوزستان. انظر معجم البلدان ٢: ١٧٩.

وفَرَّقَ سائرَ البلدان على خاصّته، وولّى الشرطة كيسان أبا عمرة، وأمره أن يجمع ألف رَجُلٍ من الفَعَلَةِ بالمعاول ويتتبَّع دُورَ من خرج إلى قتال الحسين بن عليّ ـ عليهما السلام ـ فيهدمها.

وكان أبو عَمْرَة بذلك عارفاً، فجعل يدور بالكوفة على دورهم فيهدم الدار في لحظة، فمن خرج إليه منهم قَتَلَهُ، حتّى هَدَمَ دُوراً كثيرة، وقَتَل أُناساً كَثِيراً، وجعل يطلُبُ ويستقصي، فَمَنْ ظَفِرَ به قتله، وجعل ماله وعطاءه لرجل من أبناء العجم الذين كانوا معه[1].

وفي «تاريخ الطبري»: عن أبي مخنف، عن حصيرة بن عبدالله الأزدي، وفضيل بن خديج الكندي والنضر بن صالح العبسي، قالوا: أوّل رجل عَقَدَ له المختار رايةً عبدُالله بن الحارث أخو الأشتر، عقد له على إرمينية[2]. وبعث محمّد ابن عمير بن عطارد على أذربيجان. وبعث عبدالرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل. وبعث إسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جُوخى. وبعث قُدامة ابن أبي عيسى بن ربيعة النَّصري ـ وهو حليف لثقيف ـ على بِهْقُباذ الأعلى[3]. وبعث محمّد بن كعب بن قرظة على بِهْقُباذ الأوسط. وبعث حبيب بن منقذ الثوري على بِهْقُباذ الأسفل. وبعث سعد بن حذيفة بن اليمان على حُلْوان. وكان

(١) الأخبار الطوال: ٢٩٢.

(٢) إرْمِينِيَة، بكسر أوّله ويفتح: اسم لصُقع عظيم واسع من جهة الشمال، وقيل: هما إرمينيتان الكبرى والصغرى، وحدّهما من بلاد برذعة إلى بابِ الأبواب، ومن الجهة الأُخرى إلى بلاد الروم وجبل القبق وصاحب السرير. انظر معجم البلدان ١: ١٦٠.

(٣) بِهْقُباذ: اسم لثلاث كور ببغداد من أعمال سقي الفرات، منها بهقباذ الأعلى سقيه من الفرات، وهو ستّة طساسيج... والبهقباذ الأوسط وهي أربعة طساسيج... والبهقباذ الأسفل خمسة طساسيج. معجم البلدان ١: ٥١٦.

مع سعد بن حذيفة ألفا فارس بحُلوان. قال: ورَزَقَهُ ألفَ درهم في كُلِّ شهر، وأَمَرَهُ بقتال الأكراد، وبإقامة الطرق، وكتب إلى عمّاله على الجبال يأمرهم أن يـحملوا أموال كورهم إلى سعد بن حذيفة[١] ... إلخ.

وقال الدينوري في «الأخبار الطوال» بعد ذكر وقعة ابـن زيـاد ومـقتله: وإنَّ إبراهيم ابن الأشتر أقام بالموصل، ووجّه عـمّاله إلى مُـدُن الجـزيرة، فـاستعمل إسماعيلَ بن زُفَر على قَرْقِيسياء، وحاتم بن النّعمان الباهلي على حَرَّان والرُّها، وسُمَيْساط، وعُمير بن الحُباب السُّلَمي على كَفْرتُوثا، والسَّفَّاح بن كُرْدُوس على سِنْجار، وعبدالله بن مسلم على مَيَّافارْقِين، ومسلم بن ربيعة العُقيلي على آمِد، وسار هو إلى نَصِيبين فأقام بها[٢].

هذا ما وقفتُ عليه من أسماء عُمَّاله على اختلاف الرواية فيه، وهم الذين قال عنهم القاضي التُّستري: «إنّهم نشروا العدل، ورفعوا أعلامه».

ولقد تخلَّلَتْ أيَّامَ إمرته حروبٌ طاحنةٌ، وأُمورٌ عظيمةٌ، وأعمالٌ ناجِعَة، وأيادٍ في الدين والأُمّة بيضاء ناءَ بها بِجَأْشٍ طامِنٍ[٣]، وحُلُمٍ راجِح، وبَصيرةٍ مَصُونَةٍ. كما أنَّ في عطائه الجَزْل، وسَيْبِ[٤] يمينه المدرار ـ على ما سوف يُنْهَى إليك شطره إن شاء الله تعالى ـ ما يُرْشِدُك إلى أنَّه كان يباري الريح في هِباتِهِ، كما أنَّه كان يُجاري الأَسَد في هَبَّاته.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٠٩.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٣) الجَأْش: القلب. والطّامن: الساكن المستقرّ. ومنه قول الإمام الحسين عليه السلام من كتاب له لأهل الكوفة لمّا رأى خذلانهم: فهَلّا ـ لكم الويلات ـ تركتمونا والسيف مشيم، والجأشُ طامن. تحف العقول: ٢٤٠.

(٤) السَّيب: العطاء والعُرْف.

[عبادته]

وممّا اختصّه به المولى سبحانه ـ مع أنَّ عداده في الفرسان والأُمراء ـ التَّهالكُ في العبادة، والدَّأْبُ عليها.

روى المسعودي في «مروج الذهب» عن حرمتين من حُـرمه ـ هـما بـنت[١] سمرة ابن جندب الفزاري، وابنة[٢] النعمان بن بشير الأنصاري ـ أَنَّه لمَّا عَـرَضَ عليهما مصعبُ بن الزبير البراءةَ من المختار، قالتا: «كيفَ نتبرَّأُ مـن رجـلٍ كـان يقول: ربّي الله ؟! كان صائِمَ نهاره، قائمَ ليلِهِ، قد بذل دمه للّه ولرسوله صلّى الله عليه وآله في طلب قَتَلَة ابن بنتِ رسولِ الله صـلّى الله عـليه وآله وسـلّم وأهـلِه وشيعته، فأمكنه الله منهم حتَّى شَفَى النُّفُوسَ»[٣].

وفي «تاريخ الطبري»: إنّ ابنة النّعمان قالت: رَحْمَةُ الله عليه، إنَّه كان عبداً من عباد الله الصالحين[٤].

لو كانت هذه الشهادة منهما على عهد المختار لأَمكـن تَسَـرُّب الشّكّ إليـها؛

---

(١) وهي أُمُّ ثابت، كما في الأخبار الطوال: ٣٠٩، وتاريخ الطبري ٤: ٥٧٣.

(٢) وهي عَمْرَة، كما في الأخبار الطوال: ٣٠٩، وتاريخ الطبري ٤: ٥٧٤.

(٣) مروج الذهب ٣: ١٠٧.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٥٧٤.

لطمعٍ في عطفه، أو رهبةٍ من بطشه، أو لعُلْقةِ الحُبِّ المُعْمِي والمُصِمِّ بينهما، وأمّا في هذه الساعة الحرجة ـ التي لم يَبْقَ فيها من المختار إلّا ظِلٌّ متقَلِّصٌ، والمُسيطر على الإمرة قاتِلُهُ، ومُرِيدُ البطش بهما إن لم تتبرّآ منه ـ فإنَّ شهادتهما تعدِلُ الدُّنيا.

ولذلك قَتَلَ عمرةَ بنت النعمان لمّا أبت عن ذلك نهائيّاً ـ ابتداءً؛ كما في رواية الدينوري[١]، أو بعد مكاتبة أخيه عبدالله بن الزبير وصدور الأمر بقتلها منه كما رواه المسعودي[٢] والطبري[٣] ـ وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة القرشي[٤]:

(١) الأخبار الطوال: ٣٠٩ وفيه: «وأبت عمرة أن تتبرّأ منه، فأمر بها مصعب، فأُخرجت إلى الجبّانة، فضربت عنقها».

(٢) مروج الذهب ٣: ١٠٧ وفيه: «فكتب مصعب إلى أخيه عبدالله بخبرهما وما قالتاه، فكتب إليه: إن هما رجَعَتا عمّا هما عليه وتبرّأتا منه وإلّا فاقتلهما، فعرضهما مصعب على السيف، فرجعت بنت سمرة ولعنته وتبرّأت منه، وقالت: لو دعوتني إلى الكفر مع السيف لكَفَرْتُ: أشهد أنّ المختار كافر [انظر تقيّتها في ذلك]، وأَبَتْ ابنة النعمان بن بشير، وقالت: شهادة أُرزَقها فأتركها؟! كلّا، إنّها موتة ثمّ الجنّة والقدوم على الرسول وأهل بيته، والله لا يكون؛ آتي مع ابن هند وأترك ابن أبي طالب؟! اللهمّ اشهد أنّي متّبعة لنبيّك وابن بنته وأهل بيته وشيعته، ثمّ قَدَّمَها فقتلت صبراً».

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٥٧٣ وفيه: «إنّ مصعباً بعث إلى أُمّ ثابت بنت سمرة بنت جندب امرأة المختار، وإلى عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري وهي امرأة المختار، فقال لهما: ما تقولان في المختار؟ فقالت أُمّ ثابت: ما عسينا أن نقول؟ ما نقول فيه إلّا ما تقولون فيه أنتم، فقالوا لها: اذهبي. وأمّ عمرة فقالت: رحمة الله عليه إن كان عبداً من عباد الله الصالحين، فرفعها مصعب إلى السجن وكتب فيها إلى عبدالله بن الزبير: إنّها تزعم أنّه نبيّ، فكتب إليه أَنْ أَخْرِجها فاقتلها، فأخرجها بين الحيرة والكوفة بعد العتمة فضربها مَطَرٌ ثلاث ضربات بالسيف».

(٤) نسبها إليه الطبري في تاريخه ٤: ٥٧٤، واليعقوبي في تاريخه ٢: ٢٦٤، وابن الأثير في تاريخه ٤: ٢٧٥، وابن كثير في البداية والنهاية ٨: ٣١٨.
وهي دون عزو في الأخبار الطوال: ٣١٠، والفتوح، لابن أعثم ٦: ٢٩٣.

[من الخفيف]

إنَّ من أَعْجَبِ العجائِبِ عِنْدِي قَـتْلَ بَـيْضاءَ حُـرَّةٍ عُـطْبُولِ[١]

قَـــتَلُوها بـغَيرِ ذَنْبٍ سَـفاهاً إنَّ للّـــهِ درَّهــا مِــن قَــتِيلِ

كُـتِبَ القَـتْلُ والقِـتالُ عَـلَيْنا وعَلَى المُحْصَناتِ جَرُّ الذُّيولِ

وقال سعيد بن عبدالرحمن بن حسّان بن ثابت[٢]:

[من الطويل]

أَلَــمْ تَـعْجَبِ الأَقْـوامُ مِــن قَـتْلِ حُـرَّةٍ

مِنَ المُخْلِصاتِ الدِّيـنَ مَـحْمُودَةِ الأَدَبْ

مِـــنَ الغَـــافلاتِ المُـؤْمِناتِ بَـرِيئَةٍ

مِـــن الزُّوْرِ والبُـهْتانِ والشَّكِّ والرِّيَبْ

عَـــلَينا كـتابُ الله فـــي القَـتْلِ واجِبٌ

وهُنَّ الضِّعافُ في الحِجالِ وفي الحُجُبْ

فـقُلْتُ ولم أَظْـلِم: أَعَـمْرو بـنُ مـالِكٍ

يُقتَّلُ ظُلْماً لَـم يُـخالِفْ ولَـم يَـرِبْ[٣]؟!

---

(١) العطبول: الحَسَنةُ التامّة.

(٢) اختصّ بروايتها بهذا الشكل الدينوري في الأخبار الطوال [: ٣١٠]، وستأتي عن الطبري في التاريخ [٤: ٥٧٤] مع زيادة ونقيصة وتغيير. (المؤلّف).

(٣) رابَهُ يَرِيبُهُ وأَرابَهُ يُرِيبُهُ: أوقعه في الرَّيب والتُّهمة والظِّنَّة» فعلى ذلك يصحّ ضبطها أيضاً: «يُرِبْ».

وَيَسْــــبِقُنا آلُ الزُّبَــــيرِ بِــوَتْرِنا
ونَحنُ حُماةُالنَّاسِ في البـارِقِ الأَشِبْ(١)؟!
فَــإنْ تُـعْقِبِ الأَيَّـامُ مِـنْهُمْ نُـجازِهِمْ
عَـلَى حَـنَقٍ بـالقَتلِ والأَسْرِ والحَـنَبْ(٢)

فتلكَ الشَّهادة في مثل هذه الساعة البَئِيسة ليس لها دافع إلَّا تَـحرِّي الصِّـدق والأمانة. ويظهر دأبُهُ على الصوم من غير موضع من التاريخ حتَّى ساعة الحرب، ومواقف النِّضال، ولعلَّنا نُلْمِحُ إلى بعضها فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

(١) البارق الأَشِب: البارق: موضع قرب الكوفة. والأَشِبُ: الكثير الشجر. كذا فُسّر في هامش الأخبار الطوال المحقّق، وأرى أنّ صوابَهُ «البارِقِ الأَشَبْ»، والبارق بمعنى اللّامع، والأَشَبّ: المتوقِّد، أي أنّهم حماة الناس في الحروب. وذلك لأنّ منطقة «بارق» تقال بلا ألف ولام، والمعنى الذي ذكرناه أنسب.

(٢) الحَنَب والتَّحنيب: اعوجاج في الضلوع.

[فصاحته]

كان المختار مُفَوَّهاً لَسِناً، وفي عداد الخطباء البلغاء، فإذا أفاضَ القول استرسل كالسيل المنحدر، وإذا خطب أتى بجُمَلٍ دامغة لأعداء الهدى، مُرْعِدَةٍ فرائِصَهُمْ: «كجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيلُ من عَلِ»(١).

قال ابن نما: كانَ المختارُ ذا مِقْوَلٍ مَشْحُوذِ الغِرار، مَأْمُونَ العِثار، إن نَثَرَ سجع، وإن نَطَق بَرَع، ثابت الجنان، مقدَّم الشُّجعان، ما حدَسَ إلَّا أصاب، ولا تفرَّسَ قَطُّ وخاب، ولو لم يكن كذلك لما قام بإدراك المفاخر، ورَأَسَ الأُمراءَ والعَساكر(٢)....

وصفو القول: أَنَّ المولى سبحانه أنعمَ على المختار في نفسيّته الكاملة بكلّ فضيلة، وحَباه شِدَّةً في لينٍ، وقُوَّةً في تمكين، وثَراءً في زهد، ونُسكاً مع جهد، وكرامةً في الأخلاق، وطهارةً في الأعراق، وبلاغةً في القول والفعل.

---

(١) هذا عجز بيت لامرئ القيس من معلّقته، وصدرُهُ: «مِكرٍّ مِفرٍّ مُقبلٍ مُدْبرٍ معا».

(٢) ذوب النُّضار: ٦٧.

[مدائحه]

ولقد مدحتُهُ بهذه القصيدة، وعطفتُ فيها على مديحِهِ إطراءَ صاحبِهِ، ومُشاطِرِهِ في فضيلة الثار ـ إبراهيمَ بنِ مالك الأشتر ـ رضوان الله عليهما:

[من الكامل]

يَـهْنِيكَ يـا بَـطَلَ الهُـدَى والثَّـارِ
مـا قَـدْ حَـوَيْتَ بِـمُدْرِكِ الأَوْتـارِ[1]

لَكَ عِـنْدَ آلِ مُـحَمَّدٍ كَـمْ مِـنْ يَـدٍ
مَشْكُـورَةٍ جَـلَّتْ عَـنِ الإِكْـبارِ

عَـرَفَتْكَ مُـقْبِلَةُ الخُـطُوبِ مُـحَنَّكاً
فِـيهِ جَـنانُ مُـهذَّبٍ مِـغْوارِ

أَضْـرَمْتَ للـحَرْبِ العَـوانِ لَـظًى بِـها
أَضْـحَتْ بَـنُو صَـخْرٍ وَقُـودَ النَّـارِ

وَأَذَقْتَ نَـغْلَ سُـمَيَّةٍ بَأْسَ الهُـدَى
وأُمَـيَّةً كَأْسَ الرَّدَى وَالعَـارِ

(١) مدرك الأوتار هو السيف. أو المراد ما قد حويت من المجد بلقب مُدرِك الأوتار.

فَـرأَوا هَـوانـاً عِـندَ ضِـفَّةِ «خَـازَرٍ»[١]
بِـــمُهَنَّدٍ عِـــندَ الكَـــرِيهَةِ وارِي
فَـــرَّقْتَ جَـمْعَهُمُ العَـرَمْرَمَ عَـنْوَةً
يَـــومَ الهِـــياجِ بِـــفَيْلَقٍ جَـرَّارِ
وفَوارِسٍ مِـن حِـزْبِ آلِ المُـصْطَفى
أُسُـدِ الوَغَـى خَـوَّاضَـةِ الأَخْـطارِ
وَبَـــواسِـــلٍ لم تُـغْرِهِمْ وَثَـباتُهُمْ
إلَّا بِكُـــــلِّ مُـــــدَجَّجٍ ثَـوَّارِ
لم يَـــعْرِفُوا إلَّا الإمَـــامَ وثَـــارَهُ
فَـــتَشَادَقُوا فِـيها بِـ«يـا لِـلثَّارِ»[٢]
فَـــتفَرَّقَتْ فِـــرَقاً عُـــلُوجُ أُمَـيَّةٍ
مِـــنْ كُـــلِّ زَنَّـــاءٍ إلى خَـــمَّارِ
وأَخَـذْتَ ثـاراً قَـبْلَهُ لَـمْ تَكْـتَحِلْ
عَـــــلَوِيَّةٌ مُـــذْ أُرْزِئَتْ بـــالثَّارِ
وَعَـمَرْتَ دُوراً هُـدِّمَتْ مـنذُ العِـدى
بِـــالطَّفِّ قَـــدْ أَوْدَتْ بِـرَبِّ الدَّارِ

(١) نهرُ خازر يقع بين أربيل والموصل، وقعت عنده الحرب الشهيرة بين جيش المختار وجيش عبيدالله بن زياد، وعنده قتل الملعون ابن زياد.

(٢) كان شعار أصحاب المختار «يا لِثارات الحسين».

عَـظُمَ الجِـراحُ فَـلَمْ يُـصِبْ أَعْـماقَهُ
إِلّاكَ يـــا حُـــيِّيتَ مِـــن مِسْــبارِ
فـــي نَـــجْدَةٍ ثَـقَفِيَّةٍ يَسْـطُو بِـها
فـي الرَّوْعِ مِـن نَـخَعٍ هِـزَبْرٌ ضـارِي
اَلنَّدبُ «إبْراهِيمُ»[١] مَن رَضَخَتْ له الصِّـ
ـــيدُ الأُبـــاةُ بِـــمُلْتَقى الآصـارِ
مَن زانَـهُ شَـرَفُ الهُـدَى فـي سُـؤْدَدٍ
وَعُـــلاً يَـفُوحُ بِـها أَريـجُ نِـجارِ
حَشْوُ الدُّرُوعِ أَخُو حِجًى مِـنْ دُونِـهِ
هَضْبُ[٢] الرَّواسِي الشُّمِّ في المِقْدارِ
إِن يَـــحْكِهِ فـالَّيْثُ فـــي حَـمَلاتِهِ
وَالغَـــيْثُ فــي تَسْكـابِهِ المِـدْرارِ
أَو يَـــحْوِهِ فَـــقُلُوبُ آلِ مُـــحَمَّدٍ
المُـــــصْطَفَيْنَ السَّـــادَةِ الأَبْــرارِ
ما إِن يَـخُضْ عِـندَ اللِّـقا فـي غَـمْرَةٍ
إِلّا وأَرْسَبَ مَـــن سَـــطَا بِـــغِمارِ
أَو يَـــمَّمَ الجُـــلَّى بِـــعَزْمٍ ثـاقِبٍ
إِلّا وَرَدَّ شُـــــواظَـــــها بِأُوارِ

(١) إبراهيم بن مالك الأشتر، أحد أبرز قوّاد المختار، وهو الّذي قَتَل عبيدَالله بن زياد.
(٢) الهَضْبُ: جمع الهَضْبَة، وهي الجبل الطويل الممتنع.

المُـرْتَدِي حُـلَلَ المَـدِيحِ مَـطارِفاً
والمُـمْتَطِي ذُلُـلاً[١] لِكُـلِّ فَـخارِ
وَعـليهِ كُـلُّ الفَـضْلِ قَـصْرٌ مِـثْلَما
كُـلُّ الثَّـنا قَـصْرٌ عـلى «المُـخْتارِ»
عَـن مَـجْدِهِ أَرِجَ الكَـبا، وحـديثُهُ
زَهَتِ الرَّوابِـي عَـنْهُ بِـالأَزْهارِ
وَمآثِـرٌ مِـثْلُ النُّـجُومِ عِـدادُهـا
قَـد شُـفِّعَتْ بِـمَحاسِنِ الآثـارِ
وكَـفاهُ آلُ مُـحَمَّدٍ وَمَـدِيحُهُمْ
عَـمَّا يُـنَضَّدُ فِـيهِ مِـن أَشْـعارِ

* * *

أَسَفِي عَلَى أَنْ[٢] لَم أَكُنْ مِـنْ حِـزْبِهِ
وَكَـمِثْلِهِمْ عِـنْدَ الكِـفاحِ شِـعارِي
فَـهُناكَ إِمَّـا مَـوْتَةٌ أَرْجُـو بِـها
أَجْـرَ الشَّـهادةِ فـي ثَـناءٍ جـاري
أو إِنَّـني أَحْـظَى بِـنَيْلِ المُـبْتَغَى
مِـن آلِ حَـربٍ مُـدْرِكاً أَوْتـارِي

(١) الذُّلُل: جمعُ الذَّلول، وهو البعير السهل الانقياد.
(٢) بأنّي لم أكن ـ خل.

وَأَخُوضُ في الأَوْساطِ مِنْهُمْ ضارباً
ثَبَجَ العِدَى بالمِقْضَبِ البَتَّارِ
وَلَأُثْكِلَنَّ أَرامِلاً في فِتْيَةٍ
نَشَؤُوا عَلَى الإِلْحادِ في اسْتِهْتارِ
ومَشِيخَةً قَد أَوْرثوا كُلَّ الخَنا
وَالعارِ أُجْرَتَهُ مِنَ الكُفَّارِ
لٰكِنْ عَلَى ما فِيَّ مِن مَضَضِ الجَوَى
إذ لَم أَكُنْ أَحْمِي هُناكَ ذِمارِي
لَمْ تَعْدُنِي تِلْكَ المَواقِفُ كُلُّها
إذ إنَّ ما فَعَلُوا بِها مُخْتارِي
فَلَقَدْ رَضِيتُ بِما أَراقُوا مِن دَمٍ
فِيها لِكُلِّ مُذَمَّمٍ كَفَّارِ[1]
وَلَأَشْفِيَنَّ النَّفْسَ مِنْهُم في غَدٍ
عِنْدَ اشْتِباكِ الجَحْفَلِ المَوّارِ
يَومَ ابنُ طٰه عاقِدٌ لِبُنُودِهِ
وجُنُودُهُ تَلْتَاحُ في إِعْصارِ

(١) قال السيّد الحميري ـ كما في ديوانه: ٤١٨ ـ في قتل أميرالمؤمنين عليه السلام للخوارج:
تلك الدماء معاً يا ربّ في عُنُقي ثمّ اسقني مثلها آمِينَ آمينا

تَشْـوِي الوُجُـوهَ لَـظًى بِـهِ نَـزَّاعـةٌ
لِشَـوَى[١] الكُـماةِ بِأَنْـصُلٍ وشِـفارِ
فَهُنالِكَ الظَّفَرُ المُزِيحُ جَوَى الحَشا
مِـن رازِحٍ مِـن كَـرْبِهِ بِـإِسارِ[٢]
وَيَـتِمُّ فِـيهِ القَصْدُ مِن عُـصَبِ الوَلا
لِـبَني الهُـدَى كـالسَّيِّدِ المُـختارِ[٣]

* * *

يَـا أَيُّـها النَّـدْبُ المُـؤَجَّجُ عَـزْمُهُ
وأَمِـينُ آل المُـصْطَفى الأَطْـهارِ
يـا نُـجْعَةَ الخَطْبِ المُلِمِّ وآفَـةَ الـ
ـكَـربِ المُـهِمِّ ونُـدْحَةَ الأَوْزارِ
لا غَـرْوَ أَنْ جَـهِلَتْ عُـلاكَ عِصابَةٌ
فَـالقَوْمُ فـي شُـغُلٍ عَـنِ الإِبْصارِ
فَـلقَدْ بَـزَغْتَ ذُكـاً وهَـلْ يُـزْرِي بِـها
إِنْ تَـعْشُ عَـنْهَا نَـظْرَةُ الأَبْـصارِ
لَكَ حَـيثُ مُـرْتَبَعُ الفَـخارِ مَـباءَةٌ
وَلِـمَنْ قَـلاكَ مَـزَلَّةُ الأَغْـرارِ[٤]

---

(١) اقتباس من قوله تعالى في الآية ١٦ من سورة المعارج: ﴿ **نَزَّاعَةً للشَّوَىٰ** ﴾.

(٢) الإِسارُ: القِدّ، وهو السَّير الذي يربط به المأسور.

(٣) أي أنّ الدّين يعود كما كان في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله.

(٤) الأَغرارُ: جمعُ الغِرِّ، وهو الشاب الذي لا خبرة له.

وَمُــبَوَّأٌ لَكَ فـي جِـوارِ «مُـحَمَّدٍ»
وَمَــلاذُ عِــتْرَتِهِ حُــماةِ الجـارِ
فَلَئِنْ رَمَـوْكَ بِـمُحْفِظٍ[١] مِـنْ إفْكِـهِمْ
فَـالطَّوْدُ لا يُـلْوَى بِـعَصْفِ الذّارِي
أَو يَــجْحَدُوكَ مَــناقِباً مَأْثُــورَةً
مَشْكُــورَةً فــي الوِرْدِ والإِصْــدارِ
فَـلَكَ الحَـقِيقَةُ، وَالوَقِـيعَةُ لَـمْ تَـزَلْ
عَـن قُـدْسِ مَـجْدِكَ فـي شَـفيرٍ هـارِ
فَــتَهَنَّ مُــحْتَبِياً بِسُــؤْدَدِكَ الَّـذِي
تَــزْوَرُّ عَــنْهُ جَـلْبَةُ[٢] المِـهْذارِ
خُـــذْها إِلَـيْكَ قَـصِيدةً مَـنْضُودَةً
مِن جَوْهرٍ أو مِن «سَبِيكِ نُـضارِ»[٣]
لَـمْ يَـحْكِها نَـجْمُ السَّماءِ لأَنَّـها
بَــزَغَتْ بِشَــارِقَةٍ مِــنَ الأَقْـمارِ
كَـلَّا ولا ضَـاهى مَـحاسِنَ نَـظْمِها
ما عَـنْ «حُـطَيْئَةَ» جاءَ أَو «بَشَّـارِ»[٤]

---

(١) المُحْفِظ: المُغضِب، اسم فاعل من أحْفَظَهُ بمعنى أغضبه.

(٢) الجَلَبَةُ: الضّجّة والصّياح واختلاط الأصوات. وتسكين اللّام ضرورة قبيحة.

(٣) إشارة إلى مؤلّفه قدّس سرّه عن المختار ـ كما سبق.

(٤) الحطيئة: هو الشاعر العبسي المعروف بالهجاء، وبشّار هو ابن برد. ولو قال بدل «عن حطيئة» «عن حبيب» وهو أبو تمّام لكان أصوب، لأنّ الحطيئة هجّاء، وأبا تمّام مبدع في المراثي.

هِـيَ غـادَةٌ زُفَّتْ إلَـيْكَ ولَـمْ يُشَـنْ
إقْـــبالُها بِـــــدَعارَةٍ ونِـــفارِ
هَـــبَّتْ عَـــلَيْكَ نَســائِمٌ قُـدْسِيَّةٌ
حَـــيَّتْ ثَـــراكَ بِـــرَحْمَةٍ ويَســارِ
وسَقَى «لإبْراهِـيمَ» مُـضْطَجَعَ الهُـدَى
وَدْقُ الغَـــمامِ المُـــرْزِمِ المِكْـــثارِ
مـا نـافحَ الرَّوضَ النَّسِـيمُ مشـفّعاً
سَـجْعَ البَـلابِلِ فِـيهِ شَـدْوَ هَـزارِ
يَـتْلُو كَـما يُـتْلَى بِكُـلِّ صَـحِيفَةٍ
مَـــرَّ العَشِـــيِّ وَكَـرَّةَ الإبْكـارِ[١]

(١) ذكر هذه القصيدة صاحب الغدير ٢: ٣١١.

وقال عبدالله بن همَّام يذكر المختار وموقفه مع ابن مطيع، وازدلاف الأُمراء والجيوش لنصرته وتمامَ النَّصْر له. ذكرها الطبري في «التاريخ»[١]. وذكر الدينوري في «الأخبار الطوال»[٢] أبياتاً منها، وإليك نصّها عن الطبري مع حذف أبيات من أوّلها:

[من الطويل]

وَفي لَيْلَةِ المُختارِ ما يُذْهِلُ الفَتَى
ويُلْهِيهِ[٣] عَن رُؤْدِ الشَّبابِ شَمُوعِ[٤]
دَعا يا لِثَاراتِ الحُسَيْنِ فأَقْبَلَتْ
كتائِبُ مِن هَمْدانَ بَعدَ هَزِيعِ[٥]
وَمن مَذْحِجٍ جاءَ الرئيسُ ابنُ مالكٍ
يَقُودُ جُموعاً عُبِّئَت[٦] بِجُموعِ
وَمِن أَسدٍ وافى يَزِيدُ لِنَصْرِهِ
بكُلِّ فتىً حامِي الذِّمارِ[٧] مَنِيعِ
وَجاءَ نُعَيمٌ خَيْرُ شَيْبانَ كُلِّها
بأمرٍ لَدَى الهَيْجَا أَحَدَّ جَمِيعِ

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥١٠ ـ ٥١١.
(٢) الأخبار الطوال: ٢٩١، ذكر منها الأبيات الأربعة الأُولى فقط.
(٣) ويزويه (خ ل) الأخبار الطوال.
(٤) رُؤْدُ الشباب: ناعمة الشباب غضته. والشَّمُوع من النساء: اللَّعُوب المزّاحة الضحوك.
(٥) الهَزِيعُ: الطائفة من الليل.
(٦) أردفت (خ ل) الأخبار الطوال.
(٧) ماضي الجنان (خ ل) الأخبار الطوال.

وَمـا ابـنُ شُـمَيْطٍ إذ يُـحَرِّضُ قَـوْمَهُ
هُــناكَ بِــمَخْذُولٍ ولا بِــمُضِيعِ
ولا قَـيْسُ نَـهْدٍ لا ولا ابـنُ هَـوازِنٍ
وكُــلٌّ أَخُــو إِخْـبَاتَةٍ وخُشُـوعِ
وَســار أَبُـو النُّـعْمانِ للَّـهِ سَـعْيُهُ
إلى ابــنِ إيـاسٍ مُـصْحِراً لِـوُقُوعِ
بِـخَيْلٍ عَـلَيها يَـوْمَ هَـيْجا دُرُوعُـها
وَأُخـرى حُسُـوراً[١] غَـيْرَ ذاتِ دُرُوعِ
فَكَــرَّ الخُــيُولَ كَــرَّةً ثَــقِفَتْهُمُ
وَشَــدَّ بِأُولاهــا عــلى ابـنِ مُـطِيعِ
فَـولَّى بِـضَرْبٍ يَشْـدَخُ الهـامَ وَقْـعُهُ
وطَــعْنٍ غَـداةَ السِّكَّـتَينِ وَجِـيعِ
فَـحُوصِرَ فـي دارِ الإِمـارَةِ بـائِياً[٢]
بِــذُلٍّ وإرغــامٍ لَــهُ وخُـضُوعِ
فَـمَنَّ وَزِيـرُ ابـنِ الوَصِـيِّ عَـلَيْهِمُ
وكـانَ لَـهُمْ فـي النّاسِ خَيْرَ شَـفِيعِ
وآبَ الهُــدَى حــقّاً إلى مُسْــتَقَرِّهِ
بِــخَيْرِ إيــابٍ آبَــهُ وَرُجُــوعِ

---

(١) كذا الرواية بالنصب في تاريخ الطبري وتاريخ دمشق ٣٣: ٣٥٥.
(٢) باءَ بالذّنب: أَقَرَّ به.

إلى الهاشِميِّ المُـهْتَدِي المُهْتَدَى بِـهِ
فـــنَحْنُ لَــهُ مِــن ســامِعٍ ومُــطِيعِ

روى الطبري: أنَّه لمّا أنشدها المختار قال المختارُ لأصحابه: قد أثنى عليكم كما تسمعون، وقد أحسنَ الثَّناء عليكم، فأَحْسِنُوا له الجزاء، ثمَّ قام المختار ودخل، وقال لأصحابه: لا تبرحوا حتّى أخرج إليكم[١].

ثمّ ذكَر مَنْ وَصَلَهُ مِنْ أُمراء أصحابه ومَنْ حرمه واللَّغَطَ السائد حول ذلك، وإجازةَ ابن الأشتر لابن همّام، وكلامَ المختار في ذلك وعظَتَهُ وغضَبَ هوازن للشاعر، وإسكانَ المختار فورَتَهم بحكمته العمليّة، وأَنَّ إبراهيم ابن الأَشتر أعطاه ألفاً، وفرساً، ومطرفاً، فمدحه بأبيات منها:

[من الطويل]

أَطْـفَأَ[٢] عَـنِّي نَـارَ كَـلْبَيْنِ أَلَّـبا
عَلَيَّ الكِلابَ ذُو الفَعالِ[٣] ابنُ مالِكِ
فَتىً حِينَ يَلْقَى الخَيلَ يَـفْرُقُ بَـيْنَها
بِطَعْنٍ دِراكٍ أَو بِـضَرْبٍ مُـواشِكِ[٤]

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥١١.

(٢) في صدر هذا البيت ما يُسمّى بالخَرْم.

(٣) الفَعال: الفعل الحَسَن، الكَرَم.

(٤) البيتان من قصيدة طويلة له، انظرها في تاريخ الطبري ٤: ٥١٢، وتاريخ دمشق ٣٣: ٣٥٦.

وقال **عبيدالله بن عمرو الساعدي** وكان شاعراً، فدخل على إبراهيم وقد تَمَّ له الفتح في الخازر: [من الكامل]

اللَّــهُ أَعــطَاكَ المَــهابَةَ والتُّــقَى
وأَحَـلَّ بـيتَكَ فـي العَـدِيدِ الأَكْـثَرِ
وأَقَـرَّ عَـينَكَ يـومَ وَقْـعَةِ خـازِرٍ
وَالخَـيْلُ تَـعثَرُ بـالقَنا المُـتَكَسِّرِ
مِـــن ظـالِمينَ كَـفَتْهُمُ آثـامُهُمْ
تُـرِكوا لِـعافِيَةٍ[١] وطَـيْرٍ حُسَّـرِ
ما كـانَ أَجْـرَأَهُمْ، جَـزاهُـمْ رَبُّـهُمْ
شَرَّ الجَزاءِ عَلى ارتِكـابِ المُـنْكَرِ
إِنِّــي أَتَـيْتُكَ إذ تَـناءَى مَـنْزِلي
وذَمَمْتُ إِخوانَ الغنى مِن مَعْشَرِي
وعَـلِمتُ أَنَّك لا تُـضَيِّعُ مِـدْحَتي
ومَـتى أَكُـنْ بِسَـبِيلِ خَـيْرٍ أَشْكُـرِ
فَـهَلُمَّ نَـحْوي مِـن يَـمِينِكَ نَـفْحَةً
إِنَّ الزَّمـــانَ أَلَـحَّ يـابْنَ الأَشْــتَرِ

فأعطاه عشرة آلاف درهم[٢].

---

(١) العافية: طالبو الرزق والفضل. وأراد هنا الذئاب والكواسر التي تطلب جثث القتلى.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٩٦. وقد نسبت الأبيات أو بعضها إلى عبدالله بن الزبير الأسدي. انظر ذوب النُّضار: ١٣٧.

ومدحه ـ على قتل ابن زياد ـ سُراقةُ بن مرداس البارقي بقوله:

[من الطويل]

أَتاكُمْ غُلامٌ مِـن عَـرانِـينِ مَـذْحِجٍ
جَرِيٌّ[1] عَلَى الأَعداءِ غَـيْرُ نَكُـولِ
فَـيابنَ زِيـادٍ بُـؤْ بأَعْـظَمِ مـالِكٍ
وذُقْ حَدَّ ماضِي الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيلِ
ضَرَبْناكَ بالعَضْبِ الحُسـامِ بـحدِّة
إذا مـا أَبَأْنـا[2] قـاتِلاً بِـقَتِيلِ
جَـزَى اللهُ خَـيْراً شُـرْطَةَ اللهِ إِنَّـهُمْ
شَفَوا مِنْ عُبَيدِاللهِ أَمْسِ غَـلِيلي[3]

(١) «جريٌّ» مخفّف «جريءٌ».

(٢) أباءَ فلانٌ القاتِلَ بالقتيلِ: قَتَلَهُ به.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٥٥٧. والأبيات مع أبيات أُخرى في ذوب النُّضار: ١٣٩ منسوبة لأبي السفّاح الزبيدي.

وممّا قيل في المختار ووثبته:

[من الطويل]

وَلَـــمَّا دَعـا المُـخْتارُ جِـئْنا لِـنَصْرِهِ
عَلَى الخَيْلِ تَرْدِي[١] مِن كُمَيْتٍ وأَشْقَرا[٢]
دَعـــا يـــالِثاراتِ الحُسَـيْنِ فَأَقْـبَلَتْ
تَـعادَى[٣] بِـفُرْسانِ الصِّـياحِ لِـتَثْأَرا[٤]

---

(١) رَدَتِ الفَرَسُ تَرْدِي: رَجَمتِ الأرض بحوافرها.

(٢) النصب بالعطف على المحلّ، وذلك كقول الشاعر:

معاويَ إنّـنا بشرٌ فأسـجِحْ   فلسنا بالجبال ولا الحـديدا

(٣) تعادى، أي تتعادى بمعنى تَتَوالى.

(٤) البيتان دون عزو في أمالي الطوسي: ٢٤٠/ح٤٢٤.

وقال الفقيه ابن نما في الرسالة، وهو يتأسّف على ما فاته من مؤازرة السبط ونصرته أو الكون في حشد المختار وجماعته:

[من الطويل]

وَلَـمَّا دعـا المُـختارُ للـثَّأْرِ أَقْبَلَتْ
كَـتائِبُ مِـن أَشـياعِ آلِ مُـحَمَّدِ
وَقَـدْ لَـبِسُوا فَـوقَ الدُّرُوعِ قُـلُوبَهُمْ
وخاضُوا بِحَارَ الموتِ في كُلِّ مَشْـهَدِ
هُـمُ نَـصَرُوا سِـبْطَ النَّـبِيِّ ورَهْـطَهُ
وَدانُـوا بِأَخْـذِ الثَّأرِ مِن كُلِّ مُلْحِدِ
فَـفازُوا بِـجَنَّاتِ النَّـعِيمِ وَطـيبِها
وذلكَ خَـيْرٌ مِـن لُـجَيْنٍ وعَسْـجَدِ
وَلَـو أَنَّـني يـومَ الهِـياجِ لَـدَى الوَغَـى
لأَعْـمَلْتُ حَـدَّ المَشْـرَفِيِّ المُـهَنَّدِ
فَـوا أَسَـفاً إذ لم أَكُـنْ مِن حُـماتِهِ
فَأَقْـتُلَ فِـيهِمْ كُـلَّ بـاغٍ ومُـلْحِدِ[١]

(١) ذوب النُّضار: ١٠٣. وقد أخذ معنى البيتين الأخيرين من شعرٍ لابن الهبارية يتأسّف فيه على عدم إدراكه الحسين عليه السلام.

وللعلّامة المعاصر الشيخ محمّد بن الطاهر السماوي النجفي[1] قصيدة يذكر فيها مآثر المختار ومساعيه، ويمدحه بها:

[من مشطور السريع]

سَلْ مَسْجِدَ الكُوفَةِ عَن جَنْبِ الدّارْ
كَيفَ رَأيتَ الثَّقَفِيَّ المُخْتارْ
جَدَّ بِمُسْلمٍ وهانِي المِغوارْ
فكانَ جاراً لَهُما نِعْمَ الجارْ
قامَ قِيامَ اللَّيْثِ في أَخْذِ الثَّارْ
عَنِ النَّبِيِّ والوَصِيِّ الكَرّارْ
مُوَجِّهاً أربعَةً للفُجّارْ
قَوْلاً ونَبْلاً وظُبىً وَخَطّارْ
واستَعْمَلَ الطَّيْرَ لِبَثِّ الأَخْبارْ
حَتَّى تجِيئَهُ الهُداةُ الأَخْيارْ
فَجمعَ الجَيْشَ اللُّهامَ الجَرّارْ
مِن كُلِّ شِيعِيٍّ بِتِلْكَ الأَقْطارْ
كَمْ جَزَّ رَأْسَ أَبْترٍ بِالبَتَّارْ
وَسَلَّ حَبّاتِ الحَشا بالخَطَّارْ

(١) تُرجِمَ شيخنا السماوي في «سبائك التبر» حرف السين، وكذلك في المجموعة الكبيرة من هذه الموسوعة.

وأَحْـرَقَ الفُـجّارَ فـي لَظَى النّارْ
وكَـمْ لَـهُ مِـن سَـجْدَةٍ عِندَ الدّارْ
إذ وافَـــقَتْ أفـــعالُهُ بـــالكُفّارْ
دُعـــاءَ زَيْـــنِ العـابِدِينَ الأَبْـرارْ
ذاكَ الّـذي أَهْـدَى لِنَجْلِ المُخْتارْ
رَأْسَ ابْنِ مَنْ ما بَرِحَتْ وَسْطَ الدّارْ
تَـعُدُّ رِجْـلاها النُّـجومَ الأَزْهـارْ
فَأَسْـجَدَ المَـوْلى لِـرَبٍّ قَـهّارْ
وَسَـرَّ أَكْـبادَ بَـناتِ الكَـرّارْ
ومَـدَّ أَهْـلَ البَـيْتِ رَبُّ الأَسْـتارْ
بِكُـلِّ دِرْهَـمٍ وكُـلِّ دِيـنارْ
فَكـانَ مِـنْهُنَّ مُـهُورَ الأَبْكـارْ
وَٱخـتارَ مِـنْهُنَّ لَـهُمْ مـا يَـخْتارْ
كَأُمِّ «زَيْـدِ» الطّـاهِرْ ابْـنِ الأَطْـهارْ
يـا فَـلَكاً عَـلَى الحُـرُوبِ دَوّارْ
وكَـوْكَـباً عَـلَى الضِّـرابِ سَـيّارْ
إنْ خـانَ دَهْـرٌ بِـوَفاكَ غَـدّارْ
فَـبَعْدَما أَصْـحَرْتَ كُلَّ الإِصْحارْ
لِكُـلِّ غَـدّارٍ وكُـلِّ خـتّارْ
حَـتّى أَسَـلْتَ مِـن دِماهُمْ أَنْـهارْ

أُقْسِـــمُ مـــا أَمَّكَ وَفْـــدٌ أَو زارْ
إِلَّا وَحَـــــطَّ اللهُ عَـــنْهُ الأَوْزارْ
شَـفَيْتَ يـا مُـخْتارُ بَعْضَ الأَوْتـارْ
وبَـــقِيَتْ لِلـنَّفْسِ جَـمٌّ الأَوْطـارْ
تَـــنْتَظِرُ «الغـائبَ» بَـينَ الحُـضَّارْ
سِـبْطَ النَّـبِيِّ المُـرْتَجى لِلأَوْتـارْ
ذاكَ الَّـــذِي حُـســـامُهُ والمِـقْدارْ
لَـمْ يَـجْرِيا إِلّا مَـعاً فـي مِضْمارْ
ذاكَ الَّـذِي يَـقْصِفُ عُـودَ الأَعْـمارْ
ولَـم يَكُـنْ يُـبْقِي لَـهُمْ مِـن دَيَّـارْ
ذاكَ الَّـذِي يَـنْشُرُ بَـينَ الأَمْـصارْ
قِسْـطاً وَعَـدْلاً بَـيْنَما العادِي جارْ
يـــا رَحْـــمَةَ اللهِ لِـــحَطِّ الأَوزارْ
المُـنْقِذُ الهَـلْكَى عَـلَى جُـرْفٍ هـارْ
إِلَـيكَ نَشْكُـو مـا لَقِينا مـن زارْ(١)
وعـــائِبٍ يُـبْدِي عَـلَيْنا الإِنْكـارْ
يَـعُدُّ فـي الغَـيبِ انـتظارَنا عـارْ
ولَـــم نَكُـنْ نَـحتَجُّ بَـينَ النُّظَّارْ

(١) اسم فاعل من زَرَى يزري، بمعنى عَابَ، فهو زارٍ أي عائبٍ.

وَنَــخْرِقُ الحُــجْبَ لَهُمْ والأَسْتارْ
إِذْ قُــلْتُمْ اتَّــقُوا وصُــونُوا الأَسْرارْ
كَمْ ذا عَلَى الضَّيْمِ تُقِيمُ الأَحْرارْ
وَكَــمْ تُــرَى يَــصْبِرُ مِــنَّا الصَّــبَّارْ
قَدْ شَخَصَتْ(١) مِنَّا إِلَيْكَ الأَبْصارْ
وَالدَّمــعُ أَو والدَّمُ مِــنها مِــدْرارْ
عَــجِّلْ فَــدَيْناكَ إِلى أَخْــذِ الثَّــارْ
فَـــاللَّهُ قَـــد وَلَّاكَ فِــيما تَــخْتارْ
وَاخْــتارَكَ «القــائِمَ» فِــينا الأَمَّــارْ
والكُـــلُّ لا تَــقْبَلُ مِــنْكَ الأَعْــذارْ
فَأَنتَ لَــو شِــئْتَ عَكَسْتَ الأَقْدارْ
وَلُحْتَ كالصُّبْحِ آنْجلَى في الإِسْفارْ
وَسُــمْتَهُمْ ذُلّاً بِــضَرْبِ هَــبَّارْ
يَــتْرُكُ أَفْــواهَ الكُــلُومِ آبــارْ
يَكُــونُ فــي أَقْــفِيَةٍ وأَدْبــارْ
لِأَنَّـــهُمْ كَــما عَــلِمْتَ فُــرَّارْ
صَــلَّى عَــليكَ اللهُ يــابْنَ الأَطْــهارْ
مــا كَــوْكَبٌ لاحَ ومــا نَــجْمٌ غارْ

❊ ❊ ❊

(١) شَخَصَ البَصَرُ: وقَفَ متحيّراً ولم يطرف.

[مؤرّخو المختار]

لقد تَصدَّى لتدوينِ أخبارِ المختار وسيرته وفتوحه وأعماله الكريمة، جماعةٌ من أعاظم علماء الدين، ولفيف من أئمّة أهل السِّير والأخباريّين:

١ ـ فمنهم: أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سالم الأزدي الغامدي، المتوفَّى سنة ١٥٧، ويسمَّى كتابه بـ«أخذ الثار»، ذكره النجاشي بعنوان «كتاب أخبار المختار»(١).

٢ ـ ومنهم: أبوالفضل نصر بن مزاحم المنقري الكوفي العطّار المتوفَّى سنة ٢١٢، له أيضاً «كتاب في أخبار المختار»، ذكره الشيخ في «الفهرست»(٢).

٣ ـ ومنهم: أبوالحسن عليّ بن محمّد بن عبدالله بن أبي سيف المدائني، المولود سنة ١٣٥، والمتوفَّى سنة ٢١٥ أو ٢٢٥، وله ثلاث وتسعون سنة، له كتاب «أخبار المختار» ذكره ابن النديم في فهرسته(٣).

٤ ـ ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعيد بن مسعود الثقفي الكوفي، من ولد عمّ المختار، المتوفَّى بإصفهان سنة

---

(١) رجال النجاشي: ٣٢٠/ الترجمة ٨٧٥.

(٢) الفهرست، للطوسي: ٢٥٤ ـ ٢٥٥/ الترجمة ٧٧٣.

(٣) الفهرست، لابن النديم: ١١٧.

٢٨٣، له كتاب «أخبار المختار»، ذكره النجاشي والشيخ في «الفهرست»[١].

٥ ـ ومنهم: أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي الأزدي البصري، المتوفَّى سنة ٣٠٢، له كتاب «أخبار المختار بن أبي عبيد»، ذكره النجاشي في فهرسته[٢].

٦ ـ ومنهم: رئيس المحدّثين أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمّي الشيخ الصدوق، المتوفَّى سنة ٣٨١، له كتاب «المختار بن أبي عبيد»، ذكره النجاشي في فهرسته[٣].

٧ ـ ومنهم: أبو يعلى محمّد بن الحسن بن حمزة الجعفري الطالبي، خليفة الشيخ المفيد، له «أخبار المختار»، ذكره ابن شهر آشوب في «معالم العلماء»[٤].

٨ ـ ومنهم: شيخ الطائفة أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، المتوفَّى سنة ٤٦٠، له «مختصر أخبار المختار»، ذكره هو قدّس سرّه في فهرسته[٥].

٩ ـ ومنهم: الفقيه نجم الدين جعفر بن نجيب الدين أبي إبراهيم محمّد بن جعفر بن أبي البقاء بن نما الحلّي الرَّبعي، المتوفَّى سنة ٦٤٥، من معاصري المحقّق وابن طاووس، له «ذوب النُّضار في شرح الثار»، أدرجه برُمَّته المجلسي في المجلّد العاشر من بحار الأنوار[٦]، وقد أكثرنا من النقل عنه في هذه الرسالة.

(١) رجال النجاشي: ١٧/ الترجمة ١٩، الفهرست، للطوسي: ٣٧/ الترجمة ٧.

(٢) رجال النجاشي: ٢٤٢/ الترجمة ٦٤٠.

(٣) رجال النجاشي: ٣٩٢/ الترجمة ١٠٤٩.

(٤) معالم العلماء: ١٣٦/ الرقم ٦٧٤.

(٥) الفهرست، للطوسي: ٢٤٢/ الترجمة ٧١٤.

(٦) يكون في الطبعة الجديدة ٤٥: ٣٤٦ ـ ٣٨٧.

١٠ ـ ومنهم: الشيخ أحمد بن المتوَّج البحراني، له «الثارات»، أو «قصص الثار»، منظومة ضمنها وقعة الطف والأخذ بالثار، ذكرها في «الذريعة»، للعلّامة البحَّاثة الشيخ آقا بزرك الطهراني، نزيل سامرّاء(١).

١١ ـ ومنهم: الشيخ علي بن الحسن ابن الشيخ موسى العاملي المروزي، المولود في الكاظميَّة المشرَّفة، له كتاب «قرّة العين في شرح ثارات الحسين عليه السلام»، فرغ منه يوم الخميس ٢٠ شهر رجب سنة ١٢٢٧، ذكره في «الذريعة» أيضاً(٢).

١٢ ـ ومنهم: الشيخ أبو عبدالله عبدالله بن محمّد، له كتاب اسمه «قرّه العين في شرح ثار الحسين عليه السلام»، ألحقه بالمقتل الموسوم بـ«نور العين»، لأبي إسحاق الإسفراييني، وطبع معه ومع «مثير الأحزان» للفقيه ابن نما المذكور سابقاً(٣).

١٣ ـ ومنهم: المولى عطاء الله بن حسام الواعظ الهرويّ، له «روضة المجاهدين»، رتّبه على مقدّمة، وعشرين باباً وخاتمة في سيرة المختار، ألّفه باسم السلطان محمّد شاه، ولعلّه ابن جهانشاه الهندي صاحب الزِّيج المشهور المتوفَّى سنة ١١٦٠. طبع سنة ١٣٠٣، أخذه من كتاب منظوم يُسَمَّى «مختار نامه» نظم قبله باسم السلطان حسن سنة ٩٨١، وزاد عليه.. أخذناه من كتاب «الذريعة»(٤).

---

(١) الذريعة ٥: ٤/الرقم ٤.

(٢) الذريعة ١٧: ٧٢/الرقم ٣٨٠.

(٣) انظر الذريعة ١٧: ٧٢/الرقم ٣٨٠، ففيه «كتاب الشيخ الإمام أبي عبدالله بن محمّد». وقد طبع سنة ١٣٦٩، في المطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف.

(٤) انظر الذريعة ١١: ٣٠٣/الرقم ١٨٠٤ «روضة المجاهدين»، و٩ ق٣/الرقم ٥٠١١ «ديوان عطاء هروي».

١٤ ـ ومنهم: السيّد محمّد حسين ابن السيّد حسين بخش الحسيني النّوكانوي الهندي، المولود سنة ١٢٩٠، له «تحفة الأخيار في إثبات نجاة المختار»، بلُغة الأُوردو، وقد طبع. ذكره في «الذريعة»(١).

١٥ ـ ومنهم: العلّامة الأديب الخطيب المُفْلِق السيّد سبط حسن ابن السيّد وارث حسين الجائسي اللكهنوي، المتوفّى سنة ١٣٥٤، وأخوه الشاعر الشهير السيّد فرزند حسين ذاخر، المتوفّى في حدود سنة ١٣٥٠، وابنُهُ الكاتب الخطيب المِدْرَهُ(٢) المعاصر السيّد أَولاد حسين شاعر، اشتركوا في نظم منظومة على نمط المثنوي باسم «مختار نامه» تبلغ ثمانين ألف بيت، طبع شطر منها في صحف الهند(٣).

١٦ ـ ومنهم: العلّامة الأوحد شمس العلماء السيّد إبراهيم ابن ممتاز العلماء السيّد محمّد تقي ابن سيّد العلماء السيّد حسين ابن المجتهد الكبير السيّد دلدار علي النقوي النّصيرآبادي الهندي، المتوفّى سنة ١٣٠٧، له «نور الأبصار في أخذ الثار»(٤).

١٧ ـ ومنهم: المولى محمّد حسين ابن المولى عبدالله الشَّهرآبي الأُرجستاني صاحب كتاب «طريق البكاء» المطبوع، ذكر فيه أنّ له كتاباً آخر في المختار اسمه «حملة مختاريّة»(٥).

---

(١) الذريعة ٣: ٤١٧/ الرقم ١٤٩٨.

(٢) المِدْرَهُ: المقدَّم في اللِّسان والخطابة.

(٣) لم يذكر هذه المنظومة في الذريعة.

(٤) الذريعة ٢٤: ٣٥٧/ الرقم ١٩٢٤.

(٥) الذريعة ٧: ٩٢/ الرقم ٤٧٥.

١٨ ـ ومنهم: الكاتب الشاعر الهندي نوّاب علي الملقَّب في شعره بـ«بسعير السنديلوي» نزيل لكهنو، له «نظارة انتقام» بلغة الأُوردو، ونشرت تباعاً في جريدة «نظارة» اللكهنويّة، ثمّ طبعت في جزءين مُستَقِلّين[١].

١٩ ـ ومنهم: الحاج غلام علي ابن الحاج إسماعيل علي البهاونكري الهندي المعاصر، صاحب التآليف الكثيرة، له «مختار نامه» باللُّغة الكجراتيّة[٢].

٢٠ ـ ومنهم: العلّامة المتبحّر المعاصر السيّد المحسن الأمين العاملي، له «أصدق الأخبار في قصّة الأخذ بالثار» مطبوع مع مقتله الموسوم بـ«لواعج الأشجان»[٣].

٢١ ـ ومنهم: الحكيم السيّد حسين صاحب الهندي، الملقَّب «گريان»، له «سوانح عمري أمير مختار»، ترجمة ذوب النُّضار، لابن نما إلى لغة الأُوردو الهنديّة[٤].

٢٢ ـ ومنهم: بعض مؤلّفي الهند، له «الأمير مختار»، ذكره شيخنا العلّامة الشيخ آقا بزرك الرازي في الذريعة[٥].

هؤلاء من عرفناهم ممّن أفرد أخبار المختار وأيّامه بالتأليف إكْباراً لمقامه، واهتماماً بما يؤثر عنه[٦]، وكلُّهم من يعرف حقّه، ويقدّر جهوده، وذلك ما ينعقد

---

(١) الذريعة ٢٤: ١٩٠/الرقم ٩٩١.

(٢) الذريعة ٢٠: ١٧٢/الرقم ٢٤٥٢.

(٣) الذريعة ٢: ١٢٠/الرقم ٤٨٦. وهو كتاب مطبوع مراراً.

(٤) الذريعة ١٢: ٢٥٢/الرقم ١٦٥٩ «سوانح الأمير مختار».

(٥) الذريعة ٢: ٣٥٢/الرقم ١٤١٥.

(٦) وهناك كتب أُخرى عن حياة المختار وثورته:

عليه ضمير أيّ عالم ضليع من الشيعة، وكلّ منصف من غيرهم. وأمّا من ضَمَّنَ كتابَهُ أخبارَهُ فهم الكثيرون من المؤرّخين وغيرهم. وقد ذكره جلّ علماء الرّجال، ودافع عنه أكثرهم، وستمرّ بك تفاصيل من هذه إن شاء الله تعالى.

١ ـ المختار، للسيّد عبدالرزّاق المقرّم، المتوفّى ١٧ محرّم عام ١٣٩١ في اليوم الموافق ١٩٧١/٣/١٥، وكان أحد مصادره هذ الكتاب الذي بين أيدينا.

٢ ـ المختار بن أبي عبيد الثقفي، للشيخ أحمد الدجيلي طبع سنة ١٣٧٤ مطبعة النجف في النجف.

٣ ـ المختار الثقفي مرآة العصر الأُموي، للدّكتور علي حُسني الخربوطلي، مطبوع في سلسلة أعلام العرب/١٦.

٤ ـ ماهيّت قيام مختار، للسيّد أبو فاضل الرضوي الأردكاني، طبع في سنة ١٤٠٩، وهذا الكتاب في ٦٦٨ صفحه باللغة الفارسيّة.

[من إرهاصات أوائل حياته]

ولم تزل له هذه المنزلة الكبيرة منذ ناءَ بأمر الثار، وعرفت منه الحقيقة، وصدق النيّة. وقد كانت مخبَّأةً له قبل ما يوجد، حتّى برزت في أظهر مجاليها.

قال الفقيه ابن نما في رسالته: إنّ أبا عبيد كان يتنوّق في طلب النِّساء، فذُكرت نساء قومه فأبى أن يتزوّج منهنّ، فأتاه آت في منامه فقال: «تزوّج دومة، الحسناء الحومة، فما تسمع فيها للائم لومة»، فأخبر أهله، فقالوا: قد أُمِرْتَ، فتزوّج دومة بنت وهب بن عمر بن معتب، فلمَّا حملت بالمختار قالت: رأيتُ في النوم قائلاً يقول: «أَبْشِري بالولد، أشبه شيءٍ بالأَسَد، إذا الرِّجالُ في كَبَد، تَقاتَلُوا على بَلَد، كان له الحظُّ الأشَدّ».

فلمّا وضعت أتاها ذلك الآتي فقال لها: «إنّه قبل أن يَتَرَعْرَع، وقبل أن يَتَشَعْشَع، قليلُ الهَلَع، كثيرُ التَّبَع، يُدانُ بما صَنَع»[1].

والنَّاظرُ إلى الحقيقة ببصرٍ حديد، يجدُ في هذه الأَطيافِ الصادقةِ ـ منَ الإيعازِ إلى ما نهض به المختار من الفضل العظيم ـ ما يربي به عنده إلى ما ثَبَتَ له من مقامِهِ العَلِيِّ.

---

(١) ذوب النُّضار: ٥٩ ـ ٦٠.

يقول المبشِّرُ لأُمّه: إنّها ستُحْبَى بولد ممدوحٍ في نفسيَّته؛ بثباتِ الجأشِ، وقوَّة الشكيمة كالأسد، له الحظُّ الأوفر ممّا تبتغيه الرِّجال إذا اشتَدَّتِ الحربُ العَوان، ولا يَحْدُوهُ لابتغاء ذلك هَلَعٌ ونَهَمَةٌ إلى احْتِناكِ أَمرٍ، أو الحصول على إِمْرَةٍ، لكنَّه متبوعٌ فيما يُحاوِلُهُ بدافع الدِّين فيُدانُ به.

وكذلك كان أصحابُ المختار، وأُمراءُ جيوشه، وجميعُ عسكره، يتقرّبون إلى الله زلفى باتِّباعه في أمر الثّار، وإدراكهم تلكم الأَوتار الطاهرة. وهو أيضاً كان يتزلَّف إلى المولى بنهضته تلك، كما سيوقفك عليه هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ويقول القائل: إنّ تلك الفضيلة مكتوبةٌ له في لوح القضاء قبل أن يترعرع ويتشعشع ويبلغ مبالغ الرّجال: إيعازاً إلى تحقّقها له، أو أنّه يريدُ أَنَّه يَكْثُرَ أَتْباعُهُ ومحبُّوه؛ لِما يعلمون من نهضته الكريمة بأخبار أهل البيت والملاحم قبل أن يترعرع أمره ويتشعشع بَلَجُ سيطرته، وسيأتيك بيان ما كان لأَمرِهِ مِن النُّشُور قبل نهوضه إن شاء الله تعالى.

وإنّ هذه النِّيَّات الطَّيِّبة من المختار وحزبه هي التي لاحت في أجلى مظاهرها لعامر الشَّعْبِيِّ فيما رواه الفقيه ابن نما في الرسالة، عن أبي السائب، عن أحمد بن بشير، عن مُجالد [المحدّث الشهير]، عن عامر الشِّعبي: أنّه قال: الشيعة يتَّهموني ببغض عليٍّ عليه السلام، ولقد رأيت في النّوم بعد مقتل الحسين عليه السلام كأنَّ رجالاً نزلوا من السماء عليهم ثيابٌ خُضْرٌ معهم حرابٌ، يتتبَّعون قتلة الحسين عليه السلام، فما لبث أن خرج المختار فقتلهم[1].

ليس ممّا يُشَكُّ فيه أنّها رؤيا صادقة، مثَّل فيها المولى سبحانه هاتيك النوايا

(١) ذوب النُّضار: ١٤١.

بأشباحٍ علويّة؛ إِصْحاراً بفضل ذويها الباهر، وإِيذاناً بمقامهم الكريم في الدين والعملِ الصالحِ.

وهذا المُنْتَهى الذي وقف عليه المختار ـ في حُسْنِ ختامه، وسعادة خاتمته ـ هو الذي أَلْمَعَ إليه القائل حين أمر أباه بتزوُّج دومة بقوله: «فما تسمع فيها للائم لومة»، يعني في حسبها ونتاجها وكُلٍّ ما يتعلّق بها كما يقتضيه عموم اللفظ بحَذْفِ المتعلَّق[1]، وكلُّ هذه كانت بادية في مَظاهِرِ حال المختار ومجالي أعماله، قبلَ إمرته وبعد ما نهض لاجْتِياح أُصول الكفر، وقَلْعِ جذوره، وأُتيح له النصر فأَنْهَى إلى الملأ صحيفة بيضاء، وتَلاها في تضاعيف كتبه، وغُضُونِ خُطَبِهِ، ولوائِحِ أفعاله، وفلسفةِ تُرُوكه، حتَّى قَضَى نَحْبَهُ شَهِيداً في وقعته مع مصعب بن الزُّبير لأَربع عشرة خلت من شهر رمضان سنة ٦٧ وهو ابن سبع وستّين سنة[2].

(١) إشارة إلى قاعدة «أنّ حذف المتعلّق يفيد العموم».

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٧٧، تاريخ ابن الأثير ٤: ٢٧٨، شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي ١: ٧٥ ولم يعيِّن اليوم من الشَّهْر.

المختار في عقيدته

كانَ من قضاءِ الطبيعة ـ في منابذة الخُصَماء، وتحرِّي كُلِّ الغوالِ في الآخر ـ قَذْفُ من يريدون الفتك به بكلّ ما يسعهم من عوامل الوقيعة فيه؛ من كلام قاتل، أو كلام شائن، يستثير عليه العواطف، ويبلغ لأجلِهِ منه اللُّغُوبُ فتّاً في عَضُدِهِ، وتشتيتاً لأمره، وذلك أبقى لِمُنَّةِ[1] القاذف، وأثبت لقوّته التي كان عليه في سبيل مبتغاه أن يصرفه في تدمير العدوّ، وإبادة نفوذه، فهو يحسب من سعادته أن يكتفي في مُلاشاةِ[2] أضداده بإبعاد الملأ عنها، وتنفير الجامعة منها، أو استجاشة الأفئدة عليها مهما أمكنه، ويكون له مُنْتَدَحٌ عن سَوْقِ العساكر، والإنفاق في سبيلها من الأموال والنفوس مهما كان هو الغالب على السلطة، وفي الأقلّ يكون فيه تبريرٌ لعمله، وصَوْنٌ لحُسْنِ سمعته عن الوقيعة.

كانت الشهوات تختلف في رمي الأعداء بأنواع من القذائف حسب الظروف والأحوال، والمباءات[3] التي يكونون فيها، فهي في الأوساط الدينيّة غيرُها في الحواضر السياسيّة، كما أنّها في الجامعات المدنيّة غيرها في الوحشيّة.

كان المختار يوم نهض بأمره في محيط مُشْبَعٍ بالروح الإسلاميّة، عريقٍ بالمبادئ الدينيّة، وهنالك أُممٌ يتهالكون في ولاء أهل البيت عليهم السلام، وهم

---

(١) المُنّة: القُوَّة.

(٢) تلاشى الشيء: اضمحلَّ.

(٣) المباءات: جمع المباءَة، وهي المنزل والموضع الذي ينزله القوم.

الذين لاثُوا به[١] منهم، وأَخَذُوا بناصِرِهِ، وعاصِمَةُ مُلْكِهِ هي الكوفة، وفيها أشرافُ العرب، وزعماؤهم، وذَوُوا النجدة والبأس منهم.

وكانت البغضاءُ متواصلةً بينه وبين ابن الزبير الذي كان يطمع فيه أن يُخْضِعَ له العبادَ والبلادَ، فلم يَرُعْهُ منه إلّا وقد أَفْلَتَ[٢] عن سيطرته ممالكَ وأَمصاراً.

أضِفْ إلى ذلك ما كانت تَحتَدِمُ بينه وبين عبدالملك من الأَحقاد، شَأْنَ كلِّ علويٍّ في دينه، وأُمَوِيٍّ في هواه، غيرَ ما كان يحقده على إشْغاله فراغاً واسعاً من فضاء الملك، خَسِرَهُ المُقْعِي يومذاك على أَنْقاضِ مملكة الإسلام.

كلُّ ذلك وفي حَشْوَةِ النَّاس ورَعاعِهِم[٣] قتلةُ السِّبط الشهيد صلوات الله عليه، الذين توطَّدت إمرةُ المختار باجتياح أُصُولهم، واكتساح أَشواكِهِم المتكدِّسة أمام السير الديني والبشري، وفيهم ذوو رَأْي وشَيطنة، ورئاسةٍ ومِرَّة[٤]، غيرَ من كان يلتفُّ منهم بالرَّايتين: الزبيريّة والأمويّة.

كلُّ هذه كانت كمراجلَ تغلي على المختار غَيْظاً وحَنَقاً، ومن جرَّائها كانَتْ حُرُوبٌ طاحنةٌ مع ابن مطيعٍ عاملِ ابن الزبير أوّلاً، حتَّى نُفِيَ من الكوفة مَخْذُولاً، ومع مصعب بن الزبير وفيها كانت شهادةُ المختار أخيراً، ووقعة الخازر الّتي عادت مجزرةً كبرى لزبائن الكفر والإلحاد من طُغمة الأُمويِّين وفيها مقتل ابن زياد ابن أبيه المُوْجِف[٥] على ابنِ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ

---

(١) لاثُوا به: اجتمعوا عليه وأحاطوا به.

(٢) الضمير يعود للمختار، وهو فاعِل، وممالكَ وأمصاراً مفعول به. أفْلَتَ فُلانٌ فلاناً: خَلَّصَهُ.

(٣) الرَّعاعُ: سقاط الناس وسفلتهم.

(٤) المِرّة، بكسر الميم: القوّة، ومنه قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾.

(٥) المُوجِف: المُسْرِع، الحاثّ.

بخَيْلِهِ ورَجْلِهِ، لعنه الله تعالى.

وقبلها وقعة ابن زياد مع يزيد بن أنس الأسدي رحمة الله عليه، وفيها توفّي يزيد المذكور. وبينهما انتكاثُ الكوفيّين على المختار، واستعادتُهُ ابنَ الأشتر عن مسيره إلى ابن زياد حتّى أَخْمَدَ لهبهم، وفرَّقَهم أيدي سبأ، ثمّ انْكَفَأَ عائداً إلى مُناضَلَةِ ابن زياد، فكان إذ ذاك من الأمر الذي دُبِّرَ بلَيْلٍ؛ لانْثِيالِ(١) المسلمينَ عنه؛ إذ عزوا إليه النُّبوَّة ونزول الوحي عليه، فإنَّهم كانوا ولا يبرحون يكفّرون صاحب تلك الدعوى ويوجبون قتله، ولانفضاض خصوص الشيعة عنه؛ إذ قذفوه بحُبِّ أضداد أهل البيت عليهم السلام تارةً، وبعدم الاستقامة في طريقته أُخرى، ولتثبيط أهل النُّسُك والعبادة الذين كانوا معه عنه، عَصَبُوا كُلّ قول مائِنٍ(٢) من نِسْبَةِ الكذب إليه تارة، وحُبِّ المُلْكِ والجاهِ ـ وأنَّ ما تظاهر به من الدِّعاية إلى إدراك الثار كان فَخّاً من فُخُوخِهِ يَصْطادُ به البُسَطاء ـ طوراً. إلى غيرها ممّا مَرَّ، وسيأتي إن شاء الله تعالى، وأَلْقَوا إلى زعماء الكوفة أنّه يُزْلِفُ(٣) إليه أَبناء العَجَمِ، ويُشْرِكُهُم مع العرب في الفيء، ويسلِّطُ الموالي على السّادات، فخذَّلُوا فريقاً منهم عن نُصْرَتِهِ.

هكذا كانت تأتي المختارَ القذائفُ والطّامّاتُ، حتّى إذا بَعُد المَدَى حَسِبَتِ الأَغْرار(٤) تلكم الهَمْلَجاتِ(٥) حقائقَ ذهبت بها الأَعْصُرُ الخاليةُ، فهَلُمَّ معي حتّى ننظر إلى تلكم النِّسَبِ عن كَثَبٍ.

---

(١) أراد بالانثيال التفرُّق. مع أنّ الوارد في اللغة انثال عليه الناس: اجتمعوا وانصبُّوا عليه من كُلِّ وَجْهٍ.

(٢) مائن: كاذب.

(٣) يُزْلِفُ: يُقرِّبُ.

(٤) الأَغْرارُ: جمعُ الغِرِّ، وهو الشّابّ الذي لا تجربة له.

(٥) الهَمْلجات: جمع الهَمْلجة، وهي مشية البرذون.

المختار والنبوّة

لقد جاءت فيها روايات كثيرة:

الأُولى:

قال ابن حجر في «الإصابة»: أنّه شهد عليه بدعوى النبوّة والكذب الصريح جماعة من أهل البيت، وممّا ورد في ذلك ما أخرجه أحمد في مسند عمرو بن الحمق، من طريق السدّي، عن رفاعة القتباني[1] قال: دخلت على المختار فألقى إليّ وسادة وقال: لولا أنّ أخي جبرئيل قام عن هذه ـ وأَشار إلى أُخرى عنده ـ لألقيتُها لك. قال: فأردت أن أضرب عنقه فذكرتُ قصّة وحديثاً لعمرو بن الحمق، انتهى[2].

وللحديث بقيّة ـ أوردها أحمد، عن ابن نمير، عن عيسى القاري أبي عمر بن عمر، عن السدّي، عن رفاعة القتباني[3] ـ تكشف عن سقوط الرواية عن حدّ الاعتبار، لكنَّ ابن حجر لتهالكه في الوقيعة في المختار سترها بذيل أمانته، ظنّاً منه

---

(١) كذا ورد في كتب الحديث، والصحيح أنّه الفِتْياني، نسبة إلى فِتيان بطن من بجيلة. انظر إكمال الكمال ٧: ٨١، والتاريخ الكبير للبخاري ٣: ٣٢٢/ الترجمة ١٠٩٣.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٦/ الترجمة ٨٥٦٧.

(٣) سيأتي ذكرها بعد قليل.

أنّه لا يراجع مسند أحمد أحدٌ يناقشه الحسابَ، غير أَنَّ ابنَ الأثير في أُسد الغابة نقلها على ما هي عليه، والبقيّةُ هكذا بعد قوله «فأردت أن أضرب عنقه»: ذكرتُ حديثاً حدّثنيه أخي عمرو بن الحمق، قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: «أَيُّما مؤمن آمَنَ مؤمناً على دمه فقتله فأنا من القاتل بريء»(١).

ورواه أحمد أيضاً، عن بهز بن أسد، عن حمّاد بن سلمة، عن عبدالملك بن عمير، عن رفاعة بن شدّاد، قال: كنتُ أقوم على رأس المختار، فلمّا تَبَيَّنْتُ كِذابَتَهُ هممتُ وآيمُ الله أن أسلَّ سيفي فأضرب عنقه، حتَّى ذكرتُ حديثاً حدّثنيه عمرو ابن الحمق، قال: سمعتُ رسول الله ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: «من آمَنَ رجلاً على نفسه فقتله أُعطي لواء الغدر يوم القيامة»، انتهى(٢).

وصريح هذه الرواية: أنّ الذي نقمه رفاعة من المختار هو الكذب لا دعوى النُّبوَّة، وعند اختلاف الروايتين لا يمكن الجزم بإحداهما كما فعله ابن حجر، وأنّه علم ذلك فنقل إحداهما إخفاءً للحقيقة، ولم يحتمل أنَّ المطابع سَتَزُفُّ المسندَ إلى الملأ المنقِّب فتفضحه.

وعلى فرض المسالمة على مطابقة الواقع لما يرتئيه ابن حجر:

فإن كان فيما فاه به المختار شيء يُخرجه عن الإسلام ويُبيح دمه فإنَّ حديث عمرو لا يحقنه ولا يوجب له حرمة، فإنّه من الكبريات التي لا تُنْتِجُ إلَّا بعد ثبوت صغرى لها مُحقَّقة، وأَمَّا هي فلا تنحتُ لنفسها صغرى، فالحديثُ بمجرّده لا يثبت

(١) أُسد الغابة ٤: ١٠١، عن مسند أحمد ٥: ٢٢٣.

(٢) مسند أحمد ٥: ٢٢٣ لكن فيه «عبدالله بن عمير» بدل «عبدالملك بن عمير». وروى مثله بسنده عن يحيى بن سعيد القطّان، عن حمّاد بن سلمة، عن عبدالملك بن عمير، عن رفاعة بن شدّاد، قال: كنت أقوم ... إلخ.

إيمان المختار حتّى يضربَ على يد رفاعة عمّا كان وجب عليه من قتله لكفره الثابت بادِّعاء النبوّة.

وإن قلتَ: إنّه أحرز إيمانه بغيره فرآه من صغريات الحديث، إذن فليس فيما أظهره المختار ما يوجب إكفاره. فالروايةُ مُتَهافِتَةٌ إن التزمنا بعدم الاختزال بين صدرها وذيلها، وإلّا فهي محرَّفة، وعلى الحالين فهي ساقطة عن الاعتبار.

وقد عرف ذلك ابن حجر نفسه في «الإصابة» حيث إنّه ذكر ممَّا يمسّ كرامة المختار أشياء: منها هذه الرواية، وأسقط ذيلها كما عرفت. ثمّ قال: وأقوى ما ورد في ذَمِّه ما أخرجه مسلم في صحيحه، عن أسماء بنت أبي بكر[١]... إلخ، وفيه إثبات الكذب عليه، وسيأتي تزييفه إن شاء الله تعالى، فلو كانت عنده لحديث التَّنبُّؤ مكانةٌ يركن إليها ـ وهو الكُفْرُ الصُّراح ـ فإنَّ الكذب لا يكون أقوى منه في الذَّمِّ، وهو لا يعدو أن يكون صاحبه فاسقاً. وإن كان يريد قوّة السند ـ وقد يأباه السِّياق ـ فعليه ينبغي أن يعتمد عليه على تقدير تسليم القوّة لا الروايات الضعيفة السند المتهافتة المتن في النيل من رَجُلٍ مُسْلِمٍ، والوقيعة في عرضه، وقد ثبتت سوابقه في الإسلام.

على أنّ في سند الرواية الأُولى السّدّي، وقد حكم عليه بالكذب والتفسير بالرأي والضعف في الحديثِ كُلٌّ من ابن معين، والعقيلي، وأبي حاتم، والطبري،

---

(١) الإصابة ٦: ٢٧٦/ الترجمة ٨٥٦٧ قال: وأقوى ما ورد في ذمّه ما أخرجه مسلم في صحيحه، عن أسماء بنت أبي بكر، أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، قال: يكون في ثقيف كذّاب ومبير، فشهدت أسماء أنّ الكذّاب هو المختار.

والشعبي، وليث. راجع «تهذيب التهذيب»[١]، و«ميزان الاعتدال»[٢].

وفي السند الأوّل حمّاد بن سلمة، وعبدالملك بن عمير، وقد رمي الثاني بسوء الحفظ[٣]، والأوّل بأشياء[٤]، وأعرضوا عنهما، فراجع الكتابين.

على أنّ الطبري ذكر في تاريخه: أنّ رفاعة هذا قاتل بين يدي المختار حتَّى قُتِلَ، وكان يرتجز بقوله:

أَنا ابنُ شَدّادٍ عَلَى دِينِ «عَلِيْ» لَسْتُ لِعُثْمانَ بنِ أَرْوَى بِوَلِيْ

لأُصْلَيَنَّ اليومَ فِيمَن يَصْطَلي بِحَرِّ نارِ الحَرْبِ غَيْرَ مُؤْتَلِي[٥][٦]

فمتى كانت تلكم الهملجة؟ أبعد قتله أم قبله ثمّ رجع من عقيدته؟ أم أنّ القول مكذوب عليه؟

وأَمَّا ما عزاه إلى جماعة من أهل البيت عليهم السلام فهو افتراء عليهم، فلقد تحرَّينا ذلك فيما يؤثر من كلمات أئمّة أهلِ البيت عليهم السلام وسَرَواتِ المجد منهم، فلم نجد عن الإمام زين العابدين ـ والإمام الباقر، والإمام الصادق عليهم السلام، ومحمّد بن الحنفيّة رحمه الله، وغيرهم ـ إلَّا الترحّم عليه، وإطراءَهُ، والدُّعاء له وشكره على أعماله، كما ستقف على ذلك كلِّه إن شاء الله تعالى. نعم في بعض الأخبار الضعيفة رَمْيُهُ بالكذب، وستُوافيك والعلّةُ فيها إن شاء الله تعالى.

(١) تهذيب التهذيب ١: ٢٧٣ ـ ٢٧٤/ الترجمة ٥٧٢ «إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السّدّي».

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٢٣٦ ـ ٢٣٧/ الترجمة ٩٠٧.

(٣) تهذيب التهذيب ٦: ٣٦٤ ـ ٣٦٦/ الترجمة ٧٦٥، ميزان الاعتدال ٢: ٦٦٠ ـ ٦٦١/ الترجمة ٥٢٣٥.

(٤) تهذيب التهذيب ٣: ١١ ـ ١٤/ الترجمة ١٤، ميزان الاعتدال ١: ٥٩٠ ـ ٥٩٥/ الترجمة ٢٢٥١.

(٥) ائْتَلَى: قَصَّرَ وأَبطأَ.

(٦) تاريخ الطبري ٤: ٥٢٣.

الثانية:

وروى الطبري في «التاريخ»: أنّه كتب المختار إلى الأحنف بن قيس: من المختار إلى الأحنف ومَن قِبَلَهُ، فسِلْمٌ أَنتم. أمَّا بعد فويلُ أُمٍّ ربيعة من مضر، فإنَّ الأحنف مُورِدُ قومِهِ سَقَر، حيث لا يستطيعُ لهم الصَّدَر، وإنِّي لا أملك ما خُطَّ في القدر. وقد بلغني أنّكم تُسمُّوني كذّاباً، وقد كُذِّبَ الأنبياء من قَبْلي، ولست بخير من كثير منهم... إلخ[1].

وذكر ما يقربُ منه ابنُ عبد رَبِّه في «العقد الفريد»[2].

يعطي ظاهر هذا الكتاب أنَّه جعل نفسه في عداد الأنبياء بقوله: «ولست بخير»... إلخ، فإنّه يوعز أنّه خير من بعضهم، ولولا أنّه يرى نفسه نبيّاً لما صحّ له ذلك، فليس في الأُمم مَن يُفَضَّلُ على الأنبياء. لكنّ الرواية في نسخة الكتاب جاءَت مختلفة.

فروى الطبري عن أبي السائب سلم بن جنادة، عن الحسن بن حمّاد، عن حيّان بن علي، عن المجالد[3]، عن الشعبي... وذكر كلاماً دار بينه وبين الأحنف ابن قيس فيه حوار في أنَّ الأحنف أخرج إليه كتاب المختار ونسخته: بسم الله الرحمن الرحيم: من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس، أمّا بعد، فويلُ اُمِّ ربيعة ومضر، فإنَّ الأحنف مُورِدُ قومِهِ سَقَر، حيثُ لا يَقْدِرُونَ على الصَّدَر،

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٣٨.

(٢) العقد الفريد ٥: ١٥٣ ـ ١٥٤ وفيه: وكتب إلى أهل البصرة: بلغني أنّكم تكذّبونني وتكذّبون رسلي، وقد كُذِّبت الأنبياء من قبلي، ولستُ بخير من كثير منهم.

(٣) ليس بالقوي كما في تقريب التهذيب ٢: ١٥٩/ الترجمة ٦٤٩٨ «مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني».

وقد بلغني أنَّكم تكذّبوني، وإن كُذِّبْتُ فقد كُذِّبَتْ رسلٌ من قبلي، ولستُ أنا خيراً منهم، فقال [يعني الأحنف]: هذا مِنّا أو منكم[١]؟!

فليس شيء من الدلالة على دعواه النُّبوّة إلَّا الرُّضُوخ للأنبياء والاعتراف لهم بأنَّه ليس خيراً من أحد منهم؛ شأنَ كلِّ مؤمنٍ، ونظيرُ ذلك مطّرد بين أهل العرف وفي المحاورات. وغضبُ الأحنف وقوله: «هذا منّا أو منكم؟!»، فلتهديده إيّاه وقوله: إنّه «مورد قومه سقر»... إلخ، لا لدلالة كلمته الأخيرة على النُّبُوَّة. ولو فهمها الأحنف أيضاً فلسنا مقلِّدةً له في فهم معاني الألفاظ، ومعاريض الكلام. فإذا كانت للكتاب روايتان فلا يمكن الجزمُ بإحداهما، والوقيعةُ لأجله في عِرْضِ مسلمٍ. وكونُ نسخة الكتاب هي هذه الأخيرة أرجح، فإنّها النسخة التي أخرجها الأحنف حين أغضبه الشّعبي بكلامه وإنشاده شِعْراً في هجاءِ أهل البصرة[٢]، فقال الأحنف: يا غلام هاتِ تلك الصحيفة، فأتى بصحيفة فيها، وذكر صورة الكتاب كما عرفت. فهذا أشبهُ بأن تكون نسخةُ الكتاب من تلك التي تقاذفتها الألسن من

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٣٨ ـ ٥٣٩.

(٢) حيث قال الشعبي: أتدري ما قال شيخ همدان فينا [يعني أهل الكوفة] وفيكم [يعني أهل البصرة]؟ فقال الأحنف بن قيس: وما قال؟ قلتُ قال:

أَفَخَرْتم أَنْ قتلتم أعبُداً ... وهزمتم مرَّةً آل عَزَلْ
وإذا فاخرتمونا فاذكروا ... ما فعلنا بكُمُ يوم الجملْ
بين شيخ خاضِبٍ عُثْنُونه ... وفتىً أبيضَ وضّاحٍ رَفَلْ
جاءنا يهدجُ في سابغةٍ ... فذبحناهُ ضُحىً ذبحَ الحَمَلْ
وعفونا فنسيتم عفونا ... وكفرتم نعمة الله الأَجلْ
وقتلتم خشبيين* بهم ... بدلاً من قولكم شرّ بَدَلْ

فغضب الأحنف فقال: يا غلام، هات...

* كذا وفي البداية والنهاية ج٨ ص٣٠٤: وقتلتم بحسين منهم.

راوٍ لراوٍ من غير استناد إلى أحدِ المكاتِبَيْنِ، ولم يزد راويها على قوله: إنّ المختار كتب إلى الأحنف بن قيس شيئاً، وهل هو أخذه عن أحدهما؟ أو ممَّن يقع في المختار وينصب له العداء؟ أو ممّن ينقله بالمعنى؟ ويؤكِّدُ أحَدَ الأَخِيرَيْن[1] تركُ البسملة في هذه الرواية مع وجودها فيما أخرجه الأحنف على العادة المطَّرِدة، لاسيَّما في تلكم الأعصر المتقادمة.

(١) أي أنّ النقل الأوّل ممّن يقع في المختار أو ممّن ينقله بالمعنى.

الثالثة:

روى الطبري في «التاريخ» عن أبي علقمة الخثعمي: أنّ المصعب بعث إلى أُمّ ثابت بنت سَمُرة بن جندب ـ امرأة المختار ـ وإلى عَمْرة بنت النُّعمان بن بشير الأنصاري ـ وهي امرأة المختار أيضاً ـ فقال لهما: ما تقولان في المختار؟ فقالت أُمّ ثابت: ما عَسِينا أن نقول؟ ما نقول فيه إلّا ما تقولون فيه أنتم، فقال لها: اذهبي. وأمّا عَمرة فقالت: رحمة الله عليه، إنْ كان عبداً من عباد الله الصالحين. فرفعها مصعب إلى السجن، وكتب فيها إلى عبدالله بن الزبير: أنّها تزعم أنّه نبيّ، فكتب إليه: أن أَخْرِجها فاقتلها. فأخرجها بين الحيرة والكوفة بعد العتمة، فضربها «مَطَرٌ» ثلاثَ ضربات بالسيف[1]..[2] إلخ.

وهذه الشنعة مرويّة في «مروج الذهب» للمسعودي[3]، و«الأخبار الطوال»

---

(١) يا للّه، ويالضيعة الحقّ عند أمثال هؤلاء الحكّام وأذنابهم الجائرين، الذين نُزِعَتِ الرحمة من قلوبهم، وتنكّبوا طريق الصراط الأقوم، بسفك دماء الأبرياء والأحرار بلا مبرِّر من دين وعُرف أو وجدان، وإنّما هو لمجرّد الاحتفاظ بمناصبهم وإشباع شهواتهم. والأَنكى من ذلك كلّه أنّهم جعلوا ترحُّمها على زوجها ذريعةً للحكم بكفره، مع أنّه إلى تزكيته ونَفْي تلك التهمة عنه أقرب من أيِّ شيءٍ آخر، بل هو المتعيّن عند من له أدنى بصيرة، أو مَن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فمتى زعمت هذه المرأة أنّه نبيّ، أو ادّعى النُّبوّة، حتّى يكون مصير حياتها السيف، وتذهب حياتها ضياعاً؟ ومَطَرٌ ـ المذكور ـ: كان رجلاً تابعاً لآل قَفَل من بني تيم الله بن ثعلبة وهم بطن من بكر بن وائل، وكان من جملة الشُّرَط المُعَدّين لمثل هذا الأمر. وحريّ بأن يستشهد بهذا البيت في حقّه وحقّ تلك المرأة الصّالحة:

سلامُ اللهِ يا مَطَرٌ عليها … وليس عليكَ يا مَطَرُ السلامُ

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٧٣ ـ ٥٧٤.

(٣) مروج الذهب ٣: ١٠٧.

للدينوري[١]، وقد أَسلفنا الإيعاز إليها، وليس في شيء منها كما تراه في رواية الطبري هنا ما يدلّ على زعم عَمْرَةَ نُبُوَّةَ المختار، لكنَّ مصعباً يتقوّل عليها كما كان يتقوّل على زوجها؛ تبريراً لِما ارتكبه منه ومن أصحابه من القتل الذّريع، بنبزه بالكذب تارة، وبالتَّنبُّؤ طوراً، وبالكفر ثالثة. كلّ ذلك جرأة على الإسلام والمسلمين، ولذلك قال سعيد بن عبدالرحمن بن حسّان بن ثابت في شنعته هذه[٢]:

[من الطويل]

أَتى راكِبٌ بالأَمرِ ذي النَّبإِ العَجَبْ ... بِقَتْلِ ٱبنَةِ النُّعمانِ ذي الدِّينِ والحَسَبْ
بِقَتلِ فَتاةٍ ذاتِ دَلٍّ سَتِيرَةٍ ... مُهَذَّبةِ الأَخلاقِ والخِيمِ والنَّسَبْ
مُطَهَّرَةٍ مِن نَسْلِ قَوْمٍ أَكارِمٍ ... مِنَ المُؤْثِرِينَ الخَيْرَ في سالِفِ الحِقَبْ
خَلِيلِ النَّبيِّ المُصْطَفَى ونَصِيرِهِ ... وصاحِبِهِ في الحَرْبِ والنَّكْبِ والكُرَبْ
أَتاني بأَنَّ المُلْحِدِين تَوافَقُوا ... عَلى قَتْلِها لا جُنِّبُوا القَتْلَ والسَّلَبْ
فَلا هَنَأَتْ آلَ الزُّبَيرِ مَعِيشَةٌ ... وَذاقوا لِباسَ الذُّلِّ والخَوْفِ والحَرَبْ
كأَنَّهُمُ إِذ أَبْرَزُوها وقُطِّعَتْ ... بِأَسْيافِهِمْ فازُوا بِمَمْلَكَةِ العَرَبْ
أَلَم تَعْجَبِ الأَقوامُ مِن قَتْلِ حُرَّةٍ ... مِن المُحْصَناتِ الدِّينِ مَحْمُودَةِ الأَدَبْ
مِنَ الغافِلاتِ المُؤْمِناتِ بَرِيئَةٍ ... مِنَ الذَّمِّ والبُهْتانِ والشَّكِّ والكَذِبْ
عَلَينا كِتابُ القَتْلِ والبَأْسِ واجِبٌ ... وهُنَّ العَفافُ في الحِجالِ وَفي الحُجُبْ[٣]

---

(١) الأخبار الطوال: ٣٠٩.

(٢) رواها الطبري في التاريخ ٤: ٥٧٤ ـ ٥٧٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٩: ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

(٣) في الأخبار الطوال: ٣٠٩ روى بعض هذه الأبيات ـ كما تقدّم ـ.

عَـــلَى دِيـــنِ أَجـداد لَـها وأُبُـوَّةٍ كِرامٍ مَضَتْ لَمْ تُخْزِ أَهْـلاً ولَـم تَـرِبْ
مِـــنَ الخَـــفِراتِ لا خَـرُوجٌ بَـذِيَّةٌ مُلايِمَةٌ تَبْغي عَـلَى جارِها الجُنُبْ[1]
وَلا الجارِ ذِي القُرْبَى ولَمْ تَدْرِ ما الخَنَى ولَمْ تَـزْدَلِف يَـوْماً بِسُـوءٍ ولم تَـجِبْ
عَـجِبْتُ لَـها إِذ كُـفِّنَتْ وَهْـيَ حَـيَّةٌ أَلا إِنَّ هٰذا الخَطْبَ مِنْ أَعْجَبِ العَجَبْ

أَفَتَراهُ كيف يُبَرِّئُها عن أيّ وصمة في دينها أو حسبها، ويشهد بقتلها مظلومة من غير ما ذنب، ومثلُهُ عمر بن أبي ربيعة القرشي كما سبق ذكره وشعره[2].

(١) الجارُ الجُنُبُ: الجارُ من غير قومِكَ.

(٢) وهو شعره الذي مطلعه:

إنّ من أعجَبِ العجائبِ عندي قَـتْلَ بـيضاءَ حُـرَّةٍ عُـطْبُولِ

الرابعة:

قال ابن عبد ربّه في «العقد الفريد» في الكلام على المختار ووثوبه: ولم يكن صادقَ النيّة، ولا صحيح المذهب، وإنّما أراد أن يستأصل الناس، فلمّا أدرك بغيته أظهر للناس قُبْحَ نيّته، فادَّعى أنّ جبرئيل ينزل عليه ويأتيه بالوحي من الله، وكتب إلى أهل البصرة: بلغني أنّكم تكذّبونني وتكذّبون رسلي، وقد كُذِّبتِ الأنبياءُ من قبلي ولست بخير من كثير منهم، فلمّا انتشر ذلك عنه كتب أهلُ الكوفة إلى ابن الزبير وهو بالبصرة، فخرج إليه وبرز إليه المختارُ، فأسلمه إبراهيم ابن الأشتر ووجُوهُ أهلِ الكوفة، فقتله مصعب، وقتل أصحابه.

أبوبكر[١] بن أبي شيبة، قال: قيل لعبدالله بن عمر: إنّ المختار لَيَزْعُمُ أنَّه يُوحَى إليه، قال: صَدق، الشياطينُ يوحون إلى أوليائهم. وقتل مصعب من أصحاب المختار ثلاثة آلاف... إلخ[٢].

الذي يَسَعُ المُتحامِلِ أن يجعله مصدراً لما يرتئيه من هذا الكلام أُمور:

الأوّل: رواية كتاب المختار إلى أهل البصرة. وهو جزء من كتابه إلى الأحنف ابن قيس، وقد سلف وجه القول فيه.

الثاني: قصّة ابن عمر. وفيها: أنّ الرواية غير مسندة إليه وإنّما قيل له ذلك. ولم نتعرّف حال القائل وثقته، وأنّه هل هو ممّن يتحرّى الحقائق، أو أنه يرمي

---

(١) يعني صاحب «المصنَّف» في الحديث، وهو من المسانيد المشهورة عند الجمهور، وهو متأخّر عن زمن المختار، إذ بينهما مفازة تنقطع فيها أعناق المطي، فلا يعوَّل على قوله فيه، مضافاً إلى أنّ مرسلات «العقد الفريد» غير معتبرة في ميزان النقد السديد.

(٢) العقد الفريد ٥: ١٥٣ ـ ١٥٤.

القول على عواهنه، أو أنّه ممّن ينصب العداء للمختار فيُشِين سمعته بما يدور في خلده من بهت وافتراء؟ وهو أقرب الاحتمالات نظراً إلى الظروف القاسية في الحجاز على عهد آل الزبير، لاسيّما أيّام حياة المختار وسلطته، وإنّ سياق الرّواية يعطي أنّ القصّة كانت في أيّامه، ومع هذا الوهن لا يمكن الاستناد إليها.

وعدم الردّ من ابن عمر لا يكون دليلاً على قوّتها، فلعلّ الأحوال ما كانت تساعده على ذلك لحراجة الموقف، وحذار بوادر ابن الزبير، أو أنّه قَبِلَها لبساطته المعلومة، الّتي تركته في مَدْحَرَةِ العُزلة، وقد هوت به إلى هُوّة الخمول. ومن ذلك أنّه لم يبايع أميرالمؤمنين عليّاً سلام الله عليه وهو بالمدينة، لكنّه ذهب إلى الحجّاج ليبايع صاحبَهُ[١]؛ لِما سمع من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من أنّ «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة» فمدّ إليه الحجّاج رجله، وقال: إنّ يدي لفي شغل عنك[٢].

وبالجملة: إنّ الرجل لم يُعهَد منه إلّا الزهادة الجامدة، والتقشّف الفارغ، من غير تطبيقهما على حقيقة راهنة، ولو كان أبوه يَرَى فيه حنكة لَما عَداهُ إلى غيره في وصيّته.

وممّا يرشدك إلى أنّ ابن عمر ما كان سيِّئ الرأي في المختار ما رواه الطبري عن أبي‌مخنف، عن محمّد بن يوسف: أنّ مصعباً لقي عبدالله بن عمر فسلّم عليه وقال له: أنا ابن أخيك مصعب، فقال له ابن عمر: نعم أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة، عش ما استطعت.

(١) أي عبدالملك بن مروان.
(٢) نثر الدُّرّ، للآبي ٢: ٦٦، التعجّب، للكراجكي: ١٥٣.

فقال مصعب: إنّهم كانوا كفرة سَحَرة. فقال ابن عمر: واللهِ لو قتلتَ عدَّتَهُمْ غَنَماً من تراثِ أبيك لكان ذلك سَرَفاً[١]، انتهى.

هؤلاء هم الذين قتلهم مصعب لَمَّا تغلَّب على المختار، فلو كان لابن عمر معتقَدٌ بتنبُّؤِ المختار لَمَا عَدَّ أصحابَهُ المؤازرين له على دعواه من أهل القبلة، ولَمَا أَجاب مصعباً لَمَّا اعتذر بأنّهم كانوا كفرة سحرة بقوله: والله.. إلخ.

الثالث: قوله: فلمّا انتشر ذلك عنه.. إلخ، وهو الذي يرمي إليه أبو الفلاح عبدالحيّ بن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» بأنّه ادّعى أخيراً بأنّ جبرئيل يأتيه بالوحي من السماء، فلمَّا تَحقَّق ابنُ الزبيرِ سوءَ حاله بعث أخاه مصعباً لحربه[٢]... إلخ.

ليس السَّببُ في ذلك ما ذكره، وإنّما ألجأَ قتلةَ آلِ الله ومستأصلي شأفتهم إلى ابن الزبير، ما لاقوه من المختار من الضغط والقتل الذريع والتدمير.

قال أبو حنيفة الدينوري في «الأخبار الطوال»: ولمَّا تتبَّع المختارُ أهلَ الكوفة جعل عظماؤهم يتسلّلون هُرّاباً إلى البصرة، حتَّى وافاها منهم عشرة آلاف رجل ـ وفيهم محمّد بن الأشعث ـ فاجتمعوا ودخلوا على مصعب بن الزبير، فتكلّم محمّد بن الأشعث وقال: أيُّها الأمير، ما يمنعك من المسير لمحاربة هذا الكذّاب الذي قتل خيارنا، وهدم دورنا، وفرّق جماعتنا، وحمل أبناء العجم على رقابنا، وأباحهم أموالنا؟! سِرْ إليه فإنَّا جميعاً معك، وكذلك مَنْ خلفنا بالكوفة من العرب هم أعوانك.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٧٤.

(٢) شذرات الذهب ١: ٧٤.

قال مصعب: يابن الأشعث، أنا عارفٌ بكلّ ما ارتكبكم به، وليس يمنعني من المسير إليه إلّا غيبة فرسان أهل البصرة وأشرافهم، فإنّهم مع ابن عمِّك[١] المهلَّب ابن أبي صفرة في وجوه الأزارقة[٢]... إلخ.

ولم يزل ابن الأشعث به حتَّى كتب إلى المهلّب يأمره بالموادعة مع الأزارقة، ففعل، وأتاه، وتوجَّهوا جميعاً إلى المختار فكان ما كان من إنفاذِ مَقْدُورٍ[٣].

وروى الطبري في «التاريخ» ونقلناه ملخّصاً: عن هشام بن محمّد، عن أبي مخنف، عن حبيب بن بديل: أنّ شبث بن ربعي قدم إلى مصعب ينادي: يا غوثاه، يا غوثاه، فأُدخل عليه، وجاءه أشراف الكوفة يخبرونه بما اجتمعوا له، وبما أُصيبوا به، ووثوب عبيدهم ومواليهم عليهم، وشكوا إليه وسألوه المسير إلى المختار. وقدم محمّد بن الأشعث وقال له المصعب: إنّه لا يسير حتّى يأتيه المهلّب بن أبي صفرة... إلى آخر ما فصّله وقد ألمعنا إليه[٤]. ووافقه في كلّ ما ذكره ابن الأثير في تاريخه «الكامل»[٥].

وذكر أبو الفداء في تاريخه مسير مصعب إلى الكوفة ومعه المهلّب من غير ما إسناده إلى أيِّ سبب[٦]، وكذلك ابن الطقطقي في «الآداب السلطانيّة»[٧] فلم يذكر

---

(١) إنّما قال له: ابن عمّك، لأنّ محمّد بن الأشعث من كندة، والمهلّب من الأزد، وكلا القبيلتين من قحطان (اليمن)، فالوصف هنا على التّسامح والاتّساع. أحد الفضلاء.

(٢) الأخبار الطوال: ٣٠٤.

(٣) انظر الأخبار الطوال: ٣٠٤ ـ ٣٠٦.

(٤) انظر تاريخ الطبري ٤: ٥٥٨ ـ ٥٦٠.

(٥) انظر تاريخ ابن الأثير ٤: ٢٦٧ ـ ٢٦٩.

(٦) انظر تاريخ أبي الفداء ١: ٢٧١.

(٧) وهو تاريخ الفخري.

ـ بعد أن ذكر استيلاء مروان على الشام ومصر، وابن الزبير على الحجاز والبصرة، والمختار على الكوفة ـ إلّا أنّ ابن الزبير بعث أخاه مصعباً إليه فقتله[١].

وقال ابن قتيبة في «المعارف»: وتتبّع قتلة الحسين بن علي ـ رضي الله عنه ـ وقتل عمر بن سعد بن أبي وقّاص، وابنَهُ حفص بن عمر، وقتل شمر بن ذي الجوشن الضّبابي... وخرج نفر من أهل الكوفة فقدموا البصرة يستغيثون بهم، ويستنصرونهم على المختار، فخرج أهل البصرة مع مصعب فقاتلوه[٢]... إلخ.

هذا جُلُّ ما في كلام ابن عبد ربّه ممّا صعَّدَ به وصَوَّب في التَّحامل على المختار، وقد عرفت حاله. وأمّا بقيّة ما جاء به فـفتاوى مجرّدة، أو ما حَسِبَهُ وتخيَّلَهُ من نتائج ما زيّفناه من النقول المفتعلة.

وليت شعري، من أين عرف أنَّ الرجل لم يك صادق النيّة، ولا صحيح المذهب؟ أهل فتَّش قلبه؟ أم سرى بين أضالعه؟ أم أدرك عصره فرآه عَزُوفاً عن الحق، متحيّزاً إلى الباطل؟ أم ماذا دعاه إلى النَّيل من رجل يقول: ربّي الله؟ أم تلك المراسيل التي سوّد بها جانباً من صحيفة كتابه؟ أم أَنَّ المختار يجب أن يُقذَفَ لما ناء به من قَلْعِ جُذُومِ[٣] الإلحاد، وقَمِّ[٤] جذوره، وإبادةِ بذوره، بقتل الزعانفة الوالغين في دم النُّبوَّة والإمامة؛ قَتَلَةِ السِّبط الإمام صلوات الله عليه.

وقِفْ هنيهة على قوله: وإنّما أراد أن يستأصل الناس... إلخ، وناشِدِ ابن عبدربِّه بربِّه إنْ أَبَرَّ قسمك، وسائِلْهُ أَنْ: أَيُّ ناسٍ استأصلهم المختارُ، وقد أثبت لهم الدين

---

(١) الفخري: ١٢١.

(٢) المعارف: ٤٠١.

(٣) جُذُوم: جمع جِذْم، وهو الأصل.

(٤) قَمَّ الشيءَ قَمّاً: كَنَسَهُ.

الحنيف حرمة؟ أو أقام لهم المجتمع البشري وَزْناً؟ أهم أُولئك المزدلفون إلى راية ابن سميّة؟ أم الذين أصفقوا مع ابن المطيع على باطله؟ أم من انتزى في وقعة السَّبيع؟ أم أُناسٌ شذّوا عن أُولئك، وكانوا يبغون على الدين الغوائل، من الطغمة الشاهدة مشهد يوم الطّفّ من أعضاء الأمويّين زبانية النار، وحصب جهنّم ﴿أُولٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[(١)]. غير أنّ ابن عبد ربّه يأسف عليهم، ويا للأسف.

ولِمَ لَمْ يحسب ذلك تقييضاً إلهيّاً غضباً لأوليائه، وانتقاماً من الظالمين، ولو على يد غير مرضيٍّ في عمله، أو نيّته؟! كما جاء في الحديث: «إنّ الله يؤيّد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم»[(٢)]، مع المغاضاة عن وهن ما أتى به من مصادر فتواه، كما فعله أبو الفداء في تاريخه حيث قال: وانتقم الله للحسين [عليه السلام] بالمختار وإن لم تكن نيّة المختار جميلة[(٣)]... إلخ.

وهلّا قال كما قال المؤرّخ المصري المعاصر المعطي للنَّصَفَة حقَّها السيّد علي جلال الدين الحسيني في كتابه «الحسين»: وجزى الله المختارَ وأصحابَهُ خيراً، فإنّهم شفوا غليلَ الصُّدُور بانتقامهم من قاتليه[(٤)].

وقال ابن الأثير في «أُسد الغابة» ـ بعد أن ذكر نهضة المختار وقتله من قتل من

---

(١) البقرة: ١٥٩.

(٢) مجمع الزوائد ٥: ٣٠٢، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٢٧٩/ح٨٨٨٥. وقد ذكر المؤلّف قدّس سرّه هذا الحديث بلفظ العامّة لأنّه في مقام الاحتجاج على ابن عبد ربّه وهو من العامّة. وقد رواه الكليني في الكافي ٥: ١٩/ آخر الحديث ١ بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام بلفظ «إنّ الله عزّوجلّ ينصر هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم».

(٣) تاريخ أبي الفداء ١: ٢٧١.

(٤) الحسين عليه السلام ١: ٩.

رؤوس الجور، ودعاة الإلحاد ـ ما لفظه: فلذلك أحبّه كثير من المسلمين، وأبلى في ذلك بلاءً حسناً[١] ... إلخ. وقد نَزَّهَ كتابَهُ هذا عن أيّ وقيعة في المختار أو رواياتها، وإن كان روى بعضاً منها في «الكامل»، إلّا أنّ الفرق بين الكتابين واضح، فإنّ «الكاملَ» تاريخٌ محضٌ، وعلى المؤرِّخ سرد ما روي منه ووافق ما يرتئيه هو أو خالفه، وليس عليه التفلسف والتحليل والنقض والإبرام. وأمّا «أُسد الغابة» فكتاب تحقيق الشخصيّات والتعريف بالنفسيّات المجهولة، فلا يجوز لمن يتحرَّاه رَمْيُ القول على عواهنه بتسطير ما يقال من غثّ وسمين.

وابن العماد الحنبلي على أنّه أغرق نزعاً في التحامل على الرجل في شذراته، لكنّه لم يَعْدُهُ أن يذكر من عمله البارّ شيئاً في سياق الرضا به، والمسرَّة لأجله، قال: ثمّ بعث به ـ يعني رأس ابن زياد ـ إلى المدينة في نحو سبعين ألف رأس، وشاهَدَهُمْ نساءُ أهل البيت الكرام، وبقي الوقوف بين يدي الملك العلّام[٢].

والشهرستاني في «الملل والنحل» يذكر في انتظام الأمر له أمرين: الانتساب إلى ابن الحنفيّة، وقيامه بثأر الحسين عليه السلام، واشتغاله ليلاً ونهاراً بقتال الظَّلمة الَّذين اجتمعوا على قتل الحسين[٣].

وابن حجر الهيتمي في «الصواعق» بعد ما ذكر تلك الوثبة الكريمة للمختار وحزبه وتنكيله بأعداء الدين قال: وشكر الناس للمختار ذلك... إلخ، ولكنّه تحكَّم بعد نقل شكر العامّة له بنظريّته الشخصيّة؛ قال: لكنّه أنبأ أخيراً عن خبثٍ

---

(١) أُسد الغابة ٤: ٣٣٦.

(٢) شذرات الذهب ١: ٧٤.

(٣) انظر الملل والنحل ١: ١٤٨.

قبيح حتّى زعم أنّه يُوحَى إليه، وأنّ ابن الحنفيّة هو المهدي[1]... إلخ.

أقول: أمّا قصّة ابن الحنفيّة فسيأتي البيان الوافي لها إن شاء الله تعالى.

وأمّا ما جزم به من دعوى النّبوّة فلا يعدو أن يكون مصدره إحدى هذه النسائج التي سيق تزييفها، وسيقرع سمعَكَ حالُها إن شاء الله تعالى، وإلّا فهؤلاء البعداء عن عهد الرجل كيف يمكنهم تعرّف الأحوال التي لم يشاهدوها؟

ومثله في عدم الاعتبار ما تحذلق به ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» من أنّه كان متلوّناً كذّاباً يدعو مرّة إلى محمّد بن الحنفيّة، ومرّة لابن الزبير، حتّى ادّعى آخراً أنّ جبرئيل يأتيه بالوحي من السماء[2]... إلخ، وسيأتي بيان الوجه في مصانعته مع ابنِ الزبير أُويقات من أيّامه، ومعنى دعوته إلى ابن الحنفيّة، إن شاء الله تعالى. وأمّا دعوى النّبوّة فهو فيها تبع لسلفه، وقد أتينا على بنيان ما تشبّثُوا به من التّهويلات الفارغة والحمد للّه.

وغير بعيد عنه في الوهن ما نقله ابن حجر العسقلاني في «الإصابة» عن ابن حبّان في ترجمة صفيّة بنت أبي عبيد في «الثقات» من قوله: هي أُخت المختار المتنبّي بالعراق[3]، انتهى.

وما جزم به السيوطي ـ في «تاريخ الخلفاء» من ادّعائه النّبوّة[4]، وما قاله ابن قتيبة في «المعارف» من أنّه كان يزعم: أنّ جبرئيل يأتيه[5]، ونصّ به ابن حزم

---

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٥٧٩.

(٢) شذرات الذهب ١: ٧٤.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٦/ الترجمة ٨٥٦٧.

(٤) تاريخ الخلفاء: ٢١٤، قال: «وفي أيّام ابن الزبير كان خروج المختار الكذّاب الذي ادّعى النّبوّة».

(٥) المعارف: ٤٠١، قال: «وكان يزعم أنّ جبريل يأتيه».

في «الفِصَل» من أنّه حام حول دعوى النبوَّة لنفسه[١] ـ فإنَّا لا نأبه بالهملجات ما لم يكن القول مدعوماً بحقيقة راهنة.

ولعلَّ لِما عرفت لم يسع الشهرستاني في «الملل والنحل» الجزم بادّعائه النّبوّة، ولم تَدَعْهُ نزعته ليبرّئه، فقال في تعليله قول المختار بالبَداء لأنّه كان يدّعي علم ما يحدث من الأحوال، إمّا بوحي يوحى إليه، أو برسالة من الإمام[٢]... إلخ. وسيأتي تمام كلامه إن شاء الله تعالى.

(١) الفِصَل في الملل والأهواء والنحل ٤: ١٤١، قال: «وقد حام المختار حول أن يدّعي النبوّة لنفسه وسجع أسجاعاً وأنذر بالغيوب».

(٢) الملل والنحل ١: ١٤٩، قال: «وإنّما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء لأنّه كان يدّعي علم ما يحدث من الأحوال إمّا بوحي يوحى إليه وإمّا برسالة من قبل الإمام».

الخامسة:

روى الطبري في «التاريخ»، وابن الأثير في «الكامل» عن أبي مخنف، عن يونس بن أبي إسحاق: ولمّا خرج المختار من جَبَّانة السَّبِيع وأقبل إلى القصر أخذ سُراقة بن مِرداس يناديه بأعلى صوته:

[من الرجز]

آمْنُنْ عَلَيَّ اليومَ يا خَيْرَ مَعَدْ   يا خَيرَ من حَلَّ بِشِحْرٍ[١] والجَنَدْ[٢]

وخَيرَ مَن حَيَّى ولَبَّى وسَجَدْ

فبعث به المختار إلى السِّجن فحبسه ليلةً، ثمَّ أرسل إليه من الغد فأخرجه، فدعا سراقة، فأقبل إلى المختار وهو يقول:

[من الوافر]

أَلا أَبْلِغْ أَبا إسحاقَ أَنّا   نَزَوْنا نَزْوَةً كانَتْ عَلَيْنا

خَرَجنا لا نَرَى الضُّعَفَاءَ شَيْئاً   وكانَ خُروجُنا بَطَراً وحَيْنا

نَراهُمْ في مَصافِهِمُ[٣] قَليلاً   وهُم مُثْلُ الدَّبى[٤] حِينَ التَقَيْنا[٥]

بَرَزْنا إذ رَأَيْناهُمْ فَلَمَّا   رَأَينا القَومَ قَد بَرَزُوا إِلَيْنا[٦]

---

(١) هو شِحْرُ عُمّان، وهو صُقعٌ بينها وبين عدن.

(٢) الجَنَدُ: من أكبر أعمال اليمن، وهو موضع فيها.

(٣) تخفيف التشديد من «مصافِّهم» ضرورةٌ.

(٤) الدَّبى: صغارُ الجراد.

(٥) غير موجود في الكامل.

(٦) غير موجود في الكامل.

لَـقِينا مِـنْهُمُ ضَـرْباً طِلَحْفاً[١] وطَـعْناً صـائِباً حـتَّى انْـثَنَيْنا
نُصِرتَ عـلى عَـدُوِّكَ كُلَّ يَـومٍ بِكُـــلِّ كَـتِيبَةٍ تَـنْعَى حُسَـيْنا
كـنَصْرِ مُـحَمَّدٍ فـي يَـوْمِ بَـدْرٍ ويَــومِ الشِّـعْبِ إذ لاقَـى حُنَيْنا
فَأَسْـجِحْ إذ مَـلَكْتَ فـلَو مَـلَكْنا لَجُرْنا في الحُكُـومَة وَاعْـتَدَيْنا[٢]
تَــقَبَّل تَــوْبَةً مِـــنِّي فَــإنِّي سَأَشْكُرُ إنْ جَعَلْتَ النَّقْدَ دَيْـنا[٣]

فلمّا انتهى إلى المختار قال له: أصلحك الله أيّها الأمير، سراقة بـن مـرداس يحلف باللّه الذي لا إله إلّا هو لقد رأى الملائكة تقاتل على الخيول البُـلْق بـين السماء والأرض، فقال له المختار: فاصعد المنبر فأعلم ذلك المسلمين، فصعد فأخبرهم بذلك ثمّ نزل، فخلا بـه المـختار فـقال: إنِّـي قـد عـلمت أنّك لم تَـرَ الملائكة، وإنّما أردتَ ما قد عرفت أن لا أقتلك، فاذهب عنِّي حـيث أحـببت، لا تفسد عَلَيَّ أصحابي[٤].

وروى عن أبي مخنف، عن الحجّاج بن علي البارقي، عن سراقة بن مرداس، قال: ما كنت في أَيْمانٍ حلفت بها قطّ أشدَّ اجتهاداً ولا مبالغة في الكذب منّي في أيماني هذه التي حلفت لهم بها أنِّي قد رأيت الملائكة معهم تقاتل، فخَلَّوا سبيله، فهرب فلحق بعبدالرحمن بن مخنف عند المصعب بـن الزبـير بـالبصرة... إلخ، وذكر أنّه عند خروجه قال:

(١) الضّربُ الطِّلَحْف: الضربُ الشديد.
(٢) غير موجود في الكامل.
(٣) غير موجود في الكامل.
(٤) تاريخ الطبري ٤: ٥٢٦ ـ ٥٢٧، تاريخ ابن الأثير ٤: ٢٣٨.

[من الوافر]

أَلا أَبْــلِغْ أَبــا إِســحاقَ أَنِّــي رَأَيْتُ البُــلْقَ دُهْــماً مُـصْمَتاتِ
كَفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وجَعَلْتُ نَذْراً عَـلَيَّ قِـتالَكُمْ حَـتَّى المَماتِ
أُرِي عَـيْنَيَّ مـا لَـمْ تُـبْصِراهُ[١] كِـلانا عـالِمٌ بـالتُّرَّهاتِ[٢]
إِذا قـالُوا أَقُـول لَـقَدْ كَـذِبْتُمْ وَإِن خَرَجُوا لَبِسْتُ لَهُم أَداتي[٣]

وروى عن أبي السائب سلم بن جنادة، عن محمّد بن براد من ولد أبي موسى الأشعري، عن شيخ، قال: لَمّا أُسِرَ سُراقة البارقي قال: وأنتم أسرتموني؟! ما أسرني إلّا قوم على دوابّ بُلْق عليهم ثياب بيض، قال: فقال المختار: أُولئك الملائكة، فأطلَقَهُ، فقال: وذكر بيتين من التائيّات[٤].

وهذه القصّة إن صدقت عن سراقة، وإن صدق سراقة، ليس فيها شيءٌ من دعوى النُّبوّة غير ما يُوعِزُ إليه في شعره: «كَفَرْتُ بوَحْيِكُمْ»، في موقف هو يريد النَّيْل من عدوّه، والاستثارة عليه، فأيُّ عِبرة عند ذاك بقوله مع تبيُّن فسقه من أحد الكذبين: قوله في الخيل البلق، ويمينه عليها، وإنكاره لذلك كلّه، واعترافه بأنّها كانت أيماناً فاجرة، وكان يسعُهُ استعطافُ المختارِ بغيره من القول كما استلانَ جماحَهُ أوّلاً بشعره الأَوَّل، وكان يكفيه ذلك في الإبقاء على مهجته. وبعد انفلاته عن الكوفة كان يمكنه الاعتزال والسكوت للحصول على السلامة على حدِّ قوله

---

(١) تَرْأَياه (خل). وعلى هذه الرواية يكون شاهداً على إتيان الفعل على أصله فإنّ «نَرَى» أصلها «نَرْأَى».

(٢) التُّرَّهات: الأباطيل، جمعُ تُرَّهَة.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٥٢٧، تاريخ ابن الأثير ٤: ٢٣٩.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٥٢٧ ـ ٥٢٨.

صلوات الله عليه: «كن في الفتنة كابن اللبون؛ لا ظهرٌ فيُركَب، ولا ضرعٌ فيُحلَب»(١)، من دون أن يلتحقَ بمصعب، ويجلبَ مرضاته بمائنٍ(٢) من القول وبعد الاتّصال به، فما كان ابنُ الزبير يبغي من المزدلفين إليه غير نصرته، وكان من النّوافل التزلّف إليه بكلمة تروقه، فلا ضرورة تلجئه إلى التقوّل بأحد القولين فـ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾(٣)، على أنّ الرجل ليس ممّن يركن إليه في حدّ ذاته، وإنّما هو شاعر يمدح ويهجو كيف شاء له الهوى ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾(٤).

إذَنْ فقُصارَى ما في هذه القُصَّة دعوى أنّ المولى سبحانه أيّد الثائرينَ في سبيله للأخذِ بثاراتِ آل نبيِّهِ بمددٍ غيبيٍّ، وليسَ ذلك ببدعٍ من صُنْعِ الله مع أوليائه، وليس مكانَةُ آلِ محمَّدٍ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ تقصرُ عنده عن مدى غيرهم في الزُّلفة والفضيلة، ولا مكانةُ شيعتهم ـ المتفانين في إعلاء كلمتهم والتنكيل بأعدائهم، أعداءِ الله بأُولئك البعداء ـ عن لطفه، حتّى يعدَّ من المستحيل في حقِّهم مثل تلك العناية منه تعالى.

وماذا على المختار أن يصدّق رجلاً هو على ظاهر الإسلام يدّعي شيئاً، وهو لا يرى نفسه بذلك البعيد عن مِنَحِ المولى سبحانه، بالبشائر السابقة على نهوضه من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وغيرهم من أهل الملاحم والكتب كما ستقف على تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى، وبأعماله البارّة التي جاء بها في سبيل الدِّين،

(١) نهج البلاغة ٤: ١/٣.

(٢) المائن: الكاذب.

(٣) الحجرات: ٦.

(٤) الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

وكبح جماح الظالمين، وإدراك تِراتِ سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله وسلّم، وبما يرى من نفسه من الإخبات وصدق النيّة، إلى غيرها من فضائله الجمّة.

ولعلَّه كان قد سمع رؤيا عامر السابق ذكرها، وأمثالها، فلا يستبعد أن يكون بعضُ ما فاه به سراقة تعبيراً لها ولنظائرها. فماذا على المختار إذَنْ أن يصدِّق هذا القولَ، ويأمر القائل بالهتاف به بين الملأ ليشدَّ به قلوبَ أصحابه ويثبِّتَهُمْ على نيّاتهم ويغرِيَهم بأعداء الله؟!

هب أنَّه لم يكن يثق به كُلَّ الثقة كما يظهر من كلامه، لكنّه أتاه يقسم بالذي لا إلَه إلّا هو وهو مسلم، فأيُّ مسلمٍ يسعه القطع بكذبه، وإن كان هو يَمِينُ[1] في يمينه عند نفسه؟! فإن صدق فحبَّذا، وإن كذب فعليه عهدة النقل، فلا حرَجَ على المذعِنِ أو مُجْرِي أَصالةِ الصِّحَّة في قول المسلم أَن يأمرَ بإِذاعة النقل، ولاسيّما إذا كان فيه شيء من صالح الإسلام والمسلمين.

---

(١) أي يكذبُ.

السادسة:

روى الطبري في «التاريخ» وابن الأثير في «الكامل»: أنّ الطفيل بن جعدة بن هبيرة أَعْدَمَ[١] مرّةً من الوَرِقِ[٢]، فأخذ كرسيًّ جارٍ له زيَّاتٍ قد رَكِبَهُ الوسخ، وقال للمختار: إنِّي كنت أكتمك شيئاً لم أَستحلَّ ذلك، فقد بدا لي أن أذكره لك، قال: وما هو؟ فقال: كرسيّ كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه، كأنّه يرى أنَّ فيه أثرة من علم، قال: سبحان الله، فأَخَّرت هذا إلى اليوم؟! ابْعَثْ إليه. فجيءَ به وقد غُشِّيَ، فأمر له المختار باثني عشر ألفاً. ثمّ ذكر هتاف المختار به، وأنّه كتابوت السكينة في بني إسرائيل، وكشفوا عنه أثوابه، فكبَّرت السبائيّة ثلاثاً، ورفعوا أيديهم، وقال شبث بن ربعي: يا معشرَ مُضَر لا تَكْفُرُنَّ، فنُحِّيَ وأُخْرِجَ. وذكر إخراجه إلى حرب ابن زياد مغشىً على بغل يمسكه سبعة عن يمينه، وسبعة عن يساره، فقتل أهل الشام مقتلة لم يقتلوا مثلها. فزادهم ذلك فتنة، فارتفعوا فيه حتّى تعاطوا الكفر. ثمّ ذكر ندامة الطفيل بن جعدة على ما فعل، وأنَّ الناس تكلّموا في أمر الكرسيّ، فغُيِّب فلم يَرَهُ الطُّفيل بعد.

وفي رواية أُخرى: أنّ المختار قال لآل جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي ـ وكانت أُمّ جعدة أُمّ هاني، أُختَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام لأَبيه وأُمّه ـ: ائتوني بكرسيّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فامتنعوا وقالوا: ما ندري من أين نجيء به، فألحّ عليهم، فأتوا بكرسيّ وقالوا: هذا، وظَنُّوا أنَّهم إذا أتوه بأيِّ كرسيّ قَبِلَهُ منهم، فخرج رؤوس أصحاب المختار وقد عَصَّبوه بالحرير والدّيباج، وكانَ

---

(١) أَعْدَمَ الرَّجُلُ: افتقر.

(٢) أي لم يكن لديه درهم ولا دينار.

المختارُ يحفُّ به أوّل ما جاء، ثمّ ذكر أنَّ أبا أُمامة ـ أحد عمومة الأعشى ـ كان يأتي مجلس أصحابه فيقول: قد وُضِعَ لنا اليومَ وحيٌ ما سَمِعَ النَّاس بمثله، فيه نبأُ ما يكون من شيء[١].

وروى أبو مخنف، عن موسى بن عامر: أنَّه إنّما كان يصنع ذلك لهم عبدالله بن نوف، ويقول: المختار أمرني به، ويتبرَّأُ المختار منه[٢].

هذا لباب قصّة الكرسي، الَّذي اقتطف الشَّهرستاني في «الملل والنحل» ـ شيئاً منه، وعدَّهُ من مخاريق المختار[٣]، وتحامل بها على الرَّجل غيرُ واحد من الكتَّاب.

ونحن إذا سالمناك على اعتبار تلكم القصص، وغَضَضْنا الطَّرف عن أسانيدها المتوفِّرة فيها عوامل الوهن، فليس فيها من أَمر النّبوّة حَلٌّ ولا رَبْطٌ.

فغايةُ ما في الرواية الأُولى: أنّ المختار صدّق الطُّفيل بن جعدة بن هبيرة فيما جاء به من أنّ الكرسيّ فيه أثارة من علم، وعلى فرضه فهو سرٌّ إلهيٌّ مُسْتَوْدَع فيه، إذ ليس للبشر أن يُودِعَ في الأخشاب أيَّ علم، أَو أَثَر، إذن فيحقُّ الاحتفاءُ به، وإكباره. وإذ كان يَرَى المختارُ من فضل المولى عليه شيئاً كثيراً، فكانَ يَحْتَمِلُ أن يكون ما صَدَّقَ فيه ابنَ جعدة منها. وصادفت هذه الهواجسُ وقعةَ ـ الخازِر ـ

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤: ٥٤٩ ـ ٥٥٠، وتاريخ ابن الأثير ٤: ٢٥٨ ـ ٢٥٩. وقال الأُوردبادي: «قد لخّصنا ما في الكتابين، وفي تاريخ أبي الفداء إشارة إلى حديث الكرسي». والذي أشار إليه هو ما قاله أبو الفداء في تاريخه ١: ٢٧١ ثمّ إنّ المختار اتّخذ كرسيّاً، وادّعى أنّ فيه سِرّاً، وأنّه لهم مثل التابوت لبني إسرائيل.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤: ٥٥٠ ـ ٥٥١.

(٣) الملل والنحل ١: ١٤٩ قال: فمن مخاريقه أنّه كان عنده كرسي قديم غشّاه بالديباج وزيّنه بأنواع الزينة وقال: هذا من ذخائر أميرالمؤمنين عليّ كرّم الله وجهه. وهو عندنا بمنزلة التابوت لبني إسرائيل... إلى آخر كلامه.

والفتح المبين بها، ومعهم الكرسيّ ـ على فرض تصديق النقل ـ فماذا عليه حينئذٍ إنْ كان الطُّفيلُ كَذُوباً في قوله، غيرُ أنَّ عليه إجرامَهُ.

وأمّا الرِّواية الثانية: فإنّ المختار كان يقوى ظنُّهُ بأنّه كان عند آل جعدة خِبْرَةٌ بالكرسيّ المذكور؛ للرَّحِمِ الماسَّة بينهم وبين أميرالمؤمنين عليه السلام، ولم يحمل إنكارَهُم إلّا على الضِّنَّة[1] به، فألَحَّ عليهم، وإذ لم يجدوا منتدحاً من إجابته أتوه بكرسيٍّ منتحَلاً له هذا الاسم.

ولكنَّ المختارَ اعتقد فيه أنّه كرسيّه.

ومن الواضح عند من يعتقد إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام بالمعنى الذي كان يعتقده المختار ـ ونعتقده نحن ـ أَنَّ كلّ ما اختصّ بعنايةٍ منه بملامسةٍ، أو مباشرة، أو توجُّه إليه، يجب الاحتفال به بالتبجيل وتقديسه، وربّما جُعِلَ وسطاً في الفيضِ وقضاءِ الحاجات، والنُّجح في الطِّلبات، كما يتبرَّك المسلمون بقبور الأنبياء والأولياء.

ونقل ابن تيميّة تبرّك مالك بمنبر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وتمسّح يحيى بن سعيد به حين خرج إلى العراق[2].

وروى القاضي عياض في «الشفا»: أنَّهُ رُئي ابن عمر واضعاً يده على مقعد النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ من المنبر، ثمّ وضعها على وجهه[3].

وعن ابن قسيط والعتبي: كان أصحاب النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ إذا

---

(١) الضِّنَّة: البخل الشديد.

(٢) انظر كشف الارتياب في اتّباع محمّد بن عبدالوهّاب: ٣٤٥.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٨٦.

خلا المسجد حَسُّوا رمّانَة المنبر التي تلي القبر بميامنهم[١].

ونقل ابن تيميّة في «الصراط المستقيم» عن أحمد بن حنبل جوازُ التَّمَسُّحِ بالمنبر[٢].

وفي كتاب «العلل والسؤالات» لعبدالله بن أحمد بن حنبل، قال: سألت أبي عن الرجل يمسّ منبر رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ويتبرّك بمسّه وتقبيله، ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله؟

قال: لا بأس به[٣].

إلى كثير من أمثال ذلك مِمَّا نخرج باستيفائه عن وضع الرسالة[٤].

فعلى هذا الأساس كان ما يشاهدونه من المختار من الحَفاوةِ والتَّبجيل في أمر الكرسيّ، فماذا عليه إذا كان الإسناد مفتعلاً وهو لا يعلم؟ وأمّا إذا كان يسير به أبو أمامة، أو عبدالله بن نوف، فما عسى أن يضرّ المختار وهو كان يتبرّأ منه؟

ومثل هذا قيام السبائيّة[٥] وتكبيرهم وانبساطهم إلى الكرسيّ، فأيُّ حزازة فيه

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٨٦.

(٢) مجموعة الرسائل، لابن تيميّة ٤: ٩٦.

(٣) العلل، لأحمد بن حنبل ٢: ٤٩٢/السؤال ٣٢٤٣.

(٤) تقدّم بحث مفصّل في هذا الموضوع مشبع بالأدلّة والبراهين تحت عنوان «مع الأُستاذ الطنطاوي» في الجزء الأوّل.

ومن أراد أن يرى تبرّك الصحابة والتابعين بآثار رسول الله صلّى الله عليه وآله، فعليه بمراجعة كتاب «تبرّك الصحابة بآثار الرسول» للشيخ محمّد طاهر الكردي، أحد علماء الحرم الشريف في مكّة المكرّمة زادها الله شرفاً، وكتاب «التبرّك» للعلّامة الجليل الشيخ علي الأحمدي الميانجي.

(٥) السبئيّة والسَّبائيّه منسوبة إلى عبدالله بن سبأ، وقد أثبت التحقيق أنّه أُسطورة نسجتها أيدي الرواة الوضّاعين لأسبابٍ سياسيّة ومذهبيّة، كما أماط اللّثام عن ذلك العلّامة المحقّق السيّد ←

على مُقَدِّر الكرسي إذا كان يخالفه في العقيدة؟ ثمّ من أين يمكننا الحصول على العلم بأنّ ابن جعدة في أيٍّ من قوليه هو صادق؟ أَهو حين جاء بالكرسيّ إلى المختار يعزو إليه ما قال؟ أم هو حين أبدى أنّه إنّما ساقه إلى ذلك سائق الإملاق والطّمع في وَفْرِ الرجل؟ ويغلب على الظّنّ أنّه يَمِينُ ويكذبُ في قوله الأخير حين تقلّصت إمرة المختار، وتغلّب على الأمر آل الزبير، وبعدهم الأمويّون، وكان يومذاك التّحاملُ على المختار آثَرَ شيءٍ عند المتغلّبين، والنّاسُ حديثو عهد بعهد معاوية، عَصْرِ الوضع والافتعال الذي كان يَهَبُ القناطير المقنطرة لوضع الروايات في فضل الأُمويّين، والتنقيص من أميرالمؤمنين عليه السلام وشيعته، حتّى عاد ذلك من شَناشِنِ[1] أهل المطامع، ووثّابةِ النَّهَم، فطَفِقوا يضعون للوهم والخيال الزُّلْفةَ والمَلَق. ولعلّ من هذه حديثَ الكرسيِّ الأخيرَ، أو ما في الرواية الأُخرى من امتناع آل جعدة.. إلخ. إنْ كان لأوّله أصل ثابت، وأين وأنّى؟!

ثمّ بعد التنازل عن كلّ ما قلناه، فليس في رواية الكرسيّ غير أنّ المختار أراد تثبيتَ أصحابِهِ وتشجيعَ جيوشِهِ، فاخترع لهم ذلك ليشدَّ قلوبهم، كما تفعل الساسة أمثالَهُ لتشييد سلطانهم، وإقامة ملكهم، وإزاحة المَثُلات عنهم ممّا لا حقيقة له، فهي إلى الكذب أقرب منها إلى التنبّؤ والكفر كما يبتغيه الشانئ للمختار،

← مرتضى العسكري في كتابه «عبدالله بن سبأ» المطبوع غير مرّة. وقد سبقه في التشكيك بوجوده الدكتور طه حسين في كتابه «الفتنة الكبرى»، فتأمّل.

(١) الشّناشِن: الطبائع، جمع الشِّنْشِنَة، وهي الطبع والسَّجيّة، ومنه المثل المعروف «شنشنة أعرفها من أَخْزَمِ».

فما في شعر المتوكِّل اللَّيثيِّ[١]:

[من السريع]

أَبْـلِغْ أَبـا إِسحاقَ إِن جِـئْتَهُ ... أَنِّـــي بِكُــرْسِيِّكُمْ كــافِرُ
تَـتْرُو شِـبَامٌ حَـولَ أَعْـوادِهِ ... وتَحْمِلُ الوَحْيَ لَهُ شـاكِـرُ[٢]
مُـــحْمَرَّةً أَعْـيُنُهُمْ حَـوْلَهُ ... كَأَنَّهُنَّ الحِمَّصُ الحـادِرُ[٣][٤]

وقول أعشى[٥] هَمْدان:

[من الطويل]

شَـهِدتُ عَـلَيْكُمْ أَنَّكُـمْ سَـبَئِيَّةٌ ... وَإِنِّي بِكُمْ يا شُرْطَةَ الشِّرْكِ عارِفُ
وَأُقْسِـمُ مـا كُـرْسِيُّكُمْ بِسَكِـينَةٍ ... وَإِن كانَ قَـد لُـفَّتْ عَـلَيهِ اللَّـفائِفُ
وأَنْ ليسَ كالتَّابُوتِ فِينا وَإِنْ سَعَتْ ... شِـبامٌ حَـوالَـيْهِ ونَـهْدٌ وَخـارِفُ[٦]
وإِنِّــي آمْـرُؤٌ أَحْـبَبْتُ آلَ مُـحَمَّدٍ ... وَتابَعْتُ وَحْياً ضُمِّنَتْهُ المَـصاحِفُ

---

(١) هو أبو جهمة المتوكّل بن عبدالله بن نهشل الليثي الكناني الكوفي.
من شعراء الدولة الأمويّة، وكان عثماني الهوى.
راجع الأغاني ١٢: ١٥٥، والحماسة البصريّة ٢: ١٥.

(٢) شِبام: بطن من هَمْدان. وكذلك شاكر.

(٣) الحادر: السمين الممتلئ.

(٤) وانظر الشعر في ديوان المتوكّل الليثي: ٢٥٢ ـ ٢٥٣/ قسم شعره في غير المخطوطة، عن تاريخ الطبري ٤: ٥٥١.

(٥) هو عبدالرحمن بن عبدالله الهمداني، شاعراليمانيّين بالكوفة وفارسهم في عصره. وكان أحد الفقهاء القرّاء، قتله الحجّاج سنة ٨٣. الأعلام ٤: ٨٤، عن الأغاني ٥: ١٣٨.
ومن الغريب أنّ السمعاني في الأنساب، وابن الأثير في اللّباب، لم يذكرا الأعشى في بابه، مع أنّه من شرطهما، ولكنّ ابن الأثير استدركه في «العامري» من الأنساب في كتابه اللباب ٢: ١٠٧.

(٦) «نهد» من قضاعة و«شبام» و«خارف» من همدان اليمانيّة القحطانيّة.

وَتـابَعْتُ عـبدَاللهِ لَـمَّا تَـتابَعَتْ عَلَيهِ قُرَيْشٌ شُمْطُها والغَطارِفُ[١]

كُلُّهُ عداءٌ كامنٌ، وتشنيعٌ بالرَّجلِ، وإرادةُ تخذيلِ الملأ عنه، وتحيُّزٌ إلى ضدّه. انظر إلى قوله: «وتابعت عبدالله»... إلخ، وكذلك قول شبث بن ربعي: «يا معشر مضر لا تكفرنّ»، وقول الطفيل: «إنّهم تعاطوا في ذلك الكفر»، ولعلّك لا تستريب في ذلك بعد ما حقّقنا لك من تحليل القصّة. وليت شعري أيّ كفرٍ كان في المختار وحزبه هو أشنع من كفر شبث بن ربعي الذي يقول ذلك؟!

(١) وانظر الشعر في تاريخ الطبري ٤: ٥٥٠.

السابعة:

روى المرزباني في كتابه «الشعراء»: أنّه كان للمختار غلام اسمه جبرئيل، وكان يقول «قال لي جبرئيل، وقلت لجبرئيل»، فيتوهّم الأعراب وأهل البوادي أنّه جبرئيل عليه السلام، فاستحوذ عليهم بذلك.

وأردف ابن نما في الرسالة هذه الكلمة بقوله: حتّى انتظمت له الأُمور، وقام بإعزاز الدين ونصره، وكسر الباطل وقصره[١].

ولو صدقت هفوةُ التاريخ فهذا غير دعوى النّبوّة، وإنّما هي غِرَّةٌ من البسطاء، وسَذاجةٌ طالما أَلْقَتِ الرَّجْرَجَةَ[٢] في هُوّة المهالك، على أنّه لم يثبت في النقل أنّه كان يوهم بقوله ذلك، غيرَ أنّ من ولائد الصُّدَف أنّه رزق غلاماً اسمه جبرئيل، ولا نُدْحَةَ لأيٍّ بليغٍ في التعبير عن غيره إلّا التعبير باسمه، وليس عليه أنّ هناك رَعْرَعَةً دهماءَ تستفيد من ذلك الضَّلالةَ، أو يَهْوِي بها جهلُها المطبِقِ إلى حيث الضَّعَةِ والبَوارِ.

هذا، وإنّ المُلِمّ بالسِّيَر جدُّ عليمٍ بأنَّ المختار ما استحوذ على الناس إلّا بالدَّعوى لآل محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ والأخذ بثاراتهم، ونشر مناقبهم، قبل إمرته وبعدها، وبايعه الناس على كتاب الله وسنّة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ والطلبِ بدمِ الحسين بن عليّ عليهما السلام ودماء أهل بيته رحمة الله عليهم، والدَّفعِ عن الضعفاء. رواه شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في أماليه بإسناده عن المدائني في حديث[٣].

---

(١) ذوب النُّضار: ٩٢.

(٢) الرَّجْرَجة: بقيّةٌ في الحوضِ كَدِرَةٌ خاثِرة ترجرج، شبَّه بها الرُّذّال من الناس في أنّهم لا يُغنون عن أَحَدٍ كما لا تُغني الرجرجة عن الشارب.

(٣) انظر أمالي الطوسي: ٢٣٩/ح ٤٢٤.

وذكر ابن الأثير في «الكامل»[١]، والطبري في «التاريخ»[٢]، وأبو الفداء في تاريخه[٣]، معنى ذلك.

وهذه البيعة لا تكون لمن ينشر عنه التَّنَبُّؤ ولو إيهاماً، فإنّ من ضروريّات الكتاب والسّنّة ختم الرسالة بالنبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم، فلامحالة أنَّ من يدَّعيها بعده كافر بكتابه وسنّته، فكيف يبايعه العالِمُ به عليهما؟!

على أنَّ ظاهر السِّياق يعطي أَنّ تلك المزعمة كانت قبل تقلّده الإمرة، لأَنَّه يقول إنّه بذلك استحوذ على الإمرة، فلابدّ حينئذٍ من تَرتُّبٍ ولو طبيعيّ بينها وبين سببها، وهذا مخالف لما عرفتَهُ ممّا نُسِبَ فيه إليه تلك الدَّعوى، فهي مُطبقة على أنّها كانت أيّام سلطته لا قبلها.

وقد أسلفنا أنّه كان قبلها يتحبَّب إلى الناس بولاء البيت النَّبويّ، ويتكلّم بفضل آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وينشر مناقب عليّ والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ ويسيّر ذلك ويقول: إنّهم أحقّ بالأمر من كلّ أحد بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ويتوجّع لهم ممّا نزل بهم؛ ذكره ابن نما[٤] وغيره، وقد مرّ، ويأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ غيرُهُ من النقل المعتبر فيه ممّا ينافي تحايُدَهُ عن محمّد وآله ـ صلوات الله عليهم ـ بتلك الدعاية الإلحاديّة.

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٤: ١٧٢ وفيه: وأمرني [محمّد بن الحنفيّة] بقتل الملحدين والطلب بدم أهل بيته والدفع عن الضعفاء، فكونوا أوّل خلق الله إجابَةً، فضربوا على يده وبايعوه.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٤٩ وفيه قريب ممّا في ابن الأثير.

(٣) تاريخ أبي الفداء ١: ٢٧٠ وفيه: وبايعه الناس بها [أي بالكوفة] على كتاب الله وسنّة رسوله والطلب بدم أهل البيت.

(٤) ذوب النُّضار: ٦٧.

الثامنة:

ما نسبه صاحب كتاب «المحتضر»[١] إلى القيل من أنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام كان يلعن المختار ويقول: «كذب على الله وعلينا»[٢]، لأنّ المختار كان يزعم أنّه يوحى إليه.

وهذه الرواية حسبها من الوهن إرسالها المنحطّ إلى درجة القِيل، وما يُصادِمُها من الأحاديث المعتبرة عن أئمّة الهدى عليهم السلام حتّى عن نفس الإمام السجّاد ـ صلوات الله عليه ـ في الثناء عليه وسرد فضائله، والدّعاء له وشكره على صنيعه والنّهي عن سبّه، وما شاع بين علماء الإماميّة من جلالته ورفعة مقامه، إلى غيره ممّا سيمرّ بك تفصيله إن شاء الله تعالى ممّا لا يكون في كافرٍ يدّعي النُّبوَّةَ باطلاً.

على أنّه ليس في الرواية إسنادُ ذلك إلى الإمام عليه السلام، وإنّما المسند إليه هو اللَّعن، ونسبة الكذب إليه، ثمّ إنّ الراوي أو القائل علَّل ذلك بقوله: لأنّ... إلخ. ولا حجّة علينا في مزعمة قائل لا نعرف محلّه من الثقة، ولا موقفه من الأمانة.

فهذا القيل وما قبله من التَّقوُّل كلّها ممّا قاله المحقّق الأردبيلي قدّس سرّه في «حَديقة الشيعة»[٣]: من أنّها أنباء روائيّة خياليّة عزاها القصّاصون إلى المختار، ولا اعتماد على أقوالهم، فالمرجع في تعرّف حال الرجل الكتب المبسوطة للعدول

---

(١) للشيخ الجليل حسن بن سليمان الحلّي تلميذ شيخنا الشهيد الأوّل من علماء أوائل القرن التاسع. طبع هذا الكتاب في النجف الأشرف سنة ١٣٧٠هـ في المطبعة الحيدريّة، وللمؤلّف قدّس سرّه ترجمة لمؤلّف هذا الكتاب، وُضعت في باب التراجم من هنا وهناك من هذه الموسوعة.

(٢) لم أعثر عليه في كتاب المحتضر، لكن نقله عنه المجلسي في بحار الأنوار ٤٥: ٣٤٦/ح١٦.

(٣) طبع سنة ١٢٧٤، عند ذكر أحوال الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام ـ مترجماً عن الفارسيّة. (المؤلّف).

والثقات من علماء الإماميّة[١] .. إلخ.

وهي إلى لِداتها هي التي جرّأت الأجانب على قذف الرجل بشِيَة[٢] الإلحاد، فعَدَّتْهُ جمعيّة المرسلين الأَمريكان ـ مؤلِّفة الكتاب المُستعارِ له اسمُ «الهداية» ـ من الملحدين ذَوي الآراء الباطلة في الإسلام كابن المقفَّع والقرامطة ... إلخ[٣].

نعم «حَنَّ قِدْحٌ ليس منها»[٤] ولكنّ التَّبِعَةَ في ذلك على الدَّسّاسين الذين سوّغوا لهؤلاء الجُرأة، وهَيّأُوا لهم الفِرْيَة.

وبهذا البيان المجمل وما يتبعه من التفصيل تعرف الحال في عزو ابن حجر في الإصابة هذا الإسناد إلى جماعة من أهل البيت عليهم السلام[٥]، ولم نجد ممّا يتَخَيَّل نسبتَهُ إلى أحد منهم إلّا هذه التي عرفت محلّها من الاعتبار.

وفي «تنقيح المقال»: إنّ نسبة دعوى النبوّة إليه ليس لها في كتب أصحابنا عين ولا أثر، ويردّها جميع أخبارنا المتقدّمة، وإنّما ذلك افتراءٌ من العامّة عليه؛ لقتلِه جملةً من رؤسائهم وأخذه بثارات أهل البيت عليهم السلام ...[٦] إلخ.

---

(١) انظر حديقة الشيعة: ١١٣.

(٢) الشِّية: العلامة والوسم.

(٣) ج٣ ص١٧٦ س ٢٠. (المؤلّف).

أقول: وهذا الكتاب من كتب الضّلال، وقد جاء اسمه على غير مسمّى، وللإمام البلاغي قدّس سرّه ردّ مفحم عليه بـ«الهدى إلى دين المصطفى» وقد طبع غير مرّة، فراجع.

(٤) مَثَلٌ من أمثال العرب، يُضْرَبُ لمَن يُدْخِلُ نفسه في القوم وهو ليس منهم، والقِدْح أحد قِداح الميسر، وكانوا يستعيرون القِدح ويدخلونه في قِداحهم يتيمّنون به ويثقون بفوزه. شرح النهج الحديدي ١٢: ١٦٩.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٦/ الترجمة ٨٥٦٧ قال في شأن المختار: قد شهد عليه بدعوى النّبوّة والكذب الصريح جماعة من أهل البيت.

(٦) تنقيح المقال ٣: ٢٠٦. الطبعة الحجريّة.

لكن الذي يوجد من النصّ بذلك في كتبنا ما ذكره الشيخ أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختي في «فرق الشيعة» من أنّ أبا عمرة صاحب شرطته هو الذي ادَّعى أنَّ جبرئيل كان يأتي المختار بالوحي من عند الله عزّ وجلّ فيخبره ولا يراه...[١] إلخ.

إذن فماذا على المختار لو كان غيره يفتري عليه باطلاً إنْ صحّ النقل بذلك؟!

---

(١) فِرَق الشيعة: ٢٣.

التاسعة:

قال أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمّد البغدادي المتوفّى سنة ٤٢٩ في كتاب «الفرْق بين الفِرَق»: فلمّا تَمَّت للمختار ولاية الكوفة والجزيرة والماهين[١] وملك إلى حدود أرمينيّة، تكهَّنَ بعد ذلك، وسَجَعَ كأَسْجاع الكَهَنَة. وحُكِيَ أنَّه ادَّعى نزول الوحي عليه، فمن أسجاعه قوله: أما والَّذي أنْزَلَ القُرْآن، وبَيَّنَ الفُرْقان، وشَرَعَ الأَدْيَان، وكَرِهَ العِصْيان، لأَقْتُلَنَّ البُغاةَ[٢] مِنْ أَزْدِ عُمان، ومَذْحِج وَهَمْدان، ونَهْدٍ وَخَوْلان، وبَكْرٍ وهَزَّان، وثُعَلٍ ونَبْهان، وعَبْسٍ وذُبْيان، وقَيْسِ عَيْلان. ثمّ قال: وحَقِّ السَّمِيعِ العَلِيم، العَلِيِّ العَظِيم، العَزِيزِ الحَكِيم، الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم، لأَعْرِكَنَّ عَرْكَ الأَدِيم، أَشْراف بَنِي تميم[٣].

وقال صاحب «الفَرْق بَيْنَ الفِرَق»: ثمّ إنّ المختار خدعته السَّبَئِيّة الغُلاةُ من الرافضة، فقالوا له: أنت حجّة هذا الزمان، وحملوه على دعوى النُّبوَّة، فادّعاها عند خواصّه، وزعم أنَّ الوحي ينزل عليه، وسَجَعَ بعد ذلك فقال: أَما ومُنْشِئِ السَّحاب، الشَّدِيدِ العِقاب، السَّرِيعِ الحِساب، العَزِيزِ الوَهَّاب، القَدِيرِ الغَلَّاب، لأَنْبُشَنَّ قَبْرَ ابنِ شِهاب، المُفْتَرِي الكَذَّاب، المُجْرِم المُرْتاب. ثُمَّ وَرَبِّ العَالَمِين، ورَبِّ البَلَدِ الأَمِين، لأَقْتُلَنَّ الشَّاعِرَ المَهِين[٤]، وراجزَ المارِقِين، وأَوْلياءَ الكافِرِين، وأَعْوانَ الظَّالِمِين، وإِخْوانَ الشَّياطِين، الَّذِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى الأَباطِيل[٥]، وتَقَوَّلُوا

(١) والعراقين ـ خ ل.

(٢) العُتاة ـ خ ل.

(٣) الفَرْق بين الفِرَق: ٤٦ ـ ٤٧.

(٤) الهجين ـ خ ل.

(٥) عَلَيَّ بالأباطيل ـ خ ل.

عَلَيَّ الأَقاوِيل. أَلَا فَطُوبَى لِذَوِي[١] الأَخْلاقِ الحَمِيدَة، والأَفْعالِ السَّدِيدَة، والآراءِ العَتِيدَة، والنُّفُوسِ السَّعِيدَة.

ثمّ خطب بعد ذلك فقال في خطبته: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَني بَصِيراً، ونَوَّرَ قَلْبِي تَنْوِيراً، وَاللهِ لأُحْرِقَنَّ بالمِصْرِ دُوراً، ولأَنْبُشَنَّ بِها قُبُوراً، ولأَشْفِيَنَّ مِنْها صُدُوراً، وَكَفَى باللّهِ هادِياً ونَصِيراً.

ثُمَّ أَقْسَمَ فقال: بِرَبِّ الحَرَم، والبَيْتِ المُحَرَّم، والرُّكْنِ المُكَرَّم، والمَسْجِدِ المُعَظَّم، وحَقِّ نُون والقَلَم، لَيُرْفَعَنَّ لي عَلَم، مِنْ هاهُنا إِلَى إِضَم، ثُمَّ إِلَى أَكْنافِ ذِي سَلَم.

ثمّ قال: أَما وَرَبِّ السَّماء، لَتَنْزِلَنَّ نارٌ مِنَ السَّماء، فَلَتُحْرِقَنَّ دارَ أَسْماء. فأُنْهِيَ هذا القول إلى أَسماء بن خارجة، فقال: قد سجع بي أبو إسحاق، وإنّه سيحرق داري، وهرب من داره، وبعث المختارُ إلى داره مَنْ أحرقها باللَّيل، وأظهر من غده أَنَّ ناراً من السماء نزلت فأحرقتها.

ثُمَّ إنّ أهل الكوفة خرجوا على المختار لَمَّا تكهَّن، واجتمعت السبئيّة إليه مع عَبِيد أهل الكوفة؛ لأنّه وعدهم أن يعطيهم أموال ساداتهم، وقاتَلَ بهم الخارجين عليه فظفر بهم، وقَتَلَ منهم الكثير، وأَسَرَ جماعة منهم. وكان في الأَسْرى رجلٌ يقال له: سُراقة بن مِرْداس البارقيّ، فقُدِّم إلى المختار، وخاف البارقيُّ أن يأمر بقتله، فقال للَّذين أسروه: ما أنتم أَسرتُمونا، ولا أنتم هزمتمونا، وإنَّما هزمنا الملائكة الَّذين رأيناهم على الخَيْلِ البُلْقِ فوقَ عسكركم، فأَعْجَبَ المختارَ قولُهُ هذا فأُطلق عنه، فلحق بمصعب بن الزبير بالبصرة، وكتب منها إلى المختار بهذه الأبيات:

(١) وليس خطابي إلّا لذوي ـ خل.

أَلا أَبْــلِغْ أَبــا إِســحاقَ أَنِّــي رَأَيْتُ البُـلْقَ دُهْـماً مُـصْمَتاتِ
أُرِي عَـيْنَيَّ مـا لَـمْ تُـبْصِراهُ[١] كِــلانا عــالِمٌ بــالتُّرَّهاتِ
كَفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وجَعَلْتُ نَذْراً عَـلَيَّ قِتالَكُمْ حَتَّى المَماتِ

وفي هذا الَّذي ذكرناه بيانُ سبب كهانة المختار ودعواه الوَحْي إليه ...[٢] إلخ.

هذا قصارى ما وسع البغدادي من التَّصْعِيد والتَّصويب حول نبوّة المختار المكذوبة عليه، على حين أنَّ نفسه بَعْدُ لم تخبت بصحّة النسبة ولذلك عزاها إلى الحكايةِ أَوَّلاً دونَ الحديث والرِّواية، لكنّها صادفت منه صَدْراً واغراً يَرُوقُهُ كُلُّ ما ينقص المختار ونظراءه من شائنةٍ، فحاول أن يُحِلَّها في صورة مكبَّرة، فذكر بطريق البَتِّ: أنَّ السبئيّة خدعته... إلخ. فَطَفِقَ يتشبَّثُ بالواهِيات، وما لا دلالة فيه من أسجاع المختار.

ها أنا ذا أُحَكِّمُ فيها عقليَّتَك الناضجة لتوليها نظرة بحث وتنقيب، ثمّ تراجعها أنت، فترى هل تجد في شيء منها ممّا عزي إلى الرَّجل صراحة أو إلماعاً وإشارة؟ أو أنّها لِدَةُ ما يؤثر عن الساسة والأُمراء من تهديد الأعداء والترعيد أمام المرجفين؟ أو إِنّها إظهار الأُبّهة والتَّمدُّح بما منحه المولى سبحانه من النُور والبصيرة امتثالاً لأمره عزّ وجلّ ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾[٣] وليس فيها من التكهّن والتنبُّؤ عين ولا أثر، وإنّما هي إخبار عمّا صمّم العزيمة لأن يفعله على الوجه الذي وصفناه.

(١) تَنْظراه ـ خ ل.
(٢) الفَرْق بين الفِرَق: ٤٦ ـ ٥٠.
(٣) الضُّحى: ١١.

ولو كان هنالك إخبارٌ عمّا سيكون فليس ذلك قصراً على دعوى النُّبوّة؛ فإنّه كما يكون بها فقد يكون بالتَّفَهُّم عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أو السَّماع منه، أو بمرتبة الولاية أو بالسماع من وليّ أو إمام، أو صاحب كهانة أو حساب.

إذن فليسقط احتجاج البغدادي هذا كَتَوهُّم ابنِ حزم في «الفِصَل»: أنّه حام حول أن يدّعي النبوّة لنفسه، وسَجَع أسجاعاً، وأَنذر بالغيوب عن الله، واتّبعه على ذلك طوائف من الشيعة الملعونة[١]... إلخ.

وكان المختار علم أنَّ في القوم من يَنْبِزُهُ بتلك الفِرْيَة أو مثلها، فأخذ يهدّدهم بالقتل، ويعرّض بهم في قوله: «الّذين اجتمعوا عَلَيَّ بالأباطيل، وتقوَّلُوا عَلَيَّ الأَقاويل».

وأمّا قصّة أسماء فليس فيها أيٌّ من الدلالات الثلاث[٢] على دعوى النبوّة، وإن كان قوله: «لَتنزِلَنَّ نار من السماء»... إلخ، على ظاهره، فإنَّ مثل ذلك الإخبار كسابقه لا ينحصر أمره في النبوّة، ولا تأبى أن تكون لِدَةَ أمثاله من المُطَّرِدِ في المحاورات من أنّه إذا اعتقدوا في الأمر مَدَداً سماويّاً غيبيّاً أسندوه إلى ذلك وإن لم يكن ذلك بادياً في مجاليه ومظاهره، فيقال: إنَّ الله أغرق الظالم، أو أحرقه، أو أباده، وإنَّ صاعقة الغضب الإلهيّ استأصلت شَأْفَتَهُ، ولم يغرقه في الظاهر إلّا أَمواج متلاطمة، ولم يحرقه إلّا شُواظُ نارٍ مُلتهبٍ، ولم يهلكه إلّا مرضٌ أو سيفٌ صارمٌ، أو آلةٌ مزهِقَةٌ وأمثال ذلك.

ولم يكن اجتماعُ أهل الكوفة على خلاف المختار للسَّبب الذي ذكره من

(١) الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحَل ٤: ١٤١.

(٢) الدلالة المطابقيّة، والدلالة التضمُّنيّة، والدلالة الالتزاميّة.

التَّكَهُّن، بل لأنّهم كانوا يخافونه على أنفسهم وأموالهم؛ لِما علموا بما في عُلْبة خيانتهم لأهلِ البيت الطاهر صلوات الله عليهم، وأنَّهُ كيفَ يَمَسُّ أَكْثَرَ أفرادهم، ولم يكونوا ناسين يوم تركوا ريحانة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وذويه وصَحْبه رَمِيَّةً[١] لنبالهم، ودَرِيئةً[٢] لرماحهم، وضَرِيبةً[٣] لسيوفهم، والمختارُ كُلَّ يوم يُصارح بملإٍ من الأَشْهاد وعلى صَهَوات الأعواد، بتهديدهم بالقتل والإحراق والتدمير، وهم يشهدون في الأوان بعد الأَوان ما ينزل بهم من البلاء المبرم.

وهنالك شيء آخر بهظهم فنقموه من المختار، ألا وهو تقديمه الموالي عليهم في الفَيءِ والزُّلْفة، وسنفصّل الوجه في ذلك إن شاء الله تعالى، على ما في القوم من البغضاء المحتدمة على أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وشيعتهم، فلجميع ذلك ثاروا عليه، وانتهزوا الفرصة بخروج إبراهيم بن الأشتر في جيشه إلى مُنازَلَةِ ابن زياد، ولم يبرحوا حتَّى دارت عليهم الدَّوائر، واستردَّ المختارُ إبراهيمَ، وتواصلت القُوَى حتَّى أبادوهم، وَشتَّتوا شملهم بين قتيل وأسير وشريد، ﴿ **وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ** ﴾[٤].

قال أبو حنيفة الدينوري في «الأخبار الطوال»: ومكث المختار بذلك يطلب قَتَلَة الحسين [عليه السلام] وتُجبى إليه الأموال ـ من السَّواد، والجبل، وإصفهان، والرَّيّ، وأذربيجان، والجزيرة ـ ثمانية عشر شهراً، وقَرَّبَ أبناء العجم، وفَرَضَ لهم ولأولادهم الأُعطيات، وقَرَّبَ مجالسهم، وباعَدَ العرب وأقصاهم، وحرمهم،

(١) الرَّمِيَّة: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذُ فيه سهمُك، والهَدَف المَرْمِيّ.
(٢) الدَّرِيئة: الحلقة التي يتعلّم الرامي الطَّعْنَ والرَّمْي عليها.
(٣) الضَّريبة: كُلُّ شيء ضربته بسيفك.
(٤) طه: ١٢٧.

فغضبوا من ذلك، واجتمع أشرافهم فدخلوا عليه فعاتبُوهُ، فقال: لا يُبْعِدِ الله غيرَكُم، أكرمتكم فشمختم بآنافكم، ووليَّتُكم فكسرتم الخراج، وهؤلاء العجم أَطوعُ لي منكم، وأَوفى، وأَسرع إلى ما أُريد.

قالوا: فَدَنَتِ العربُ بعضها إلى بعض وقالوا: هذا كَذَّاب يزعم أَنَّه يُوَالي بني هاشم، وإنّما هو طالب دنيا.

فاجتمعت القبائل على محاربته، وصارُوا في ثلاثة أمكنة، وولَّوا أمرهم رِفاعة ابن سَوّار، فاجتمعت كندة، والأزد، وبجيلة، والنَّخع، وخثعَم، وقَيس، وتيم الرباب في جَبَّانَة مراد(١)، واجتمعت ربيعة، وتميم، فصاروا في جَبَّانة الحشَّاشِين.

وأرسل المختار إلى هَمْدان وكانوا خاصَّته، واجتمع إليه أبناء العجم، فقال لهم: ألا ترون ما يصنع هؤلاء؟ قالوا: بلى، قال: فإنّهم لم يفعلوا ذلك إلَّا لتقديمي إيَّاكم، فَكُونوا أحراراً كِراماً، فحرَّضهم بذلك، وأخرجهم إلى ظَهْرِ الكوفة، فأحصاهم فبلغوا أربعين ألف رجل...(٢) إلخ. وذكر صفة القتال، وفشل القوم، وفوز المختار بالظفر(٣).

وفي «تاريخ الطبري»: إنّ الكوفيّين قالوا: لقد تأمَّرَ علينا هذا الرجل بغير رضىً منّا، ولقد أدنى موالينا فحملهم على الدَّوابّ، وأعطاهم وأطعمهم فيئنا، ولقد عصتنا عبيدُنا، فَحَرِبَ(٤) بذلك أَيتامنا وأراملنا(٥). ثمّ ذكر اجتماعهم في دار

(١) محلّة بالكوفة، وأهل الكوفة يسمّون المقبرة: جَبَّانة.
(٢) الأخبار الطوال: ٢٩٩ ـ ٣٠٠.
(٣) انظر الأخبار الطوال: ٣٠٠.
(٤) حَرِبَ عليه: غضب. ويصحّ ضبطها في الطبري «فَحَرَّبَ» أي أَغضبهم وأَلَّبَهُمْ.
(٥) تاريخ الطبري ٤: ٥١٧.

شبث بن ربعي ومذاكراتهم هذا النَّحو من الحديث[١].

قال: ولم يكن فيما أحدث المختارُ عليهم شيءٌ هو أعظم من أن جعل للموالي من الفَيْءِ نصيباً[٢]. ثمّ ذكر اجتماع شبث مع المختار ومذاكراته في ذلك وقوله: عمدت إلى موالينا وهم فَيْءٌ أفاءَهُ الله علينا، وهذه البلاد جميعاً، فأعتقنا رقابهم، نأمل الأجر في ذلك والثواب والشكر، فلم ترض لهم بذلك حتّى جعلتهم شركاءنا في فيئنا[٣]... إلخ. ولم يدع شيئاً مِمَّا أنكروه عليه إلَّا قاله، والمختار في كلّ ذلك يقول: أرضيهم في هذه الخصلة، وآتي كُلَّ شيء أحبّوا[٤].

ثمّ ذكر دخول شبث، وشمر، ومحمّد بن الأشعث، وعبدالرحمن بن سعيد بن قيس، على كعب بن أبي كعب الخثعمي ومؤامرتهم في ذلك، وخطاب شبث هناك فيما نقموه من المختار، وليس فيه إلَّا ما عرفته من أمر الموالي، وتأمّره عليهم بغير رضىً منهم، وزعمه أنّ ابن الحنفيّة بعثه، وقد علموا أنّه لم يبعثه.

ثمَّ سرد تألّبهم وصفة القتال، واسترجاع ابن الأشتر، وظفر المختار بهم[٥]. ووافقه على ذلك ابن الأثير في «الكامل»[٦]، وعليه تطابقت كلمات المؤرّخين.

وبذلك تعرف قيمة ما ذكره البغدادي من أنّ أهل الكوفة خرجوا عليه لَمَّا تكهَّن ... إلخ.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤: ٥١٧ ـ ٥١٩.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥١٧ ـ ٥١٨.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٥١٧.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٥١٨.

(٥) انظر تاريخ الطبري ٤: ٥١٨ ـ ٥٢٥.

(٦) انظر تاريخ ابن الأثير ٤: ٢٣١ ـ ٢٣٧.

وتعرف أيضاً موقف أُولئك النفعيِّين وَثّابةِ الشَّرَهِ من الكوفيّين الخارِجينَ على المختار، الذين يغيظهم اشتراك مسلمين آخرين معهم في الفَيْءِ وهم فيه شَرَعٌ سَواءٌ.

ثمّ متى كان رضى أمثالهم من سماسرة الفساد شَرْطاً في ثبات أمر، أو انعقاد إمرة، حتَّى ينقموا من المختار أنّه تأمّر عليهم بغير رضىً منهم؟!

ومتى كان مثل شمر وشبث وابن الأشعث يأتمرون لابن الحنفيّة في أمر حتَّى قَلَوْهُ[١] لأنّه لم يبعثه، وهم قاتِلُوا أخيه الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه؟! ولو كان محمّد بن الحنفيّة باعثاً أحداً أو حَثَّ على اتّباع أحدٍ فإنّما بعثه أو أمر باتّباعه ليقتل أمثال هؤلاء، فهل هم مذعنون له، ممتثلون لأمره والحالة هذه؟! لاها الله[٢]، وإنّما هم أقوام حِناقٌ على محمّد وغيره من رجالات بيته وشيعتهم، يبغون بهم الغوائل، ويتربّصون بهم الدّوائر، لكنَّ متحرِّي الوقيعة لابدّ أن يَنْحِتَ لها أَسباباً وعِللاً.

وأمّا قصّة سُراقَةَ البارقيّ فقد سلف ما ينبغي أن يقال فيها بأَوفى بيان.

وهذه جملة ما تشبَّث به البغدادي في إثبات الكهانة ودعوى نزول الوحي، ولقد تركناه في مَدْحَرَةِ البُطلان، ولم يبق إلّا دعواه المجرّدة، فَأَحْرِ بها أن تكونَ على شفا جرفٍ هارٍ فانهارت به إلى مساقِط الضَّعَةِ والهَوانِ.

---

(١) قَلَوه: كرهوه.

(٢) ها: كلمة تنبيه للمخاطب، وقد يُقْسَمُ بها، فيقال: لاها الله ما فعلت، أي لا والله ما فعلت، أُبدلت الهاء من الواو.

المختار وولاء أهل البيت عليهم السلام

«ما عشت أراك الدهر عجباً»! أَوَلَيْسَ من العجائب أنَّ المختار ذلك المتفاني في موالاة أهل بيت الوحي، المنقطع إليهم منذ عهد الصبا بعد موت أبيه، والمتعلّم من أفذاذ منهم، والجائب لهم أَجْوازَ[1] المفاوِزِ[2] والحُزُومِ[3]، فمن رَبْوَةٍ يفترِعُها إلى وادٍ يُسِفُّ إليه، إلى عَقَبةٍ كَأْداء[4] يجتازها، إلى حِلٍّ وتَرْحالٍ يتعاطاهما للأخذ بناصرهم، وقتل واترهم. وعلى ذلك يُشْتَمُ تارةً، ويُضرَبُ أُخرى، ويتَّخذ مُبَوَّءاً على النَّطْع طَوراً والسَّيفُ يهتزُّ على رأسه، وفي أعماقِ السُّجُون طوراً آخر، والغُلُّ على يديه ورجليه، فلم يبرح منفقاً نَقْدَ عمره في مقاساة تلك الهَنابِثِ[5] يطوي أوراقَ سِنِيِّه مع هاتيك المَثُلات[6]، غيرَ وانٍ عن عزيمته، ولا نَكِلٍ في ولائه، بين

---

(١) جَوْزُ كُلّ شيء: وسطه، والجمع أجواز.

(٢) المفاوِز: جمع المفازة، وهي الفلاة والبرّيّة القفر.

(٣) الحُزُوم: جمع الحَزْم، وهو ما غلظ وكثرت حجارته من الأرض.

(٤) العقبة الكأداء: الصعبة الشاقّة المصعد.

(٥) الهنابث: جمع الهَنْبَثة، وهو الأمر الشديد. ومنه قول فاطمة الزهراء عليها السلام عند موت رسول الله صلّى الله عليه وآله:

قد كان بعدك أنباءٌ وهَنْبَثَةٌ ... لو كُنْتَ شاهِدَها لم تكثُرِ الخُطَبُ

(٦) المَثُلاتُ: العقوبات.

ناظرٍ إليه بمُؤْخِرِ عينه، ومُحَمْلِقٍ يرمُقُهُ شزراً، ومُضْمِرٍ له غدراً، ومُولٍ إليه شرّاً، حتّى إذا أُتيحت له الفُرَصُ قام بواجبه من مظاهر الولاء الخالص بلسانه وسيفه وسنانه، ولم يُبْقِ بالكوفةِ لِزَبانِيَةِ الإلحاد من واتري آل محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ نافِخَ ضَرَمَةٍ(١)، وهَدَمَ دُورَهُمْ، وتركهم بين قتيلٍ وشريدٍ، ولم يزل يتتبَّعهم تحت كُلِّ شجر وحجر، حتَّى كان مَنْ أفلتته المقاديرُ، وغيَّبَهُ عنه الهربُ، أقلَّ بكثيرٍ ممّن أَخَذَ منهم السيف مأخذَهُ، حتَّى لَفَظَ آخرَ نَفَسٍ كان منه شَهِيداً بِيَدِ تلك البقيَّة الضّالّة، وأتته القذائِفُ حيّاً وميتاً منها ومن زبانئها. كلُّ ذلك لجنُوحِهِ إلى مودَّةِ ذوي القربى، ومُكاشَفَتِهِ مع القوم مكاشفةً تركتهم أَيْدِي سَباً.

أَوَلَيْسَ من العجائب والحالُ هذه أَن أَقِفَ هذا الموقف أُرِيدُ إفاضة القول في أنَّ المختار موالٍ لأئمّة الهدى عليهم السلام؟!

نعم ألجأتني إلى ذلك الضَّرورة من عصبيّة عمياء، ونَزَعاتٍ وأهواء حَدَتْ بأصحابها أن يَبْهَتُوا الرَّجُلَ بالنَّصْب والعداء.

قال ابن كثير الدمشقي: كان أوّلاً ناصبيّاً يبغض عليَّ بن أبي طالب بغضاً شديداً... إلخ(٢).

وقال ابن حجر في «الإصابة»: ويقال إنّه كان في أوّل أمره خارجيّاً، ثمّ صار زيديّاً، ثمّ صار رافضيّاً(٣).. وله قصّة مع الحسن بن عليّ [عليه السلام] لمَّا ولي الخلافة(٤).

---

(١) الضَّرَمَة: الجَمْرة، أو النار، أو ما دقَّ من الحطب. وعدم بقاء نافخ ضرمة كناية عن عدم بقاءِ أَحَدٍ منهم، لأنّ النار ينفخها الكبير والصغير.

(٢) البداية والنهاية ٨: ٣١٩.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٦/ الترجمة ٨٥٦٧.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٧/ الترجمة ٨٥٦٧.

وروى الطبري في «التاريخ»: أنّه حدّث عليّ بن حرب الموصلي، عن إبراهيم ابن سليمان الحنفي ابن أخي أبي الأحوص، عن محمّد بن أبان، عن علقمة بن مرثد، عن سويد بن غفلة: أنّ المختار لقيه بظهر النجف وطعنه بـمُخْصَرَةٍ من خلفه، وسأله عن رأيه في عليٍّ عليه السلام فقال: إنِّي أَشْهَدُ أَنِّي أُحِبُّه بسمعي وبصري وقلبي ولساني، قال: وأنا أُشهدك أنّي أُبغضه بسمعي وبصري وقلبي ولساني. ثمّ ذكر أنّه بعد ذلك بسنين أو بزمان جاء ومعه كتاب فيه اسم ابن الحنفيّة وإرساله إيَّاه، فوافى همدان، واحتفُّوا به، فحدّثهم سويد بما سمعه فأنكروه، ثمّ طال الشجار بين سويد وهمدان حتَّى تفرّقوا عنه، فمال إلى العبيد واستعان بهم، وصنع ما صنع، انتهى(١).

هذا قصارى ما وجدته في المقام، فيحقُّ هاهنا أن نناقش ابن حجر وابن كثير الحساب أوّلاً، ثمّ نعطف بالقول على رواية الطبري إن شاء الله تعالى.

فهلمَّ معي نُسائِلْهُما متى كان المختار خارجيّاً؟ ومتى كان ناصبيّاً؟ أفي أوّل أمره؟ أهو حين كان منقطعاً إلى بني هاشم بالمدينة بعد شهادة أبيه، وهو ابن ثلاثة عشر عاماً طيلة مقامه بها كما ذكرتَهُ أنت يابن حجر بعد بضعة أسطر(٢)؟ على حين أنّه لم تبذر له لنزعة الخوارج بذرتها وإن غضضنا الطرف عن منافاتِهِ الانقطاعَ إلى بني هاشم؟ أم هو حين كان مع أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام بالعراق كما تذكره

(١) وقد لخّصنا الحديث إلّا موضع الشاهد منه، وهو قوله: وأنا أُشهدك.. إلخ، فهو عين لفظ الحديث.(المؤلّف). [انظر تاريخ الطبري ٤: ٥٧٥ ـ ٥٧٦].

(٢) فقد ذكر بعد ذكر شهادة أبيه ما نصّه: وأقام المختار بالمدينة منقطعاً إلى بني هاشم ثمّ كان مع عليّ [عليه السلام] بالعراق وسكن البصرة بعد عليّ [عليه السلام]... إلخ.(المؤلّف). [الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٧/ الترجمة ٨٥٦٧].

أنت عقيب ذلك؟ ولابدّ أنّك تريد معيّته في هَواهُ لا اتّحادَ المكانِ؛ لأنّه كان مع عمِّه سعد بن مسعود بالمدائن لا مع أميرالمؤمنين عليه السلام بالكوفة.

إذن فهل وجدتَ له في أمر الحكمين هَمْلَجَةً[١]؟ أو بالنَّهروان مع الخوارج تَرْكاضاً؟ بل أنبأنا التأريخ ـ كما أسلفناه ـ في هذه الرِّسالة بمقامه عندئذٍ بالمدائن، واستنابة عَمِّه إيَّاه على إمرته حين خرج في طلب عبدالله بن وهب الراسبي. ثمّ إنَّك تقول في صدر هذه الترجمة: إنّه كان معدوداً في أهل الفضل والخير إلى أن فارق ابن الزبير...[٢] إلخ.

ولم تك مفارقته له إلّا قُبَيْلَ إمرته فلم يمكث بعده عامين في الدنيا أو حول ذلك. فلو كان في شيءٍ من تلك المدّة الطويلة يَرَى رَأْيَ الخوارج المارقين فأيُّ فضل كان فيه؟! وأيُّ خير يروق مع الإلحاد، وتكفير أئمّة الدين، وإشهار السلاح في وجههم؟! ولو كان شيءٌ من تلكم النَّزْعَة لظهر عليه بعد أمر الحكمين، وفي ثورة الحروريّين، وفي تقحّم ابن ملجم ـ عليه لعائن الله ـ في الفتك بأميرالمؤمنين عليه السلام، أو في شيء من ثورات الخوارج بعده، كما ظهرت في غيره.

لكنَّ التاريخ الصحيح والمأثورات المعتبرة تَنُص لنا بضدّ ذلك كلّه، فلم يبق إلَّا أن تكون هاتيك النسبة مختلَقَةً بُنِيَتْ على أَنقاض أُسُسِ النَّصْب الأُمويّ، وانحراف رواة السوء عن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وشيعتهم. ولعلَّ ابن حجر يستند في دعواه، أو في شيء منها إلى ما أوعز إليه أخيراً بقوله: وله قصّة مع الحسن [عليه السلام]... إلخ.

---

(١) الهَمْلَجَة: مشية الهملاج من البراذين.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٥/ الترجمة ٨٥٦٧.

نعم، هذه أَشنع أُحدوثة تُشَنُّ بها على المختار الغارات، وهو ما ذكره غيرُ واحد من أهل السِّيَرِ: أنَّه في أيَّام مقامه مع عمِّه بالمدائن حينَ دخلها الإمامُ المجتبى عليه السلام بعد تَخاذُلِ أصحابه، وطَعْنِهِ في مظلم ساباط بمِغْوَلٍ[1] قد أصاب فخذه، فانتزع من يدِ الطَّاعنِ وأُدخل المدائن، فأتاه سعد بن مسعود بطبيبٍ فعالجه حتَّى بَرِئَ.

هنالك أشار المختار على عمّه أن يوثق الإمام [عليه السلام] فيسير به إلى معاوية على أن يطعمه خراج «جُوخَى» سنة، فأبى عليه وقال له: قَبَحَ الله رأيك، أنا عامل أبيه، وقد ائتمنني وشرّفني، وهَبْنِي بلاءَ أبيه أنسى، أأَنْسى رسولَ الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ولا أحفظه في ابن بنته وحبيبه...[2] إلخ.

حقّاً إنَّ من يرى هذا الرأي فإنّه في وَشْكِ الكفر، بل هو واقع فيه، ولقد تظاهر بقَسْوَةٍ تلين عندها الجلامد والصُّخور، غير أَنَّه من ذا الذي أنبأك بصحّة ذلك القيل المنقطع عن الإسناد الصحيح؟! وهلّا احتملتَ أَنَّه من هفوات التاريخ، أو ورطات القالَة؟! والتَّسالُمُ بين كتابين أو ثلاثة كتب على ذكر القصّةِ لا يُثْبِتُ صحَّتها.

فكم من وقائع هتف بها التاريخ ونقلها المتوسّعون، وحَسِبَ الناس رَدْحاً من الزمن أنّها حقائق راهنة، ثمّ كشفتِ الحقيقةُ عن نفسها، وأوحى التنقيبُ إلى روّاده، أنَّها أحاديث خُرافيّة، أو أنباء روائيّة، صبَّتها في بوتقة التأليفِ أغراضٌ مُسْتَهْدِفَة.

فانظر إلى وقائع «رستم»، وبوائق «ضحّاك» وراية «كاوه» وأيّام «البيشداديّين»

---

(١) المِغْوَل: شِبْهُ سيف قصير يشتمل به الرَّجل تحت ثيابه.

(٢) انظر أنساب الأشراف ٥: ٧٣٨، وتاريخ دمشق ١٨: ٢٩٥.

من ملوك الفرس، وقد بلغ الهتاف بهؤلاء وأُحدُوثاتهم إلى أن تطامنت المزاعم على أنّهم كانوا أُناساً تُقِلُّهُمُ الأيّام الخالية، وبلغ التّنويه بذكر «رستم» ـ ومثولِهِ على أبواب الحمّامات مُصَوَّراً يُصارع الغول الأبيض ـ إلى أن عُدَّ أمرُهُ من ضروريّات التاريخ، ومُثِّل للمتواتر بشجاعته حتّى أنَّ من أنكره أو أنكرها فكأنّما أنكر البديهيّات الأوّليّة، غير أنَّ العصر الذهبي ـ عصرَ البحث والتنوّر الّذي أماطت فيه الأنظار العميقة عن الحقائق ستار الأوهام ـ كشف عن أنّها كانت أوهاماً خياليّة، وقصصاً وهميّة ليس لها في ظلّ الحقيقة مَقِيلٌ، لُوحِظَتْ في كثير منها غايات معلومة في كتاب «الفردوسي»، ونشأ غير يسير منها من عدم تفهّم «الفردوسي» مغزى مصادره التاريخيّة، وتشابهت بها الأسماء والألقاب عليه، ولهذه الجملة بيان وافٍ عسى أن نسترسل فيه في المستقبل الكشّاف إن شاء الله تعالى.

ثمّ ارجع البصر كرّتين إلى أَوَّلِيَّات تاريخ الإسلام، تجد كيف تحكّمت الأهواء في الأفئدة المريضَة، فادُّعِيَتْ قضايا، وأُخْفِيَتْ حقائق.

منها: مسألة «فدك» الّتي نَحَلَها نبيُّ الإسلام ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ابنَتَهُ الصدِّيقة الكبرى ـ عليها السلام ـ في حياته. ثمّ كان هناك أمرٌ دُبِّرَ بِلَيْلٍ، ومن جرَّائه رُوِيَت «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث، ما تركناه صدقة»[1] بعد أن أُزْجِيَ بها إلى

(١) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢٠: ٢٠ وهذا عليٌّ وفاطمة والعبّاس ما زالوا على كلمة واحدة يكذّبون الرواية «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث»، ويقولون: إنّها مختلقة.

وفي كتاب سليم بن قيس: ٢٤٢ قول عثمان لعائشة وحفصة: فإنّكما شهدتما عند أبويكما أنّكما سمعتما رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «النبيّ لا يورّث ما ترك فهو صدقة»، ثمّ لقّنتُما أعرابيّاً جلفاً يبول على عقبيه ويتطهّر ببوله مالك بن أوس بن الحدثان، فشهد معكما ... أما والله ما أشكّ أنّه كذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وكذبتما عليه معه.

باب المواريث، ولم يك يرويها إلّا رجل واحد؛ لأَثَرَةٍ ارتآها بالمال، فارتفعت عقيرةُ القوم، وتصافقت أكفّهم بتصديقه والعمل بها، ولم يكونوا سمعوها، لكنّهم اضطهدوا الحقيقة الناصعة في أمر فدك، ثمّ راغموا عُمُومَ آياتِ المواريث على تقديرِ كونها منها.

وإنَّ قَيْدَ ذاكِرَتِكَ أمر المُتْعَتَين المحلَّلَتَيْنِ على العهد النبويّ بنصٍّ من مُحَرِّمِهِما[١]، وعليه جرى الحكم أيَّام أبي بكر كلِّها، وشطراً من عهد عمر. ثمَّ لمَّا قال المُتَحَكِّمُ فيهما برأيه ما قال، عَمِلَ له زبانئُهُ تعاقُبَ التَّحْرِيم والتَّحليل على متعة النساء على عهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ثمّ التحريم النَّهائيّ عامَ «أَوْطاس»، مع مصارحة الرجل بإسنادِ التحريم إليه وحلِّهما على عهد الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فَرَاجَ ذلك الافتعال حتَّى على المحقِّقين من علماء القوم، حتَّى على مثل ابن رُشْدِهِم[٢] في «بداية المجتهد ونهاية المقتصد».

وفي وقعة بني حنيفة على عهد أبي بكر فجائعُ وفظائعُ وأحاديث مختلقة جابهوا بها الحقائق، وشوَّهوا سمعة التاريخ، وانتهت بشنعة خالد ليلة قتل مالك ابن نويرة.

إلى غير هذه ممّا جاءُوا بها شوهاء خرقاء، غير أنّهم صوّروها في بهرجة خلّابة

(١) ففي كتاب محاضرات الأُدباء ١: ٤١٦ قال يحيى بن أكثم لشيخ البصرة: بمن اقتديت في جواز المتعة؟ قال: بعمر بن الخطّاب، قال: كيفَ وعمر كان أشدَّ الناس فيها؟ قال: لأنّ الخبر الصحيح أنّه صعد المنبر فقال: إنّ الله ورسوله قد أحلّا لكم متعتين، وإنّي محرّمهما عليكم وأُعاقبكم عليهما، فقبلنا شهادته ولم نقبل تحريمه.

(٢) هو محمّد بن أحمد بن رشد الأندلسي المالكي، المولود سنة ٥٢٠، والمتوفّى سنة ٥٩٥، له أكثر من خمسين كتاباً، منها «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» في الفقه. انظر الأعلام للزركلي ٥: ٣١٨.

خامرت العقول الدَّهماء[١] من غير أصل لها في الحنيفيّة البيضاء، كأصل الخلافة التي زحزحوها عن مركزها ـ الذي جعلها الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيه، في حديث «الغدير»، وحديث «المنزلة»، وآية «المباهلة»، وآية «الولاية»، وآية «التطهير»، إلى الكثير الطّيّب من لداتها ـ إلى من لا يفقد إلّا حنكة الملك والجدارة للإمرة وستروا تلكم النصوص بأذيال أماناتهم، ووضعوا لمن قدّموه أنّ النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قَدَّمه للصَّلاة وهو الذي أخّره يوم تَقَدَّم من قِبَلِ نفسه، ووضعوا: «اقتدوا باللّذَين من بعدي أبي بكر وعمر»[٢]، وافتروا: «لو كان بعدي نبيّ لكان عمر»[٣]... إلى غيرها ممّا سوَّدوا به صحيفة التاريخ والحديث، ولئن جابَهْتَهُمْ بالإنكار سَلَقُوك بألسنة حداد، وجاثوك على صحّته برواية مثل أبي هريرة، أو عكرمة الإباضي، أو ابن حطّان الخارجي، إلى غيرهم من رجال البخاري المتحرِّج عن إخراج أحاديث سيّد العترة الطاهرة الإمام الصادق عليه السلام[٤]، والرَّاوي عن أُولئك الرَّعْرَعَة متبجِّحاً بهم.

---

(١) الدَّهماء: السوداء.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٢٧١/ ح٣٧٤٢، المستدرك على الصحيحين ٣: ٧٥ـ٧٦.

(٣) مسند أحمد ٤: ١٥٤، مجمع الزوائد ٩: ٦٨، المعجم الكبير ١٧: ٢٩٨.

(٤) وفي ذلك يقول أبوبكر بن شهاب:

قضيّة أشبه بالمرزئة ... هذا البخاريُّ إمام الفئةْ
بالصّادق الصّدّيق ما احتجّ في ... صحيحه واحتجّ بالمُرجئةْ
ومثل عمران بن حطّانَ أو ... مروان وابن المرأة المخطئةْ
مشكلةٌ ذاتُ عَوار إلى ... حَيْرةِ أرباب النُّهى مُلْجئَةْ
وحقِّ بيت يمَّمته الورى ... مغذّة في السير أو مُبطئةْ
إنّ الإمام الصادق المجتبى ... بفضله الآي أتت مُنْبئَةْ

وقد استفحلت عوامل الافتعال، واشتدّت القِحَةُ[١] والصَّلَفُ، وكان معاوية يدرُّ الأموالَ الطائلة لذلك، فانثالت إليه أهلُ الجباه السود، فعملوا ما شاء له ولهم الهوى والمطامع من الوقيعة في الطالبيِّين، وفضل بني أُميّة، وفضل عثمان وشيعته، ومناقب الصحابة؛ حُسْباناً منهم أنَّ ذلك يَضع شيئاً من فضل عليٍّ عليه السلام أو ثقة شيعته به، فكان من ذلك ما وضعه المغيرة بن شعبة من حديث الضَّحْضاح لأبي طالب، وخطبة بنت أبي جهل لابنِهِ أميرالمؤمنين صلوات الله عليهما..

إلى غيرهما من أحاديث مزوّرة، حتَّى أُلقيت تلكم السَّفاسف إلى النّاشئة بعدهم، فمنهم من قبلها على غِرَّةٍ من أمره، ومنهم من دَلَّهُ البحثُ والتنقيبُ إلى حقائقها فرَدُّوها، وكُلَّما فُتِحَت البصائرُ وكَثُرَ الفحصُ والتَّحليل ازدادَ ذلك وضوحاً حتَّى عاد كالشَّمسِ الضَّاحية في هذه العصور الأخيرة.

إذَنْ فليس من البدع الفرية في التاريخ، ولا الزُّور بذلك البعيد من رواة الحوادث. وإنّا نجد غير يسير من تلكم الكتب أُلِّفت تحرِّياً لمرضاة مَلِكٍ، أو تزلُّفاً إلى أَمير، أو طمعاً في نائل وزير، أو بإشارةِ متنفِّذٍ من السَّاسة. فكان يختلط فيه الحابل بالنابل، وكثيراً ما كان المؤلِّف يُسِرُّ حَسْواً في ارتِغاء[٢]؛ لِنَزْعَةٍ تحدوه إلى قلب التاريخ إلى ضدِّ حقيقته، أو ظروف لا يسعه إلَّا الجري على الهوى السائد فيها، أو طلب مَرْتِبة أو مُرَتَّبة يتلمَّظ بها.

أَجَلُّ مَن في عصره رُتبةً	لم يقترف في عمره سَيِّئةْ
قُلامةٌ من ظُفْر إبهامه	تعدلُ من مثلِ البُخاري مِئَةْ

* * *

(١) القِحَة: الوقاحة.

(٢) قوله «يُسِرُّ حَسْواً في ارتغاءٍ» مَثَلٌ يضربُ لمن يُظهر أمراً وهو يريد غيره.

على ذلك نَسَلَتِ الحقب والأعوام، وعُرِفَت فيها الشَّناشن[١] والعادات، حتَّى وصلت النَّوبة إلى كَتَبَةِ العصر الحاضر كالخضري، والنشاشيبي، والنصولي، والحصان، وأحمد أمين، والريحاني.. وغيرهم، فأتوا من الفظائع ما تندى منه جبهة الإنسانيّة، وتنكمش الجِبِلَّةُ الدينيّة.

وإنَّا نرى أَنّ كثيرين من الكتّاب غير أُمناء فيما يعزونه إلى الشيعة من حوادث وعقائد، فقد أطبقت كلمتهم على أنَّ الشيعة ترى أنَّ المهدي المنتظر سلام الله عليه غاب في السِّرداب بسُرَّ من رأى، وكثيرون يذكرون عنهم أنّه يخرج منه.

راجع «معجم البلدان» لياقوت الحموي[٢] و«الكامل» لابن الأثير[٣] و«تأريخ أبي الفداء»[٤] و«الصواعق» لابن حجر[٥] و«تاريخ ابن خلّكان»[٦] و«سبائك

(١) الشَّناشِن: جمع الشِّنْشِنة، وهي الطبيعة والسَّجيَّة.

(٢) معجم البلدان ٣: ١٧٦ في رسم «سامرّاء».

(٣) قال ابن الأثير في الكامل في التاريخ ٧: ٢٧٤ في حوادث سنة ٢٦٠: وهو [أي الإمام الحسن العسكري] والد محمّد الذي يعتقدونه [أي الشيعة] المنتظر بسرداب سامرّاء.

(٤) تاريخ أبي الفداء ١: ٣٦٨ قال في حوادث سنة ٢٦٠: وفيها توفّي الحسن بن علي... وهو المعروف بالعسكري، وهو أحد الأئمّة الاثني عشر على مذهب الإماميّة، وهو والد محمّد المنتظر من سرداب سرّ من رأى على زعمهم.

(٥) الصواعق المحرقة ٢: ٤٨٢ قال: فقال ابن خلّكان: والشيعة ترى فيه أنّه المنتظر والقائم المهدي، وهو صاحب السرداب عندهم، وأقاويلهم فيه كثيرة، وهم ينتظرون خروجه آخر الزمان من السرداب بسُرَّ من رأى.

(٦) وفيات الأعيان ١: ٤٢ في آخر ترجمة إبراهيم بن المهدي، قال: وسُرّ من رأى مدينة بالعراق بناها المعتصم في سنة عشرين ومائتين، وفيها السرداب الذي ينتظر الإماميّة خروج الإمام منه.

وفي ٢: ٩٤ في ترجمة الإمام الحسن العسكري، قال: وهو والد المنتظر صاحب السرداب.

وفي ٤: ١٧٦ في ترجمة الإمام المهدي عجّل الله فرجه، قال: وهو صاحب السرداب عندهم، وأقاويلهم فيه كثيرة، وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسُرَّ من رأى.

الذهب» للسويدي[١] و«نور الأبصار» للشبلنجي[٢] و«تاريخ ابن الوردي»[٣] و«تاريخ الخميس» للدياربكري[٤] إلى غيرها.

وأعجب من ذلك ما عزاه ابن بطوطة في رحلته[٥] وابن خلدون في المقدّمة[٦] والقلقشندي في «صبح الأعشى»[٧] وأمير البيان شكيب أرسلان في «تعليقه على حاضر العالم الإسلامي»[٨] عنهم: أنّه غاب في سرداب بالحلّة.

وكلّ ذلك أكاذيب ومفتريات تجبهها أحاديث الإماميّة ونصوص علمائهم، وكتب عقائدهم. وعندهم أنّه يظهر بين الركن والمقام بفناء البيت المعظَّم، وليس لمَغِيبِهِ عليه السلام في السِّرداب عندهم ذكرٌ قطُّ، ولم يُذْكَرِ السِّردابُ في كتبهم إلَّا

---

(١) سبائك الذهب: ٧٦. طبع سنة ١٢٨٠.

(٢) نور الأبصار: ٣٤٢ قال: وفي الفصول المهمّة: قيل إنّه غاب في السرداب والحرس عليه.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١: ٢٢٣ قال: وتزعم الشيعة أنّه دخل السرداب في دار أبيه بسامرّاء وأُمّه تنظر إليه فلم يَعُدْ إليها.

(٤) تاريخ الخميس ٢: ٢٨٨ قال: ولقّبه الإماميّة بالحجّة والقائم والمهدي والمنتظر وصاحب الزمان، وهو عندهم خاتم للاثني عشر إماماً، ويزعمون أنّه دخل السرداب الذي في سُرَّ من رأى وأُمّه تنظر إليه ولم يخرج إليها.

(٥) رحلة ابن بطوطة ١: ١٣٨ قال في وصف الحلّة: وأهل هذه المدينة كلّهم إماميّة اثنا عشريّة... وبها مسجد على بابه ستر حرير مسدول وهم يسمّونه مشهد صاحب الزمان... وهم يقولون: إنّ محمّد بن الحسن العسكري دخل ذلك المسجد وغاب فيه، وأنّه سيخرج، وهو الإمام المنتظر عندهم.

(٦) تاريخ ابن خلدون / المقدّمة ١: ١٩٩ قال: وهو محمّد بن الحسن العسكري، ويلقّبونه المهدي، دخل في سرداب بدارهم في الحلّة، وتغيّب حين اعتُقل مع أُمّه وغاب هنالك.

(٧) صبح الأعشى ١٣: ٢٣٢ قال: وهو المهدي المنتظر عندهم، يقولون إنّه دخل مع أُمّه صغيراً سرداباً بالحلّة على القرب من بغداد ففُقِدَ ولم يَعُدْ، فهم ينتظرونه إلى الآن.

(٨) حاضر العالم الإسلامي ٢: ١٩٤، ط. مصر سنة ١٣٥٢.

أنَّه من مرافق دار أئمّة الهدى عليهم السلام، تشرَّفَ بسكناهم وعبادتهم فيه، فيُتَبَرَّكُ به ويُبْتَهَلُ إلى الله بجاههم فيه.

وأَمَّا الحلّة فلم تك عند غيبة الإمام ممصَّرة، فقد عمرها سيف الدولة[1] سنة ٤٩٥، وكانت قبل ذلك أَجَمَةً تأوي إليها السباع، فمتى كانت لهم فيها دارُ مغيب الإمام سنة ٢٦٠، كما زعمه ابنُ خلدون في نقله عن الشيعة؟!

وعزا أبو الحسين الخيّاط في «الانتصار» إلى الرافضة (يريد الشيعة) أنّها تعتقد أنّ ربّها ذو هيئة وصورة يتحرّك ويسكن ويزول وينتقل، وأنّه كان غيرَ عالم ثُمَّ عَلِمَ، وأنّه يريد الشيءَ ثُمَّ يبدو له فيريد غيره[2].

وقال عنهم أيضاً: أنّه تعالى ذو قَدٍّ وصورة وحدٍّ، يتحرّك ويسكن، ويدنو ويبعد، ويخفّ ويثقل، وأنّ علمه محدث، وأنّه كان غير عالم فعلم ـ إلى قوله ـ بعد ذكر البداء وتفسيره بغير وجهه: هذا توحيد الرافضة بأسرها إلّا نفراً منهم يسيراً صحبوا المعتزلة واعتقدوا التوحيد، فنفتهم الرافضة عنهم وتبرّأت منهم، فأمّا جملتهم ومشايخهم ـ مثل هشام بن سالم، وشيطان الطاق، وعليّ بن ميثم، وهشام بن الحكم، وعليّ بن منصور، والسكاك ـ فقولهم ما حكيتُ عنهم. ثمّ قولهم في القدر: أنّ الكافر كفر لعلّةٍ ولسببٍ من قبل الله، ألجآه إلى الكفر، بل ألجآه إلى كفره واضطرّاه إليه، وأدخلاه فيه، وأنّ الله يشاء كلّ فاحشة، ويريد كلّ فاحشة، ثمّ عزا إليهم أنَّ القرآن بُدِّل وغُيِّر وزيد فيه ونقص منه ـ إلى قوله ـ: هذه

---

(١) هو سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مِزْيَد الأسدي. انظر رسم «الحلّة» من معجم البلدان ٢: ٢٩٤.

(٢) الانتصار: ٧.

أقوال الرافضة بأسرها، وجميع الأُمّة له منكر ومكذّب، فلو قلت: إنّ قليله يُرْبِي على عظيم كفر الدَّهريّة والثنويّة ...[١] إلخ.

وقال: وهل على وجه الأرض رافضيّ إلّا وهو يقول: إنّ للّه صورة، ويروي في ذلك الروايات[٢].

ونسب إليهم: وطء النساء بغير تزويج ولا ملك يمين، وأن يطأ المرأة الواحدة في اليوم الواحد مائة رجل من غير استبراء، ولا قضاء عدّة[٣]... إلى غيرها من المفتريات التي شوّه بها صحيفته السوداء، استرسل في عزوها غير مُتَأَثِّم من الكذب ولا مُتَحرِّج عن البهتان. وهذه كتب الإماميّة وتصريحات علمائِهم ونصوص أحاديثهم كلّها مُكَذِّبةٌ له، ومن سَمَّاه من رجال الشيعة مُبرَّؤُونَ عمَّا قذفهم به، ولو شئتُ لذكرت الَّذي يقول بتلكم الأقاويل، لكنْ أُضْرِبُ عنه صَفْحاً إيثاراً لجمع الكلمة.

وفي «الفِصَل» لابن حزم الظاهري: إنّ الروافض ليسوا من المسلمين، إنّما هي فِرَقٌ حدث أوّلها بعد موت النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بخمس وعشرين سنة، وكان مبدؤُها إجابةَ من خذله الله لدعوةِ مَن كاد الإسلام، وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنَّصارى في الكذب والكفر... إلخ[٤].

وقال: ومن قول الإماميّة قديماً وحديثاً: أنَّ القرآن مُبدّلٌ، زِيدَ فيه ما ليس منه، ونقص منه كثير...[٥] إلخ.

---

(١) الانتصار: ٥ ـ ٦.

(٢) الانتصار: ١٤٤.

(٣) الانتصار: ٨٩.

(٤) الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل ٢: ٦٥.

(٥) الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل ٤: ١٣٩.

ونبز بعضَ الشيعة بتجويز نكاح تسع نسوة، ونسب إليهم تحريم الكرنب لأنّه نبت على دم الحسين عليه السلام[١].

وقال: إنّهم يقولون: إنّ حجّتنا على وجودِ الإمام المنتظر [عليه السلام] وغيبتِهِ وظهورِهِ الإلهامُ، وإنّ من خالفنا ليس لِرَشْدَةٍ[٢].[٣]

وهاهنا جاء بالعجائب، ولم يكفه قذفُ الشيعة بأمثال هذه من الفواقر، وهو يعلم أنَّ الشيعة يشهدون الشهادتين، ويصلّون إلى القبلة، ويتلون الكتاب حقّ تلاوته. وأنّ لفظ الشيعة وفضلهم ورد في الأحاديث النبويّة، وعلى العهد النبوي عُرِفَ قوم بأنّهم شيعة عليّ عليه السلام، منهم: سلمان، وأبوذرّ، والمقداد، وعمّار.

وتحديدُ التّشيّع بإجابة من أَجابَ للدَّاعي ـ ويريد به عبدالله بن سبأ ـ كذب مفترىً. والسَّبئيَّة عند الشيعة كفّار. وتحريفُ الكتاب ـ لاسيّما بالمعنى الذي ذكره ـ ممّا تقوَّلَهُ على الشيعة أعداؤُهم. وإنّ كتبنا الفقهيّة أوضح شاهد لتكذيب ما نسبه إلى البعض في النكاح. وليس للكرنب في كتبهم الفقهيّة عنوان، وإنّما هو كبقيّة النباتات المأكولة من مصاديق ما تأَسَّس لديهم من الإباحة المطلقة. وليست حجّتهم في أمر إمام العصر ـ صلوات الله عليه ـ إلَّا النصوص المتواترة من الفريقين، وما أثبتوه من عدم جواز خلوّ الأرض من حُجَّة، وإنَّما يشبه أن يَسْتَنِد إلى الإلهام من يعمل بالقياس والاستحسان.

لم يكف الرجل ذلك كلّه حتّى نسب نزعات إلحاديّة عَمْداً إلى أهل السّنّة،

---

(١) الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل ٤: ١٣٩.

(٢) الرشدة بكسر الراء وفتحها معناه: صحيح النسب، وعكسها: لزنية: بالكسر والفتح معاً.

(٣) الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل ٤: ١٣٩.

فرمي إمامهم الأشعري(١)، والباقلاني(٢)، وبعض الأشاعرة(٣)، والسمناني(٤)، وابن فورك(٥)، والأشاعرة كلّهم(٦). ولهذه الأمور تحامل عليه السبكي في «طبقات

(١) انظر الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل ٢: ١٢٧ ـ ١٢٩ حيث قال في معنى الوجه واليد والعين والجنب والقدم: وقال الأشعري: إنّ المراد بقول الله تعالى: أيدينا إنّما معناه اليدان، وإنّ ذكر الأعين إنّما معناه عينان، وهذا باطل مدخل في قول المجسّمة ... وقد رأيت لابن فورك وغيره من الأشعريّة في الكلام في هذا الحديث إنّهم قالوا ... وهذا كُفْرٌ مُجَرَّد لا مرية فيه.

(٢) انظر الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل ٤: ٢ قال: اختلف الناس في هل تعصي الأنبياء عليهم السلام أم لا؟ فذهبت طائفة إلى أنّ رُسُلَ الله صلّى الله عليهم وسلّم يعصون الله في جميع الكبائر والصغائر عمداً، حاشا الكذب في التبليغ فقط، وهذا قول الكرامية من المرجئة، وقول ابن الطيّب الباقلاني من الأشعريّة ومن اتّبعه، وهو قول اليهود والنصارى.

وفي ٤: ١٦٨ قال: ومن أعظم البراهين على كفر الباقلاني وكيده للدين قوله ...

(٣) انظر الفصل في الملل والأهواء والنِّحل ٤: ١٦٠، قال: ولقد أخبرني عليّ بن حمزة المرادي الصقلي الصوفي أنّ بعض الأشعريّة يبطح المصحف برجله ... وكتب إليّ أبو المرحى بن رزوار المصري أنّ بعض ثقات أهل مصر أخبره من طلّاب السنن: أنّ رجلاً من الأشعريّة قال له مشافهة: على من يقول «إنّ الله قال قل هو ألله أحد الله الصمد» ألف لعنة، قال أبو محمّد [ابن حزم]: بل على من يقول: إنّ الله عزّ وجلّ لم يقلها، ألف ألف لعنة تترى.

(٤) انظر الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل ٢: ٤٠ قال: ثمّ قال السّمناني بعد أسطر لأنّه لو وجب وجود ما وجد في الوقت الذي وجد فيه لأجل قول الله تعالى: «كُنْ»، لوجب لأجل قول غيره له: «كن» لأنّ صفة الاقتضاء لا تختلف في ذلك بين القديم والمحدث.

قال أبو محمّد: هذا نصّ كلام هذا الفاسق الملحد حرفاً حرفاً وهذا كفر محض وحماقة لا خفاء بها.

(٥) انظر الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل ٢: ٤١ قال: ووجب على قولهم هذا الملعونِ أنّه يكذب المؤَذّنون والمقيمون ودعاة الإسلام في قولهم: محمّد رسول الله، وأنّ الواجب أن تقولوا: محمّد كان رسول الله، وعلى هذه المسألة قتل الأمير محمودُ بن سبكتكين مولى أميرالمؤمنين وصاحب خراسان رحمه الله ابنَ فورك شيخ الأشعريّة فأحسن الله جزاء محمود على ذلك ولعن ابن فورك وأشياعه وأتباعه.

(٦) انظر الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل ٢: ٤٠ قال: قالتِ الأشعريّة كلّها أنّ الله عزّ وجلّ لم يزل

الشافعيّة» ونسبه إلى الجهل(١).

وذكر البغدادي في «الفَرْق بين الفِرَق»، والشهرستاني في «المِلَل والنِّحَل» وغيرهما نزعات كفريّة لرجال من الشيعة ـ كزرارة بن أعين، ويونس بن عبدالرحمن، وهشام بن الحكم، وهشام بن سالم، وأبي جعفر مؤمن الطاق ـ ليس لشيء منها مقيل في ظلّ الحقيقة.

وقد كذّبها علماؤنا في سرد الملل، كابن العتائقي في «الملحة الفائقة»(٢)، والسيّد المرتضى الرازي في «تبصرة العوام»(٣)، والسيّد الجزائري في «الأنوار

قائلاً لكلّ ما خلق أو يخلق في المستأنف: «كُن»، إلّا أنّ الأشياء لم تكن إلّا حين كونها، وهذا تكذيب منهم مكشوف للّه عزّ وجلّ.

وانظر أيضاً ٣: ١٠٦ قول الأشعري في ماهيّة الإيمان وردّ ابن حزم عليه، وسيأتي ذكره.

(١) قال السبكي في طبقات الشافعيّة الكبرى ١: ٨٩ ـ ٩١: وقد رأيت أقواماً يتعصّبون على ما يقول: الإيمان التصديق بهذا، ظنّاً منهم أنّ القائل بذلك لا يشترط النطق في الاعتداد به، وهو تعصّب صادر عن عدم المعرفة بمذهب القائلين بهذا القول، ومن هؤلاء أبو محمّد بن حزم الظاهري، فإنّه قال في كتابه «الملل والنِّحل»: ذهب قوم إلى أنّ الإيمان إنّما هو معرفة للّه بالقلب فقط وإن أظهر اليهوديّة أو النصرانيّة أو سائر أنواع الكفر بلسانه وعبادته، فإذا عرف الله بقلبه فهو مسلم من أهل الجنّة، وهذا قول جهم بن صفوان وأبي الحسن الأشعري البصري وأصحابهما، انتهى. وهذا ابن حزم رجل جريء بلسانه، متسرّع إلى النقل بمجرّد ظنّه، هاجم على أئمّة الإسلام بألفاظه... وقد أفرط في كتابه هذا في الغَضِّ من شيخ السّنّة أبي الحسن الأشعري وكاد يصرّح بتكفيره في غير موضع، وصرّح بنسبته إلى البِدعة في كثير من المواضع... فقول ابن حزم في النقل عنهم [أي الأشاعرة] أنّه مسلم خطأ عليهم صادر عن أمرين: عن عدم المعرفة بعقائدهم، وعن عدم التفرقة بين الإيمان والإسلام.

(٢) انظر الذريعة ١١: ٢٢٠/ الرقم ١٣٣٩ «الرسالة الفارقة والملحة الفائقة».

(٣) انظر الذريعة ٣: ٣١٨/ الرقم ١١٧٧ «تبصرة العوام ومعرفة مقالات الأنام».

النعمانيّة»[١]، والوالد العلّامة في «القبسات»[٢]، ونابغة فهر العلم الحجّة السيّد عبدالحسين شرف الدين العاملي في «الفصول المهمّة»[٣] وغيرهم.

ونزّههم علماء الرجال، وأصفقت كلمة المؤلّفين على إسقاط هاتيك المذاهب وعزوها إليهم، وأحاديثُهُمْ وما عُلِمَ من تاريخ حياتهم تنافي ذلك العزو المختلق، وإنّ دينهم هو دين أئمّتهم عليهم السلام، ذلك الدين الخالص الذي ارتضاه لنا ربّ العالمين.

ولو ذهبنا إلى نقل أكاذيب القوم في النقل عن الشيعة، لَجاءَ منه كتاب ضخم، وإنّما أوقفناك على نماذج من ذلك هي قَطْرٌ من بَحْرٍ لتتعرّف به العادات والأحوال، فلا يَبْهَضَكَ القول مَتَى قيل، أو احْتَمِلْ أَنَّ ما قُذِفَ به المختار مع الإمام المجتبى سلام الله عليه كان من هذا القبيل، أراد به أعداؤه أن يشينوا سمعته، ويحطّوا من قدره حَنَقاً عليه بما جرّ على أَسلافهم من الويلات، أو لِما سوف نُوعِزُ إليه في أنّ «المختارَ صدوقٌ في لهجته» إن شاء الله تعالى.

وليكن ذلك كما قذف أحمد أمين ـ في فجر الإسلام ـ الصحابيَّ العظيم أباذرّ الغفاري ـ رضوان الله عليه ـ بالاشتراكيّة في الأموال، وأنّه تلقّاها من عبدالله بن سبأ، مستَنِداً إلى ما لا سَنَدَ فيه من رواية الطبري في التاريخ. وكما رَمَى غيرُهُ حبر الأُمَّة عبدالله بن العبّاس باختلاسه أموال البصرة عند ولايته بها، ومخاشنته في القول مع ابن عمِّه أميرالمؤمنين عليه السلام بما لا يَعْدُوهُ الكفرُ إن صَحَّ عن أيٍّ أَحَدٍ.

---

(١) كتاب معروف مطبوع مراراً.

(٢) انظر الذريعة ١٧: ٣٤/ الرقم ١٨٩ «قبسات النار في ردّ الفُجّار» في أُصول الدين. وهو كتاب ما يزال مخطوطاً.

(٣) وهو كتاب معروف مطبوع مراراً، واسمه الكامل «الفصول المهمّة في تاريخ الأئمّة».

على أنَّ عوامل الحقد على المختار أقوى منها على غيره، لأنّه شَفَعَ دعوتَه العلويّة بنهضةٍ اجتاحت ما وسعها من جُذُوم النَّصب، ولو في ظروف محدودة، فإذ لم يسعهم أَن يوسعوه ضرباً بالسيوف ـ وهو رَهْنُ أطباق الثرى ـ تناوشوه بألسنةٍ حداد شَتْماً وبَهْتاً، ووَضْعاً للأحاديث في نقصه، وستأتي نصوص غير واحد من العلماء بذلك إن شاء الله تعالى.

ولئن سالمناك على صحَّته، فلماذا لا تحتمل أنَّ المختار كان يختبر عمَّه بذلك القول يوم سادت الأهواءُ، وتحكَّمتْ من نفوس زبائنها، وخارَتِ العزائمُ عن نصر الهدى، فأراد تعرُّف نفسيّته ـ وأنَّه هل استَخَفَّهُ الشَّرَهُ لاتِّباع معاوية، فيأخذ بالتدابير اللّازمة في كلاءَةِ الإمام، فلم تعرف العامّة مغزاه من كلامه، فأخذوا في التّشنيع عليه ـ فإذا عرف المختار أنّ عمَّه ليس ممّن يصافق الباطل على ترويجه، أمسك عنه أو قابله بقول ينمّ عن قصده حَذَفَتْهُ الرُّواة!

ولقد جاء بذلك حديث معتبر أثبته القاضي نور الله التستري في «مجالس المؤمنين»، عن الشيخ الأجل عبدالجليل الرازي في كتاب «نقض الفضائح»: من أنّ الصحيح من قصّته أنّ الإمام لمَّا دخل الموصل خَشِيَ المختار عليه بادرةً من عمِّه أو أن يصيبه بسوء طمعاً في معاوية، فلقي شريكَ الأعور الحارثي ـ وكان من الشيعة، حازماً، له رأي وسَداد ـ باكياً، فقصَّ له هاجسته، وسأله عن وجه الحيلةِ إن مالت بعَمِّه المطامع، فأشار عليه شريك بأن يبدي لسعدٍ ما يوافق تلك الهاجسة من الغدر بالإمام عليه السلام طلباً لمرضاة معاوية، فإن وافقه عليه نظروا في الحيلة للتحفُّظ به وإخراجه إلى جهة من الجهات ليَسْلَمَ بها[١].

(١) مجالس المؤمنين ٢: ٥٧٠.

فلمّا أظهر المختارُ لعمِّه ذلك، وشاهَدَ منه ما تقادم فيه من الولاء الخالص لآل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، اطمأنَّ به، وليس في هذا عارٌ على المختار، وإنّما حداه إليه دينه وحفاظه.

وثبت في نقلٍ معتبرٍ جاء به العلّامة الحسن بن عليّ بن محمّد بن الحسن الطبري ـ من علماء القرن السابع ـ في «كامل السقيفة» ما ينمّ عن استقامة المختار وثباته على الولاية، إذ ذَكَرَ قريباً من هذا العهد.

فروى في حديث طويل يذكر فيه سمّ الإمام المجتبى سلام الله عليه بإشارة من معاوية غير مرّة، حتّى ذكر قصده الموصل، وتوجُّهه إليها توصّلاً بالهواء النقيّ، يتلافى به انحراف صحّته.

فقال: إنّه كان ممَّن يخدم الحسن عليه السلام رجل اسمه «إسماعيل»، فسمّه بمدية مسمومة كان يفري بها بطّيخاً ويناوله إيّاه، فأحسَّ به الإمام، فأراد الناس قتله، فمنعهم وقال: إنّه له حقّ الخدمة، وحسبه الخلود في جهنّم.

قال: وكان بالشّام من موالي أميرالمؤمنين عليه السلام من اسمه «سعد»، فخرج منها ووجد في طريقه رجلاً مقتولاً، وناقةً نافرةً، وبجنب المقتول كيس، فنزل يفتّش الكيس فإذا فيه كتاب من معاوية إلى إسماعيل المذكور، ومعه قارورة فيها سمٌّ بعثه إليه ليسمّ به الإمام الحسن عليه السلام، فأخذهما وجدَّ في السير حتّى وصل إلى الإمام ورآه معتلّاً، فبكى، وناوله الكتاب فقرأه ووضعه تحت وسادته. ولم يجد سعدُ بن مسعود الثقفيّ، وابنُ أخيه المختار ـ وقد ضمّهما النديّ ـ نُدْحَةً عن الكلام مع الحسن عليه السلام، فأشار إلى عبدالله بن عبّاس فأخذ الكتاب من

تحت الوسادة وأعطاها إيَّاهما، فتعجَّب سعد بن مسعود، وقصد المختار أن يقتل إسماعيل.

فقال له الإمام عليه السلام: لا تفعل، أنت رجل هائج، ليذهب عون بن علي ـ عليه السلام ـ وليأتِ بالرجل.

فلمّا حضر إسماعيل عاتبه الإمام عليه السلام، ثمّ أعطاه كتاب معاوية، وعند ذلك نهض المختار وقطع رأس الرجل ونهب داره، وقتل ابناً له[1]، انتهى.

على أنّا مَهْما جاريناك على سوء القصد في هذه الكلمة، فإنّا لا نجاريك على بقاء الرجل عليه إلى آخر نَفَسٍ لَفَظَهُ، فإنّ قَضِيَّةَ[2] نصوصِ أئمّة الدين ـ عليهم السلام ـ الآتية، وتصريحات علمائنا الأعلام، هو حسن حاله وجلالته وكبر شأنه، فلابدّ على فرض نقصه في البَدْءِ من القول بكماله في الغاية، ومن ذا الذي خُلِقَ كاملاً، وتساوى أوّله وآخره غير من وجب فيهم الكمال من حجج الله المعصومين؟! ولك العبرة بشهداء الطَّفِّ الذين لم يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق في رفيع مقامهم بنصٍّ من المعصوم عليه السلام.

ألم يكن الحرّ بن يزيد الرياحي هو الذي جعجع بالحسين عليه السلام وعرّضه وأهله للقتل والأسر؟! لكنّه تاب فتاب الله عليه ورضي عنه الإمام عليه السلام، فكان عداده في شهداء كربلاء، لَهُ ما لهم من الشرف الباذخ، والمجد الأثيل، وقُنَّة الإيمان الراسية. ولقد أبّنه الحسين عليه السلام[3]، أو أنّه أمر ابنه

---

(١) الكامل للبهائي ٢: ٣٣٢ ـ ٣٣٣ من الترجمة العربيّة للكتاب.

(٢) أي مقتضى.

(٣) رواه الشيخ السعيد الشهيد ابن الفتّال النيسابوري في «روضة الواعظين» [ص١٨٦] ورئيس المحدّثين شيخنا الصدوق [الأمالي: ٢٢٣ ـ ٢٢٤].(المؤلّف).

عليّاً الأكبر عليه السلام بتأبينه(١)، فقال:

لَنِعْمَ الحُرُّ حُرُّ بَني رِياحِ   صَبُورٌ عندَ مُخْتَلَفِ الرِّماحِ
ونِعْمَ الحُرُّ إذ نَادَى حُسَيْناً   فَجادَ بِنَفْسِهِ عِندَ الصِّياحِ

أولم يك زهير بن القين ممّن يكره لُقيا الحسين عليه السلام، حتّى قال صاحبه الفزاري: إنّه لم يكن شيء أبغض إليه من مسايرته، وإنّ زهيراً كان إذا سار الحسين عليه السلام تخلّف عنه، وإذا نزل تقدّم زهير، وذلك عند قفولهم من مكّة ومسير الإمام عليه السلام إلى كربلاء، ولم تزل الحال على هذه حتّى كان من أمره ما كان من التصرّف المولوي فيه بنظرة واحدة رحيمة قد كَهْرَبَتْهُ، فعاد في الغارب والسنام من مجدِ أصحاب الحسين عليه السلام.

وكان وهب بن عبدالله بن حُباب الكلبي نصرانيّاً، أسلم على يد السبط الشهيد ـ سلام الله عليه ـ هو وأُمُّه، وصحباه إلى كربلاء، فكان له من فضل الشهادة قِسْطُهُ الأوفر، ونصيبه الأَوفى.

وذكر السيّد ابن طاووس في «اللُّهوف»(٢)، وابن عبد ربّه في «العقد الفريد»(٣): أنّ اثنين وثلاثين رجلاً من عسكر ابن سعد عبروا إلى الحسين عليه السلام لمّا حداهم التوفيق، إذ شاهدوا دَعاةَ خُطَّة أميرهم مع آل رسول الله ـ صلّى الله عليه

---

(١) انظر بحار الأنوار ٤٥: ١٤، ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ١١.

(٢) انظر اللّهوف: ٥٧، قال: فعبر عليهم في تلك الليلة من عسكر عمر بن سعد اثنان وثلاثون رجلاً.

(٣) انظر العقد الفريد ٥: ١٢٨، قال: وكان مع عمر بن سعد ثلاثون رجلاً من أهل الكوفة، فقالوا: يعرض عليكم ابنُ بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله ثلاث خصال فلا تقبلوا منها شيئاً؟! فتحوّلوا مع الحسين عليه السلام فقُتِلُوا معه.

وآله وسلّم ـ فلم يزل بهم سائق الهداية حتّى عادوا ضحايا الدين والمروّة، صلوات الله عليهم.

وما قولك في أكثر الصحابة الّذين بهم قام عَمُودُ الدين يومَ كانوا كفّاراً بين وثنيٍّ ويهوديٍّ ونصرانيٍّ، فشملتهم العناية، فرفَّت فيهم أعلام الهداية، وانبثق بينهم نور الإسلام، فكانوا في الذِّروة العالية من الحنيفيّة البيضاء.. إلى غيرهم من ناقصين قد أكملتهم المقادير، وهذّبتهم الظروف، حين وافاهم السُّعود بلُقيا نبيٍّ، أو مصادفةِ إمامٍ، أو تَنَبُّهٍ إلى حقيقة. فهؤلاء لا يؤاخذون في أُخرياتهم بأُولياتهم، لاسيَّما بعد رضا أئمّة الدين عنهم.

ومن هؤلاءِ المختارُ على تقدير صحّة ما عُزِيَ إليه من شائنة، وقد دلَّنا على رجوعه عنها أعماله الناجعة، وأقواله المقرونة بقرائن الصِّدق القطعيّة، ونهضتُهُ الكريمةُ، ودعاءُ أئمّة الهدى له ومدحهم إيّاه وذبّهم عنهُ، وعدّهم لمزاياه، وشكرهم له على أياديه، ومدافعة علماء الدين عنه، إلى أشياء أُخر ستقف عليها إن شاء الله تعالى.

ليس من المستنكر هداية المختار في سنين متطاولة بعد أن ثبت في التاريخ الصحيح هدايةُ هؤلاء إلى أمثالهم في أُوَيْقاتٍ يسيرة.

وينافي أيضاً نسبةَ تلك النَّزْعة إليه ما مرّ من أنَّه قبل إمرته بالكوفة كان يتكلَّم بفضل آل محمّد ـ صلوات الله عليهم ـ وينشرُ مناقب عليٍّ والحسن والحسين عليهم السلام، ويقول: إنّهم أحقُّ بالأمر من كلِّ أحدٍ بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ويتوجَّع لهم ممّا نزل بهم[1].

---

(١) ذوب النُّضار: ٦٧ ـ ٦٨.

ولم تبرح أقوال المختار وأعماله على وتيرة واحدة من هذا القبيل، قبلَ أن يُتاحَ له الثأر وبعده، فمِنَ الجرأة النَّيلُ منه بشواذِّ الروايات، أو ورطات القالة.

ولئن كان يروقُ لابن حجر في قذفه المختار بالخارجيّة الاستنادُ إلى ما مرّ من رواية الطبري، فهي أقصر من أن تنهض مصدراً لدعوى كبيرة كهذه، أمامَ ما تواتر عن المختار وطفح به التاريخ من تظاهره بضدِّ ذلك، ومن جرّائه تداولته أعماقُ السُّجُون مراراً، وألَمَّ به النفيُ من أعدائه، وحفلوا به بالضَّربِ والشَّتم وأنواع الإهانات، ولم يسلم منها حتَّى بعد موته.

وما قدّمناه من معاملة أئمّة الدين ـ عليهم السلام ـ معه كأحد أوليائهم المخلصين، وهم أعرف الناس به، ومن المستبعد غايتَهُ صدورُ كلمةٍ كهذه لِمِثْل سُوَيْد بن غَفْلَة المعروف بولائه لأميرالمؤمنين عليه السلام ممّن يتحرَّى أن يتغلَّب على الناس بآل محمّد ـ عليهم السلام ـ وولائهم، والدَّعْوَة لهم في بيئة مثل الكوفة الطافحة بشيعة عليّ عليه السلام، وكُلُّ أمله معقودٌ بهم.

أوما كان يخشى إذاعة سُوَيْد ما سمعه منه فيكون فتّاً في عضده، وثلماً في منيّته؟

فالحديث مختلق على لسان سُويد، وليس ذلك من طريقةِ النَّواصِبِ ببعيد، ولا من رواة السوء بمُنْتَأًى.

على أنّ مقتضى الرواية أنَّ همدان انفضَّت عنه، ولم تنصره، وقد وجدنا للمختار شعراً ينمُّ عن التفاف همدان به في نهضته، وذلك قوله[١]:

(١) رواها أبو عُبيد المرزباني في «معجم الشعراء» طبع مصر سنة ١٣٥٤ ج٢ ص٤٠٨. (المؤلّف).

[من الطويل]

تَسَرْبَلْتُ مِنْ هَمْدان دِرْعاً حَصِينَةً ... تَرُدُّ العَوالي بالأُنُوفِ الرَّواغِمِ
هُمُ نَصرُوا آلَ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ ... وَقَدْ أَجْحَفَتْ بِالنَّاسِ إِحْدَى العَظائِمِ
وَفَوا حِينَ أَعْطَوا عَهْدَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ ... وكَفُّوا عَنِ الإسلامِ سَيْفَ المَظالِمِ
هُمُ أَطْفَأُوا إذ جاهَدُوا نارَ فِتْنَةٍ ... وَهُمْ تابَعُوا مِن هاشِمٍ خَيْرَ «قائِمِ»

وسنوعز إلى معنى الكلمة الأخير من الشعر إن شاء الله تعالى.

وذكر الدينوري في «الأخبار الطوال»: أنّ أكثر من استجاب له همدان وقوم كثير من أبناء العجم الذين كانوا بالكوفة، ففرض لهم معونة، وكانوا يسمّون الحمراء، وكان منهم بالكوفة زهاء عشرين ألف رجل... إلخ[1].

وقال في موضع آخر عند ذكر خروج أهل الكوفة على المختار وخلعهم طاعته: أنّه أرسل إلى همدان وكانوا خاصّته... إلخ[2].

(١) الأخبار الطوال: ٢٨٨.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٩٩.

[دفعُ شبهة]

ولعلّ فيما ينالون من المختار مَن يريد نقصه بكلّ وجه، فيتشبّث بما رواه شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي قدّس سرّه في «التهذيب» عن محمّد بن عليّ بن محبوب، عن محمّد بن أحمد بن أبي قتادة، عن أحمد بن هلال، عن أُميّة بن عليّ القيسي، عن بعض من رواه، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال لي: يجوز النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ الصِّراطَ يتلوه عليٌّ، ويتلو عليّاً الحسنُ، ويتلو الحسنَ الحسينُ عليهم السلام، فإذا توسَّطوه نادى المختارُ الحسينَ ـ عليه السلام ـ: يا أبا عبدالله، إنّي طلبت بثارك، فيقول النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ للحسين عليه السلام: أَجِبْهُ، فينقضُّ الحسينُ عليه السلام في النار كأنّه عقاب كاسر فيُخْرِجُ المختارَ حُمَمَةً، ولو شُقَّ قلبه لوُجِدَ حُبُّهما فيه[1].

وفي «مستطرفات السرائر» للفقيه الأجلّ محمّد بن إدريس الحلّي[2] بالإسناد عن زرعة بن محمّد الحضرمي، عن سماعة بن مهران، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إذا كان يوم القيامة مرَّ رسولُ الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بشفير النار، وأميرُالمؤمنين والحسنُ والحسينُ عليهم السلام، فيصيح صائح من النار: يا رسول الله، يا رسول الله، يا رسول الله، أَغِثْني، قال: فلا يجيبه، قال: فينادي: يا أميرالمؤمنين، يا أميرالمؤمنين، يا أميرالمؤمنين ـ ثلاثاً ـ أَغثني، فلا يجيبه، قال: فينادي: يا حسن، يا حسن، يا حسن، أغثني، فلا يجيبه، قال:

---

(١) تهذيب الأحكام ١: ٤٦٦ ـ ٤٦٧/ ح١٥٢٨.

(٢) نقله عمّا أورده أبان بن تغلب صاحب الباقر والصادق عليهما السلام في كتابه. (المؤلّف).

فينادي: يا حسين، يا حسين، يا حسين، أغثني، أنا قاتل أعدائك. قال: فيقول له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: قد احتجَّ عليك، قال: فينقضُّ عليه كأنّه عقاب كاسر، قال: فيخرجه من النار.

قال: فقلت لأبي عبدالله عليه السلام: من هذا جعلت فداك؟ قال عليه السلام: المختار، قلت: ولِم عُذِّب بالنار وقد فعل ما فعل؟ قال عليه السلام: إنّه كان في قلبه منهما شيء، والذي بعث محمّداً بالحقّ، لو أنَّ جبرئيل وميكائيل كان في قلبهما شيء لأَكبَّهما اللهُ في النار على وجوههما[١].

لكنّ سند الحديث يدحره عن النهوض حُجَّةً لمن حاول شيئاً.

أمّا السند الأوَّل، فبعد الغضّ عن إرساله ببعض من رواه، فإنّ فيه أحمد بن هلال، ففي «فهرست» الشيخ الطوسي: كان غالياً متَّهماً في دينه[٢].

وقال النجاشي: صالح الرواية، يعرف منها وينكر، وقد روي فيه ذموم عن سيّدنا أبي محمّد العسكري عليه السلام[٣].

وفي الخلاصة لآية الله العلّامة: غال ورد فيه ذمٌّ كثير... إلى قوله: وتوقّف ابن الغضائري في حديثه إلّا فيما يرويه عن الحسن بن محبوب من كتاب المشيخة، ومحمّد بن أبي عمير من نوادره، وقد سمع هذين الكتابين جُلُّ أصحاب الحديث، واعتمدوه فيهما، وعندي أنّ روايته غير مقبولة[٤].

---

(١) مستطرفات السرائر: ٥٦٦ ـ ٥٦٧.

(٢) الفهرست، للطوسي: ٨٣/ الترجمة ١٠٧.

(٣) رجال النجاشي: ٨٣/ الترجمة ١٩٩.

(٤) خلاصة الأقوال: ٣٢٠/ الترجمة ٦.

قُلْتُ: وإنّما اعتمدوه في رواية الكتابين لشهرتهما وتظافر روايتهما عن مؤلِّفَيْهما، وثبوت نسبتهما، لا لثقة ابن هلال في نقله.

وروى الكشّيّ في رجاله بإسناده التوقيعَ في البراءة منه عن الحجّة المنتظر صلوات الله عليه، وفيه: «احذروا الصوفي المتصنّع»، وفيه قوله: «لا رحمه الله»، وقوله: «لا غفر الله له ذنبه، ولا أقاله عثرته، يداخل في أمرنا بلا إذن منّا ولا رضىً، يستبدّ برأيه فيتحامى من ديوننا، لا يمضي من أمرنا إلّا بما يهواه ويريد، أرداه الله بذلك في نار جهنّم، فصبرنا عليه حتّى بتر الله بدعوتنا عمره»... إلى قوله عليه السلام: «ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال لا رحمه الله، ومِمَّن لا يبرأ منه»... إلخ. ثمّ وصفه بالفاجر. وطعون كثيرة فيه[١].

وفي كتاب «الغيبة» لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي في آخر توقيع صدر في لعن الشلغماني «إنّنا في التوقّي والمحاذرةِ منه على ما كُنّا عليه ممّن تقدّمه من نظرائه من الشريعي، والنميري، والهلالي، والبلالي، وغيرهم»... الحديث[٢].

وفي «إكمال الدين» للصدوق: عن محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن سعد بن عبدالله، يقول: ما رأينا ولا سمعنا بمتشيّع رجع عن التّشيّع إلى النَّصب إلّا أحمد بن هلال، وكانوا يقولون: إنّ ما تفرّد بروايته أحمد بن هلال فلا يجوز استعماله[٣].

ويظهر من كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: أنّه ممّن وقف على أبي جعفر في

---

(١) انظر اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي) ٢: ٨١٦ـ٨١٧/ ح ١٠٢٠.

(٢) انظر الغيبة، للطوسي: ٤١١/ ح ٣٨٤.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٧٦.

النِّيابة ولم يذعن بعثمان بن سعيد[١]، فلعنته الشيعة وتبرّأت منه، ثمّ ظهر التوقيع على أبي القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه[٢].

ووصفه الشيخ محمّد أمين الكاظمي في المشتركات: بالضَّعْفِ[٣].

وعلى ذلك تطابقت كلمات الرجاليّين، ولا منافاة بين الطعن بالنَّصْب والغُلُوّ؛ لإمكان التَّرتيب بينهما؛ بأنّه كان يحاول الغُلُوَّ رَدْحاً من عمره، ثمَّ اعتنق النصب برهة منه، وأنّ توقّفه كان محادداً لغلوّه قبله أو بعده. ويظهر من كلام سعد أنَّه كانَتْ أيّامُ استقامةٍ يقولُ فيها بالإمامة، ثمَّ حدا به العمى إلى النَّصْب.

ويقرب منه قول أبي جعفر الطوسي فإنَّه يعطي أنّه ارتدّ إلى الوقف عن استقامةٍ، وهو الذي يظهر من موضع آخر من «إكمال الدين»[٤]، وهذا هو السّرّ فيما تجده من رواية الأجلّاء عنه، فإنّها كانت أيّام استقامته ثمّ رفضوه، أو أنّها فيما يرويه عن الكِتابَيْنِ النوادر والمشيخة لأنّهما ـ كما عرفت ـ من الأُصول المعتمدة المشهورة المتداولة، فمن يرويهما عنه فإنّما لمجرّد اتّصال السَّند لا لتوقُّف نسبة الكتاب عليه.

ولعلَّ إلى أحد هذين الوجهين يوعز كلام النجاشي السابق: أنّ روايته يُعْرَفُ منها ويُنْكَرُ. وأحتمل قويّاً أنّه كان منحرفاً عن الطريقة المثلى بَدْءاً وأخيراً، غير أنّه كان يُرائي للحصول على مقاصده الشخصيّة، أو لإضلال الشيعة، فكان يَتَّخِذُ كُلَّ

---

(١) كذا، والصواب «محمّد بن عثمان بن سعيد».

(٢) انظر الغيبة، للطوسي: ٣٩٩/ ح ٣٧٤.

(٣) انظر مشتركات الكاظمي (هداية المحدّثين): ١١٨.

(٤) انظر كمال الدين وتمام النعمة: ٢٠٤/ح١٣ ففيه: «حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن أحمد بن هلال في حال استقامته».

حين مسلكاً يسلكه، فبالتشيّع طوراً حتّى يُخْبِتُوا إليه، وبالوقف تارة كي يَكُفَّ النّاسَ على الأقلّ عن بعض الإيمان، وبالغلوّ برهةً ليخرجهم من الاستقامة فيسهل له أن يزجَّهم إلى أيِّ ضلال هَواهُ، وبالنَّصب أخيراً، ولعلَّهُ ضالّته المنشودة، ومغزاه الوحيد في تقلّباته بين نِحَلٍ ونَزَعاتٍ.

وعلى أيٍّ، فإنّ روايته هذه غير معتمدة، وعلى مجاليها لوائح الانحراف، يريد بها إبعاد الناس عن التّشيّع، وقطع آمالهم عن أئمّة دينهم بمثل ذلك الطعن في عظيم من عظمائهم؛ بأنَّ من يتفانى فيهم تفاني المختار يكون مصيره إلى النار فلا تنفعه تلك الموالاة إلى يوم مَمَرِّ الصِّراط، فكيف بمن لم يتسنَّ له من المودَّة إلَّا ما أَحْنَى عليه أضلاعَهُ من حبّ كامن لا يستفيد به إلَّا هو؟!

وأيّاً ما كان فقد أُمرنا نحن بالحذر منه كما عرفت من التوقيع الشريف، وإنَّ من أجلى مظاهر الحذر ردّ رواياته. ويلي ابن هلال في الضعف أُميّة بن عليّ القيسي الشامي.

قال النجاشي: ضعّفه أصحابنا(١).

وعن ابن الغضائري: ضعيف الرواية، في مذهبه ارتفاع(٢).

وفي «الوجيزة» للعلّامة المجلسي: ضعيف(٣).

ولهذا كُلِّه حكم الشيخ أبوعليّ في رجاله «منتهى المقال» بضعف هذا الحديث بلا تردّد(٤).

---

(١) رجال النجاشي: ١٠٥/الترجمة ٢٦٤.

(٢) رجال ابن الغضائري: ٣٨/الترجمة ٦.

(٣) الوجيزة: ١٤٦.

(٤) انظر منتهى المقال في أحوال الرجال ٦: ٢٤٢/ ترجمة المختار برقم ٢٩٥٢، وفيه: وفي التهذيب بسند ضعيف أنّ النبيّ وعليّاً والحسنين يتوسّطون الصراط ... إلخ.

وأمّا سند ابن إدريس، فإنَّ فيه زرعة، وهو ابن محمّد الحضرمي، فهو وإن وثّقه علماء الرجال إلّا أنّهم ذكروا أنّه واقفي[١].

وروى الكشّيّ بإسناده في حديث رواه زرعة عن سماعة في الوقف، فيه قول الرِّضا عليه السلام: كذب زرعة ليس هكذا حديث سماعة ... إلخ[٢].

إذن فالصّواب إرجاء العمل بحديثه حتّى يعرف انجباره بعمل الأصحاب، أو احتفافه بقرائن الصدق، وإلّا فلا نأمن أن يكون حديثه مكذوباً للقطع بوجود الكذب فيما رواه، وليس روايته هذه ممّا عمل به، فسيوافيك إن شاءَ الله تعالى أنَّ الأشهر بين الإماميّة حسن حال المختار وشكره، والإعراض عمّا ورد من ذمّه، أو أنَّ ذلك معقد إجماعهم.

وبذلك كلّه تعرف الوهن فيما حاول بعض المؤلِّفين، وتبعه آخر، من الجمع بين أخبار المدح والذمّ بهذه الرواية، وذلك بعدم كمال المختار في الإيمان لكنّه يَؤُول أمره إلى النَّجاة فضلاً عليه من المولى سبحانه لما ناءَ به من أعمال حسنة، يومَ نصرَ الحقَّ وضربَ الباطلَ فأنقضه، لكنّك عرفت حالها وحال لداتها ممّا رُمِيَ به. وستعرف فريقاً آخر منها وضعفَها إن شاء الله تعالى، فلا يحتاج حينئذٍ إلى الجمع، وإنّما نطرح طرفاً منها ونأخذ بطرف.

فهذه الرواية وأمثالها ممّا قاله السيّد يوسف بن محمّد بن محمّد بن زين الدين العاملي الحسيني في هامش كتابه «الجامع للأقوال» بعد حديثين ذكرهما العلّامة

---

(١) انظر رجال النجاشي: ١٧٦/ الترجمة ٤٦٦، والفهرست، للطوسي: ١٣٤/ الرقم ٣١٣، ورجال الطوسي: ٣٣٧/ الرقم ٥٠١١، ومعالم العلماء: ٨٩/ الرقم ٣٥٥.

(٢) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي) ٢: ٧٧٤/ ح٩٠٤.

في الخلاصة في الثناء على المختار: إنّ طرق الأحاديث الباقية كلّها لم يثبت صحّتها[١]. وممّا نصّ به ابن نما: من أنّ أعداءنا عملوا له مثالب ليشينوا سمعته[٢].

وصرّح به العلّامة العلياري في «رجاله»: بأنّ إسناد تلكم الروايات ينتهي إلى العامّة[٣].

وسيأتي ـ عن ابن طاووس وتقرير صاحب «المعالم» له ـ طرحُ أخبار الذمّ جمعاء، واتّهام الرواة فيها.

وقال المحقّق الأردبيلي: إنّها أنباء روائيّة خرافيّة[٤].

وإلى الغاية لم نجد مرجعاً لضمير «حبّهما» في الرواية الأُولى، و«منهما» في الثانية من لفظ الحديث، فقيل: هو الرجلان، واستصوبه العلّامة المجلسي[٥]، ولذلك ذكرتهما هاهنا.

وقيل: الرئاسة والمال. واستقربه الشيخ أبو علي في رجاله، وقال: كما في حديث آخر[٦]. أقول: وهو المصرَّح به في مرسلة الطُّريحي في «المنتخب»[٧].

---

(١) ليس عندي هذا الكتاب ولم أعثر عليه في مكان آخر.

(٢) انظر ذوب النُّضار: ١٤٦، وفيه: وإنّما أعداؤه عملوا له مثالب ليباعدوه من قلوب الشيعة.

(٣) بهجة الآمال في شرح زبدة المقال (نخبة المقال) ٥: ٢٠٠.

(٤) لم أقف على ذلك في جامع الرواة.

(٥) انظر بحار الأنوار ٤٥: ٣٤٥ـ٣٤٦ في بيان له بعد الحديث رقم ١٥.

(٦) انظر منتهى المقال ٦: ٢٤٣/ الترجمة ٢٩٥٢، قال: والأقرب أنّه حبّ الدنيا والملك كما في حديث آخر.

(٧) انظر المنتخب: ١٥٦/ المجلس ٨ ـ الباب الأوّل منه، فقد روى ما يقرب من رواية مستطرفات السرائر، وفي آخر الرواية: إنَّ المختار كان يحبّ السلطنة وكان يحبّ الدُّنيا وزينتها وزخرفها.

واحتُمِلَ أَنْ يكون أراد قائِلُهما الرَّجُلَين اللَّذَين ذكرهما ابن حجر[١] فيما أسلفنا عنه وزيّفناه. ويدفعه ما عرفته من أنّه على تقديره موجب للخلود لأنّه الكفر الصُّراح، وإذ ليس بشيء منها شاهد لفظيٌّ فالجزم بأيٍّ منها تَحَكُّمٌ، غير أنَّ السياق يعطي أنّه أمر لا يرتضيه ربّ العالمين، لكنَّ السندَ ما عرفت حاله.

إذن فلا نُدْحَةَ من أن نضعهما في مدحرة البطلان.

وممّا يبطلهما أيضاً ما ثبت عن أئمّة الهدى عليهم السلام من إكبار مقامه والتأبين والدعاء له، إلى غيرها من مظاهر الشكر والتقدير والتقديس، وقد عُلِمَ أنّهم ـ عليهم السلام ـ لا يفعلون ذلك مع أيٍّ منحرف عن هداهم، إلَّا أن يُخَرَّجَ مخرج التَّقيَّة، وذلك منتفٍ في حين أنَّ المختار تَضُمُّه بين لَحْدِهِ الجلامدُ والصُّخُورُ، وعلى حين حياته لم تَتَّصل سلطته بمركز الإمامة (المدينة)، وابنُهُ الحَكَمُ الذي سأل الإمامَ الباقر عليه السلام عن نفسيّة أبيه لم يكن يملك من الأرض إلَّا موطئ قدمه، وقذائفُ القول تتهاوى عليه من كلِّ جانب؛ لاغترار السُّذَّج بتدابير الساسة، وتزوير الأقدمين، ذلك في طَلاءٍ مُبَهْرَجٍ، فماذا كان على الإمام لو أصحر[٢] بالحقيقة ـ لو كانت هناك حقيقة ـ غير ما أبداه ـ وسيأتي نصّ الخبر، وتفصيلُ هذه الجملة إن شاء الله تعالى ـ والإمامُ الصادق عليه السلام كان يترحَّم عليه بعد لأْيٍ[٣] من السِّنين، وقد طَحنَ مختاراً بكَلْكَلِهِ البِلَى، فأيُّ خوف كان إذ ذاك لو لم يكن فيما فعله من الترحّم؟!

---

(١) حيث قال في إصابته ٦: ٢٧٦/ الترجمة ٨٥٦٧ في حديث مفترى نسب فيه أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال في المختار: ماله قاتله الله، لو شُقَّ عن قلبه الآن لوُجِدَ من حُبِّ اللّات والعُزّى.

(٢) أَصْحَرَ بالحقيقة: أظهرها.

(٣) اللَّأْي: الإبطاء واللَّبث. أي بعد مدّة من السنين.

وممّا يُثبت أنَّ المختار في عِلْيَةِ العلويّين في الرأي ما رواه الطبري في «التاريخ» وابن الأثير في «الكامل»: أنّه لمّا غلب على الكوفة صعد المنبر وخطب خطبة ـ سوف نذكرها إن شاء الله تعالى ـ فيها قوله: فلا والذي جعل السماء سقفاً مَكْفُوفاً، والأَرضَ فِجاجاً سُبُلاً، ما بايعتم بعد بيعة عليّ بن أبي طالب وآل عليّ أهدى منها.

ثُمّ نزل ودخل القصر ودخل عليه أشراف الكوفة فبايعوه، وجعل يقول: تبايعوني على كتاب الله وسنّة رسول الله والطلب بدماء أهل البيت، وجهاد المُحِلِّينَ، والدفع عن الضعفاء، وقتال من قاتلنا، وسلم من سالمنا، والوفاء ببيعتنا لا نقيلكم ولا نستقيلكم. فإذا قال الرجل: نعم، بايَعَهُ..[1] إلخ. ومرّ انعقاد هذه البيعة له عن غير واحد من الكتب.

هذه نفسيّة المختار أظهرها في أوّل خطبة خطبها من إمرته، اندفع إلى الهتاف بها بدافع الإيمان الذي انطوت عليه أحشاؤه، على حين أنّ الظروف ما كانت تساعده على تلك المصارحة، لأنَّ أيّامه كانت أيّام فتن، والبلاد مقسومة بين أُناسٍ حِناقٍ على أميرالمؤمنين عليّ وآله عليهم السلام، ميّالة إلى أضداده، فالمستحوذُ على الشام ومصر مروان، والمسيطر بالحجاز ابن الزبير، وكانت تَتَّصل سلطته بالبصرة، وهما يتربّصان به الدوائر، ويتحرّيان له الغوائل، وينصبان العداء لبني هاشم، فهو بين طابقين من نار، وفيمن لاث به مَن يرى أميرالمؤمنين عليه السلام رابع الخلفاء، وفيهم أُمويُّو النزعة؛ يحسبون في بيعة غيره الهدى، وفي بيعة مَن تَقدَّمه نجاحاً.

وأميرُالمؤمنين عليه السلام نفسه لم يتأَتَّ له المصارحةُ بتقدُّمه على من تَقَدَّمَهُ

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٠٨، تاريخ ابن الأثير ٤: ٢٢٦.

ولا بيانُ حقيقة أمره إلّا للأوحديّين من بطانته خشيةَ بادرةِ الناس، ولذلك لم يتسنّ له رَخْض ما خُلِّف لعهده من معرَّة البدع، فلم يمكنه رَدّ المقام إلى محلِّه الأصليّ حذار أن يتفرَّق عنه جنده(١).

وعزل شريحاً عن القضاء فارتفعت عقيرة القوم: وا عمراه(٢).

ولمّا أمر ابنه الإمام المجتبى عليه السلام بدخول المسجد وتفريق الناس عن التراويح، فدخله وبيده الدرّة يضربهم بها، فجعلوا يفرُّون من ابواب المسجد ويتنادون: وا عمراه وا عمراه(٣).

كلّ هذه إلى لداتها ممّا يُقْضَى منه العجب كانت يوم انعقاد الأمر له، والألوية تخفق على رأسه، والسيوف مشهورة أمامه، وله محتبى الدَّسْت، وصهوة المنبر، غير أنَّ الأحلامَ طائشةٌ، والعزائمَ خائرةٌ، ودافعَ الدِّينِ ضئيلٌ.

وبهذا البيان تعرف ما لقول المختار المتقدِّم من الأهمّيّة الكبرى، في حين أنّه كان في بدء الأمر، والبيعة لمّا تنعقد له، وقِوَى خُصمائِهِ تترى، وفي الكوفة نفسها

---

(١) ففي الكافي ٨: ٥٩/ح ٢١ خطبة لأميرالمؤمنين عليه السلام في خاصّة شيعته يقول فيها: ولو حملتُ الناس على تركها وحوّلتُها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله لتفرّق عنّي جندي حتّى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي... أرأيتم لو أمرتُ بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله...

(٢) في كشف الغمّة ١: ١٣٤ فإنّه عليه السلام كان ممنوعاً في أيّام خلافته عن كثير من إرادته الدينيّة، حتّى إنّه أراد عزل شريح وقال: عزب ذهْنك وعلت سنّك وارتشى ابنك، فلم يمكن من عزله والاستبدال به.

وفي تنقيح المقال ٣٤: ٤٠٤ ـ ٤٠٥/ الترجمة ١٠٧٣٨ وأراد أميرالمؤمنين عليه السلام عزله فلم يتيسّر له، لأنّ أهل الكوفة قالوا: لا تعزله، لأنّه منصوب من قِبَلِ عمر!

(٣) انظر تهذيب الأحكام ٣: ٧٠/ح ٢٢٧.

أضدادُ عليٍّ عليه السلام ورهطِهِ، وهو لا يريد مناوأة الجميع إلَّا بهؤلاء الذين يستحثّهم على بيعته، ويوشك لو جَابَهَ أهواءَهم أن يكونوا إِلْباً عليه لأعدائه، لكنَّ ما جُبِلَ عليه من الولاء لم يَدَعْهُ والمُصانَعَةَ. فوطَّأَ تلكم النَّزعات الأهوائيّة بأَخْمَصِ بأسِهِ وهداه، وشَحَنَ الكوفةَ بأنَّ بيعته أهدى من أيِّ بيعة كانت في أعناقهم، سِوَى ما كانت لأميرالمؤمنين وآله عليهم السلام.

إنَّ أَهمَّ ما كان الناس يعتنقونه في ذلك العهد ـ إلَّا الخواصَّ والعارفين ـ ويرون حرمته، هي بيعة من تقدَّم أميرالمؤمنين عليه السلام، وكانوا يرون بيعة مَنْ بعده من المُلْكِ العَضُوض، فلابدَّ في كلام المختار من إرادة تلك البيعة، لا هذه التي يرونها في الضَّلال المبين، كأنْ يقول: إنَّ بيعتي أَهْدى من بيعة مسيلمة مثلاً، ولا يقوله نابِهٌ، وليس المراد من لفظة «بعد» في قوله: «بعد بيعة عليّ عليه السلام»... إلخ البَعْدِيَّة الزَّمانيَّة، وإنَّما المراد منها ما يفيد المغايرة كـ«غير» و«سوى»، على حدّ قوله تعالى في سورة الجاثية: ﴿**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ**﴾[١]، فليس للّه بَعْدٌ زمانيٌّ، فالمرادُ غيره.

إذن فيشمل قول المختار أيَّ بيعة كانت لغير عليٍّ وآله قبلَهُ أو بعده، وإرادةُ هذا المعنى من لفظ «بعد» مطَّرِدة عند العرب، وقد جاء بها القرآن الكريم، والمتضلِّع[٢] مِنَ العربيّة العارف بأساليب كلامهم لا يعدوه الالتفات إليه في كلام المختار، ويؤكّد ما علم من عقيدته في بيعة أُولئك المتقدّمين.

---

(١) الجاثية: ٦.

(٢) هذا هو الصوابُ في تعدية الفعل «تَضَلَّع» وما اشتُقَّ منه. ومن الغلط الشائع قولهم: المُتَضَلِّعُ في كذا. أحد الفضلاء.

وقد مرّ عن الفقيه ابن نما في رسالته: أنّه قبل إمارته بالكوفة جعل يتكلّم بفضل آل محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وينشر مناقب عليّ والحسن والحسين عليهم السلام ويُسَيِّر ذلك ويقول: إنّهم أحقّ بالأمر من كلِّ أحدٍ بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ويتوجّع لهم ممّا نزل بهم[١].

هذه نظريّة المختار في آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهي عين ما هتف به على منبر الكوفة، وهي لا تأتلف مع إرادة ظرف الزمان من «بعد» وإن كثر استعماله فيه، لكنّه كثيراً ما يخرج إلى غيره كما تقدّم في الآية الكريمة، وفي قوله تعالى: ﴿ **عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ** ﴾[٢] أي مع ذلك، وقوله: ﴿ **وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا** ﴾[٣] أي مع ذلك على أحد القولين.

إذن فالمختار يهتف بمِلْءِ فمه في ذلك الموقف الذي عرفته بأنّ بيعة عليّ عليه السلام أهدى بيعة انعقدت بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثمّ بعد ذلك بيعة نفسه على أنّها لم تكُ بيعةَ إمامةٍ، ولا أُخِذَتْ على النَّاس بتلك الصِّفة، لكنَّها بيعةُ إمرةٍ أُخِذَت لغاية شريفة يرتادها كلُّ مؤمن، وهي قائمة على ولاء أهل بيت الوحي عترة المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وهذا الهتاف لا يكون إلّا من صميمٍ في الولاء، عريقٍ في مودّة ذوي القربى.

لم يدع المختار هاتيك النظريّة في حيّز الدعوى المشفوعة بأمثالها في أندية الكوفة وعلى أعوادها إلّا وشَفَعَها بما يشهد لها من نيّات صادقة ظاهرة على

---

(١) ذوب النُّضار: ٦٧ ـ ٦٨.

(٢) القلم: ١٣.

(٣) النازعات: ٣٠.

مجالي أعماله، ومحيّا نهضته الكريمة، يوم أزاحَ عن أهل البيت الإِزَمَ[١]، وترك واتِرِيهم لَحْماً عَلَى وَضَم[٢]، فتوالى إليهم منهم الشكر والثّناء والترحّم والدعاء. وبعد ذلك كلّه، فإنّا لا نحفل بأمثال ما تقدّم من آحاد الأخبار الضَّعيفة الإسناد.

فهلمَّ معي نعيد القول على ابن حجر[٣] ـ وعلى الشهرستاني حيث رماه بالخارجيّة في «الملل والنِّحَل»[٤] ـ ثانياً: مَتَى كانَ المختارُ خارجيّاً؟!

وهنالك فرية أُخرى له أعجب من هذه، وهو قوله: «ثمّ صار زيديّاً»، أَوَلَمْ تذكر أنتَ أنَّ ميلاد زيد كان سنة ٨٠[٥] بعد قتل المختار سنة ٦٧ كما مرّ في هذه الرسالة، وبينهما ثلاثة عشر عاماً.

فمتى عرف المختار زيداً حتّى دان بإمامته؟!

ويقرب من هذا في الغرابة قول ابن حزم في «الفِصَل»: أنّ الكيسانيّة عنده شعبة من الزيديّة، في سبيلهم أنَّ محمّد بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن

---

(١) الإِزَم: جمع الأَزْمة، وهي الشّدّة والقحط.

(٢) الوَضَم: خَشَبَةُ الجزّار التي يقطَعُ عليها اللحم. (لسان العرب مادّه «وضم»).

(٣) حيث قال في إصابته ٦: ٢٧٦/ الترجمة ٨٥٦٧ ويقال: إنّه كان في أوّل أمره خارجيّاً ثمّ صار زيديّاً ثمّ صار رافضيّاً.

(٤) انظر الملل والنِّحل ١: ١٤٧.

(٥) ذكره ابن حجر في تقريب التهذيب ١: ٣٣٠/ الترجمة ٢١٥٥، وذكر ابن العماد في شذرات الذهب ١: ١٥٩ أنّه قتل يوم الجمعة لـ(٣) أيّام من ظهوره، أو هو لـ(٧) بقين من المحرّم سنة ١٢١، أو سنة ١٢٢ وهو ابن ٤٣ سنة.

وذكر شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في رجاله: ٢٠٦/ الترجمة ٢٦٥٥ أنّه قتل سنة ١٢١ عن ٤٢ سنة. والشيخ المفيد في الإرشاد ٢: ١٧٤ ذكر أنّه قتل يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة ١٢٠ عن ٤٢ من عمره. فيكون مولده سنة ٧٨، أو ٧٩، وعلى أيّهما فهو بعد قتل المختار بسنين.

الحـنفيّة حـيٌّ بـجبال رَضْـوَى...[١] إلخ. أَوَلَا مُسـائِلٌ هـذا البـحّاثة عـن النِّـحل وتاريخها؟ أنَّ فرقةً كان حدوثُها قبل أُخرى بكثيرٍ، كيف تكون شعبة ممّا بعدها؟! لكنّ الجهل يُزجي صاحبه إلى مهاوي السقوط والهلكة.

نعم ذكر الشهرستاني في «المِلَل والنِّحل»: أنّه كان خارجيّاً، ثمّ صار زبيريّاً، ثمّ صار شيعيّاً وكيسانيّاً...[٢] إلخ.

ولعلّ أحدهما مصحّف من الآخر. ولا ننكر أنّه اتّصل بـابن الزبـير أُوَيْـقاتٍ يسيرة ـ لِما سوف نُوعِزُ إليه إن شاء الله تعالى ـ وليس فيه ما ينقصه. فإلى الملتقى، وإنّنا سنبسط القول في دَرْءِ الكيسانيّة عنه إن شاء الله تعالى.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل ٤: ١٣٧.

(٢) الملل والنِّحَل ١: ١٤٧ ـ ١٤٨.

هل المختار غالٍ في دينه؟

لا يكاد ينقضي عجبي فيما هاهنا لما بين القذفين ـ النصب والغلوّ ـ من البون الشاسع. وقد يُرتَجُ القولُ[1] على مُفِيضه حيث يقف بين الإفراط والتفريط بين النِّسبتين.

ليس ذلك من العجب في شيء، فإنَّ الغاية هو النَّيْل من رجل النهضة العلويّة الذي نصبوه شَبَحاً للسهام، فبأيٍّ نُشَّابة أَصْمَوا[2] بها فؤادَهُ، فللرَّامي فيها فَوْزٌ وفَلْجٌ، فلا يأبهون إذا أسقطوا المختار عن أعين المسلمين بأنَّه بأيِّ فرية هو، فهي تلك النزعة الأمويّة التي عرفناها منذ عهد معاوية، ولها دبيبٌ في نفوس زبائنها إلى عصرنا الحاضر.

[من المتقارب]

وَإِنِّي لَأَعْرِفُ نَذْلاً رَمَى فَذِي رَمْيَةٌ رَيَّشَتْها ثُعَلْ[3]

---

(١) أُرْتِجَ عليه القول: استغلق.

(٢) أَصْمَى الصّيدَ: رماهُ فأصابه فقتله مكانَهُ.

(٣) ثُعَل: بَطْنٌ من طيّئ كانوا معروفين بإجادَة الرَّمي. والبيت للمؤلف مذكور في الديوان في حرف الميم.

عدّ ابن قتيبة في «المعارف» ـ من الغالية الرافضة ـ أبا الطفيل صاحب راية المختار، والمختارَ، وأبا عبدالله الجدلي ـ أحد أُمرائه ـ وزرارة بن أعين، وجابر الجعفي[١].

قال ابن خلدون في «المقدّمة»: وسخط محمّد بن الحنفيّة على المختار بن أبي عبيد لمَّا بلغه مثل ذلك ـ وهو الغلوّ في الأئمّة وتأليههم ـ عنه فصرّح بلعنته والبراءة منه...[٢] إلخ. هذا قوله.

لكنَّ الشهرستاني في «الملل والنِّحَل» جعل السبب في تبرّي محمّد عنه قوله بإمامته، وذكره علوماً مزخرفة ينوطها به[٣].

وحيث إنّ الرجلين أو من رَوَى لهما ذينك السَّببين لم يجتمعا على افتعال سبب معيَّن للبراءة المختلقة، تَقَوَّلَ كُلٌّ منهما شيئاً، ولا يأبهان بالاتّفاق بينهما والاختلاف إذا حصلت الغاية المتوخّاة من النيل من بطل الثار.

والذي نناضل عنه الآن، هو براءة ساحة الرجل عن شِيَةِ الغُلُوِّ وعاره. وأمَّا إمامة ابن الحنفيّة فلها بحث ضافٍ سنعقده فيما يلي إن شاء الله تعالى.

إنّ من أرسل رائد النظر إلى صفحات التاريخ، مشفوعاً بقائد من البصيرة يدحر عوامل العصبيّة العمياء، وينبذ بواعث التهجّم، لا يجد فيما سطّروه من أقوال المختار وأحواله ـ وخطبه وأعماله وما تهالك دونه من قضيَّة الثار، وما أقدم فيه وما أحجم عنه، وما قال فيه، أو مال إليه ـ إلَّا ما هو النَّمط الأَوسط من القول

---

(١) المعارف: ٦٢٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون ـ المقدّمة ١: ١٩٨.

(٣) انظر الملل والنحل ١: ١٤٨، قال: وكان يدعو الناس إليه، وكان يُظهر أنّه من رجاله ودعاته، ويذكر علوماً مزخرفة بتُرَّهاته ينوطها به، ولمّا وقف محمّد بن الحنفيّة على ذلك تبرّأ منه.

بالإمامة. فلم يُرْوَ لَهُ في كتب الفريقين إلّا فضلُ آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي لا ينكر، وتقدُّمُهم في الخلافة على مَن تَقَدَّمَهُم، الّذي هو مذهب شطر مهمّ من الأمّة تُكاثِرُ عدَّتُهم نجومَ السَّماء، وليس هو من الغُلُوِّ في شيء، ولا أنَّ فيه من التأليه شيئاً، أو الاستياء لما نابهم من المحن مما لا يُكابِرُ فيها أيُّ أحد. وسيمرّ بك شطر منها في هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.

وإن رُمْتَ الإحاطَة بالجميع فعليك بالسِّيَر وكتب الحديث والرجال، غير أنَّ هناك صدوراً واغرة على آل الهدى وحقِّهم، تبهضهم ذكرى مجدهم ونشر فضائلهم التي فاهَ بها الذكر الحكيم وهتف بها النبيّ الكريم ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فيحسَبُون أيَّ فضيلة تُذْكَرُ لهم غُلُوّاً فيهم. ولعلَّ منهم أخذ ابن خلدون كلمته، أو أنّه هو أحدهم يبهضه ما يبهضهم.

ولقد اضطربت كلمات القوم في تطبيق الغُلُوّ على مصاديق حسبوها منه، والجامعُ لها هو ما ذكرناه، غير أنَّ «محمّداً»(١) ـ العَلَم المضطلع بالعلم والمعرفة والتُّقى ـ لم يك كذلك الجاهل بحقوق ذويه ومقامهم، ولا كذلك الحَنِقِ على أميرالمؤمنين عليه السلام، وأولادِهِ صلوات الله عليهم ـ وهو واحدٌ منهم ـ حتَّى يقذف مَن يروي فيهم شيئاً ـ من مجدهم النّاصع، وشرفهم الكثار ـ بالغلوّ ويلعنه ويتبرّأ منه.

فما عُزِيَ إليه من ذلك إفكٌ مفترى بُنِيَ على أنقاض ما سلف للقوم من البغضاء والشَّنآن، ولاسيّما أنَّ ابن خلدون لم يدعم دعواه بشاهد من حديث أو تاريخ، ولا أردفها بذكر شيءٍ أثبته السيرةُ يقرّبها إلى ذهن السامع، وإنَّما تفرّد بما لم يَأْبَهْ له

---

(١) أي محمّد بن الحنفيّة.

غيره من أئمّة التاريخ مع ذكرهم كُلَّ شاردة في قصّة المختار حتَّى غيرِ يسيرٍ من الأخبار المفتعلة، عدا ما عرفته عن ابن قتيبة، على حين أنَّ الشهرستاني يعارضه في إيراد السَّبب لبراءة محمّد من المختار كما عرفت، فهو حَوْرٌ في مَحارَةٍ[١].

(١) هو مَثَلٌ معناه نقصان في نقصان ورجوع في رجوع، يضرب للرّجل إذا كان أمرُهُ يُـدْبِرُ. لسان العرب ٤: ٢١٨ مادّة «حور».

المختار والكيسانيّة

إنَّ من درس الحالة على ذلك العهد الطافح بالفتن، وما انتاب الأُمَّة فيها من هنابثَ ومَثُلاتٍ ـ فللأُموي سَوْرَتُهُ[1] بالشام ومصر. وللزُّبيري إمرته القاسية الشَّديدة الكَلَب في الحجاز، وللخوارج في أرجاء المملكة وثَبَاتٌ تنجِمُ وتخبو، وللسُّلطات الحاكمة نوايا سيّئة في الثائرين لا يرون فيهم إلَّا البطش والتدمير ـ علم أنّ موقفَ الشيعةِ فيها عامّةً، وأهلِ البيت عليهم السلام خاصّةً، كان أَحْرَجَ من غيرهم، للسوابق المظلمة التي احتدمَت البغضاءُ لها بين كُلِّ أُمويٍّ وعلويٍّ، وبين كُلِّ زبيريٍّ أو عثمانيٍّ.

هذا والعهد بكارثة مشهد الطّفّ قريب، وفيها مُسْتَأْصَلُ شَأفَةِ الآل، ولم يبق ممّن شهده إلَّا الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام، وهو حجّة عصره الفذّ الواجب وجوده في كلِّ عصر[2]، فما كان يسعه وهو تحت سلطة أجنبيّة ـ والحقائقُ ترزح تحت نِيْرِ الاضطهاد، وأهلُ الحقّ تعضُّهم أنياب سياسيّة قاسية

---

(١) سَوْرَةُ السُّلطان: سطوته وقوّته واعتداؤه.

(٢) مراده: أنّ وجود الحجّة المعصوم واجب في كلّ عصر كما هو ثابت بالأدلّة المتقنة من الكتاب والسُّنّة.

تهدّد صاحبها مثل ابن الحنفيّة ، وحبر الأُمّة بالإحراق[١] ـ لا يسعه والحالةُ هذه أن يقف موقفَ المستثير لإدراك ثاراته .

فلو التطمت به أَواذِيُّ[٢] الفتن بقيت الأُمّة بلا إمام يقيم لها الأَمْتَ[٣] والأَوَدَ في دينها وهداها ، فكان يجب عليه ـ سلام الله عليه ـ كما يجب على أفراد الأُمّة كلاءَةَ نفسه[٤] المقدَّسة ، والإبقاء عليها ولو بنحو من تُقاةٍ ، على حين أنّ عليه عيوناً راصدة ترقب ما ينجم منه ، لاسيَّما فيما يعود إلى ثاراته ويناطح مغازي السَّاسة .

وأمّا ابن الحنفيّة فلم يك حُجَّةَ زمنه ، ولا مكترثاً بما يوشك أن يصيبه في هذا السَّبيل ، فإنْ هو عاش فقد جاهد في الله حقَّ جهاده ، وأدرك أوتاره ، وإن استُشْهِدَ فليست نفسه بأعزَّ من أخيه شهيد الطّفّ ـ صلوات الله عليه ـ الَّذي ذهب ضحيَّةَ الدين والشّرف ، وعند ذلك الشهادة الكبرى ، والحياة الخالدة ، والعزّ الأبديّ ، وتجارة لن تبور .

وكان لمحمّد عند الناس وجه واعتبارٌ لا يُجارَى ، ومقامٌ كريمٌ لم يجزه غيره من بقايا الهاشميّين سوى الحجَّة عليه وعلى غيره الإمام زين العابدين عليه السلام ، الذي كان أمره إلى النُّشُور لسوابق محمَّدٍ على العهد العلويّ ، ومواقفه المشهودة ، وفضائله الجمّة ، وكلمات درّيّة لأبيه عليه السلام ـ فيه .. إلى غيرها ، ممّا جعلته كبيرَ هذا البيت الطّاهر بعد الإمام عليه السلام .

---

(١) وموضوع الإحراق يذكره الطبري في تاريخه ٤: ٥٤٤، وابن الأثير ٤: ٢٥٠، واليعقوبي ٢: ٢٦١ وسوف يمرّ عليكم ذلك باختصار تحت عنوان: المختار صدوق في لهجته.

(٢) الأواذي: الأمواج.

(٣) الأَمْت: الاعوجاج.

(٤) أي حِفْظها.

وقد بلغ من عَظَمته في النفوس، أنَّ قوماً اعتقدوا فيه الإمامة والمهدويّة، وأنّه غائب في جبال رضوى بعد موته، حتّى قال قائلهم[١] فيه:

[من الوافر]

وَسِبْطٌ لا يَذُوقُ المَوتَ حَتَّى   يَقُودَ الجَيْشَ يَـقْدُمُهُ اللِّـواءُ

ولم يَحُزْ هذه المكانةَ حتّى حبرُ الأُمّة عبدالله بن عبّاس الذي كان أكبرَ بني هاشم سنّاً، وله في العلم شخصيّةٌ بارزة، وشهرةٌ طائلة، فلم يجد محمَّدٌ لرَحْضِ تلك المَعَرَّة سبيلاً، غير أن يُداعي الإمام عليه السلام في ظاهر الحال، فيتجلّى الأمر بالكرامة الباهرة من استنطاق الحجر الأسعد وشهادته لابن أخيه بالإمامة[٢]، فيعرّف للناس فضله الظاهر. وما استَتَبَّ أَمْرُ الإمامة إلَّا بتلك الحكمة العمليّة.

فلم يزل بعد ذلك يُصْحِرُ بالحقيقة، ويُنَوِّهُ بفضل زين العابدين عليه السلام، وتَقَدُّمِهِ للولاية المطلقة.

وكان ذلك أكبرَ عاملٍ لبروز الحقّ وتبلّجه في غُضُونِ تلك الظُّلْمةِ الحالِكَةِ، ولَيلِ الجهل الدّامس.

فانظر إلى حديث محمّد بن الحنفيّة مع أبي بجير عالم الأهواز[٣]، وأبي خالد الكابلي[٤] وكانا يعتقدان في محمَّد الإمامة، لكنّه ردَّهما إلى ابن أخيه الإمام الحقّ بالنصّ عليه، وذكر محمّدٌ لأبي بُجَيْر محاكمتهما إلى الحجر..

---

(١) نُسب البيت المذكور من جملة أبيات إلى كثير عَزّة كما في ديوانه: ٣٧، وإلى السيّد الحميري كما في ديوانه: ٥١.

(٢) انظر الهداية الكبرى: ٢٢٠، وكشف الغمّة للإربلي ٢: ٣٢٢.

(٣) انظر ذوب النُّضار: ٥١ ـ ٥٣.

(٤) انظر ذوب النُّضار: ٥٣ ـ ٥٤.

إلى غير ذلك ممّا يكشف عن رضوخه له، وأخذه بناصره.

كان والحالةُ هذهِ لاستفزازِ محمَّدٍ للنّاس أثرٌ كبير في النفوس، ومن هنا وهنا ارتأى الإمامُ عليه السلام أن يَكِلَ الثّار إليه[١]؛ إذ عرف منه أنّه لا يغضي عن الحقّ طَرْفَة عينٍ، وهو أحد المَحامِدَةِ الذين نصَّ أميرُالمؤمنين عليه السلام عليهم بأنّهم يَأْبون أَن يعصى الله[٢]، وهو صاحب المناقب المأثورة، والمزايا المشهورة.

إنَّ ما وصفناه من حراجة الموقف، وخشونة الحال، كان نُصْبَ أعين الشيعة، وفي الطليعة منهم المختارُ، وهو يعلم أنَّ في إسناد نهضته إلى حجّة العصر مَجْلَبَةً للأذى إليه من أعدائه، ويوشك أن يُفْتَكَ به على حين أنَّ إمرته بعدُ لم تتَّصل بالحجاز فتذبَّ عنه عاديةً أجنبيّةً.

وفي الاستناد إلى ابن الحنفيّة في ظاهر الحال مَقْنَعٌ وكفايةٌ عند الشيعة، وإن كان الاعتماد في الحقيقة إلى إذن الإمام، وتفويضه الأمر إلى عمّه.

ولذلك كان المختار قد يُوعِزُ إلى البطانة بواقع الأمر حيث يُخْبِتُ[٣] بِهِمْ، ويَثِقُ بتحفُّظهم على الأسرار، وأمّا على رؤوس الأَشهاد فلا يَنْبِسُ عن الإمام ببنتِ شَفَةٍ[٤]، ولا يدعو الناس إلَّا إلى امتثال أمر ابنِ الحنفيَّة كبيرِ البيتِ العلويّ بأخذ الثار.

---

(١) سيأتي الحديث بذلك عن ابن نما في «ذوب النُّضار». (المؤلّف).

(٢) في رجال الكشّيّ ١: ٢٨٦/ح١٢٥ بسنده عن أمير بن علي، عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: إنّ المحامدة تأبى أن يُعصى الله عزّ وجلّ. قلتُ: ومَنِ المحامدة؟ قال: محمّد بن جعفر، ومحمّد بن أبي بكر، ومحمّد بن أبي حذيفة، ومحمّد بن أميرالمؤمنين عليه السلام... الحديث.

(٣) أَخْبَتَ: خَشَعَ وخَضَعَ. وضَمَّنَه هنا معنى «اطمأنَّ» فعدّاهُ بالباء.

(٤) بنتُ الشفة هي الكلمة.

دن هذا مغزاه من الدَّعوة إليه، وأمَّا الإمامة فلم يك لها عند ذلك ذكر.

قال العالم البارع آقا رضي القزويني في «تظلّم الزهراء»: إنّ سبب دعوته إلى محمّد بن الحنفيّة لعلّه إنّما هو بظاهر الأمر حراسةً لعليّ بن الحسين عليه السلام من الاشتهار، ووقايةً عن مزاحمة الفجّار المتسلّطين على الأخيار بالأشرار...[١] إلخ.

قال الشيخ أبو عليّ في «رجاله»: لا يخفى أنّه إنّما دعا إليه ـ أي إلى محمّد ـ في ظاهر الأمر بعد ردّ عليّ بن الحسين عليه السلام كُتُبَهُ خوفاً من الشهرة، وعِلْماً بما يَؤُول إليه أَمْرُه، واستيلاء بني أُميّة على الأُمّة بعده. وأمّا محمَّدٌ فاغتنم الفرصة، فَأَمَرَهُ بأَخْذِ الثار، وحَثَّ الناسَ على متابعته، ولذا أظهر المختارُ للنَّاس أَنَّ خروجه بأمره ومال إليه، وربَّما كان يقول: إنَّه المهدي[٢] ترويجاً لأمره، وترغيباً للناس في متابعته، وأمّا أنّه اعتقد إمامته دون عليّ بن الحسين عليه السلام فلم يثبت[٣].. إلخ.

وقال ابن داود في رجاله: وأمّا نسبة الكيسانيّة إلى المختار؛ لأنَّ ذلك لقبه، وقد رُوي أنّهم نُسبوا إلى كيسان مولى عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ولو سلّمنا أنّ ذلك لقبه وأنّهم بالخروج معه سُمُّوا: كيسانيّة، فلا يلزم أن يكون هو كيسانيّاً، انتهى[٤].

وفي أثناء الترجمةِ رَدَّ مَنِ احتجَّ على كيسانيّته بما لا حُجَّة فيه من رَدِّ الإمام عليه السلام هديَّته الذي ستعرف الحال فيه إن شاء الله تعالى، وأَخذَ في تزييف النسبة

---

(١) تظلّم الزهراء عليها السلام: ٤٠٥.

(٢) سيأتي المغزى من هذه الكلمة في إطلاقاتها القديمة عن قريب إن شاء الله تعالى. (المؤلّف).

(٣) منتهى المقال ٦: ٢٤٣/ الترجمة ٢٩٥٢.

(٤) رجال ابن داود: ٢٧٨/ الترجمة ٤٩٣.

بأخبار ـ سوف نذكرها إن شاء الله تعالى ـ من النَّهي عن سبِّه، ونفي الكذب عنه، في حديث الحكم بن المختار ودعاء السّجّاد له، وحديث عقائل بيت الوحي، وأنَّها ما امتشطت... إلخ.

ثمّ قال: وما روي فيه مِمَّا ينافي ذلك. قال الكشّي: نسبته إلى وضع العامَّة أشبه[١].

وبالغ الفقيه ابن نما في الرسالة في تفنيد تلكم النسبة إليه والتنديد بمن يزعم ذلك، ويترك زيارة قبره لأجلها، وقال: نسبة الكيسانيّة إليه كنسبة الواقفيّة إلى موسى بن جعفر عليه السلام، والإسماعيليّة إلى أخيه، وغيرهم من الفرق... إلخ[٢].

وفي تنقيح المقال للعلّامة المامقاني: إنّ نسبة دعوة الناس إلى محمّد بن الحنفيّة غير محقّقة، وما ذكرهُ غير واحد من وجه تسميته بكيسان، ونسبة الكيسانيّة القائلين بإمامة محمّد بن الحنفيّة إليه مردود... إلخ، وذكر له وجهين:

١ ـ إرسال ما ذكره الكشّي في ذلك من غير حجّة عليه.

٢ ـ إنَّ مجرَّد تسميته بذلك لا تدلّ على موافقته القومَ في الاعتقاد، مع جواز أن يكون الوجه في التسمية ما مرّ عن أميرالمؤمنين عليه السلام: يا كيّس يا كيّس، أو أنّه اسم صاحب شرطته، ثمّ ذكر أنّ تلك النسبة بهتان صرف[٣].

وابن حزم الظاهري على حرصه الأكيد على تشويه سمعة الشيعة بكُلِّ ما لديه من حَوْلٍ وطَوْل، وعلى الكذب والافتراء، لم يأت في «الفِصَل» إلَّا بما هو لِدَةُ

(١) رجال ابن داود: ٢٧٧/ الترجمة ٤٩٣.

(٢) انظر ذوب النُضار: ٦١ ـ ٦٢.

(٣) انظر تنقيح المقال ٣: ٢٠٦. الطبعة الحجريّة.

ما عرفته من هؤلاء الفطاحل: من أَنَّ القومَ أصحابُ المختار[١]. على أنّه يقول قبيل ذلك: إنّ المختار من أفسقِ الفُسّاق، وأنّه كان متَّهماً في دينه، مظنوناً به الكفر[٢].

ولذلك إنّك لا تجد في كثير من المصادر الوثيقة التي ذكر فيها المذهب الكيساني إلّا أَنَّ القومَ أصحابُ المختار، من غير نصٍّ على موافقته لهم في الهوى المردي، أو أنّهم ذكروا العقيدة الكيسانيّة من غير انتماءِ معتنقيها إلى أيٍّ أَحَدٍ.

ففي «الفصول المختارة» من مقالات شيخنا المفيد لعلم الهدى المرتضى: إنّ أوّل من شذّ عن الحقّ من فرق الإماميّة الكيسانيّة، وهم أصحاب المختار... إلخ[٣]، وفي «توضيح المقال» للعلّامة الأكبر الحاج المولى علي الكَنِي الرازي ما يقرُبُ منه[٤].

وذكرهم شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في كتاب «الغَيْبة»، وآية الله العلّامة في «مناهج اليقين» والسيّد المرتضى الرازي في «تبصرة العوام»، والسيّد الجزائري في «الأنوار النعمانيّة» من دون ذكر لصاحبهم ومن يمتّون به أو ينتمون إليه.

وهذا الفاضل المعاصر محمود البشبيشي ـ المدرّس بمدرسة دار العلوم بمصر في الفِرَق الإسلاميّة المطبوعة سنة ١٣٥٠ ص٢٨ ـ بعد أن محّص الحقائق فلم يجد لنسبة القوم إلى المختار حقيقة يُؤْبَهُ بها، قال: والكيسانيّة أتباع كيسان مولى عليّ

---

(١) الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل ٢: ١٨، قال: وقالت الكيسانيّة وهم أصحاب المختار بن أبي عبيد.

(٢) الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل ٢: ١٦، قال: فما تأخّر قطّ أحد من الصحابة الذين أدركوا المختار بن عبيد والحجّاج وعبيدالله بن زياد وحبيش بن دلجة وغيرهم، عن الصلاة خلفهم، وهؤلاء أفسق الفُسَّاق، وأمّا المختار فكان مُتَّهماً في دينه مظنوناً به الكفر.

(٣) الفصول المختارة: ٢٩٦.

(٤) انظر توضيح المقال في علم الرجال: ٢١٩.

ابن أبي طالب ... إلخ، ثمّ ذكر اعتقادهم في ابن الحنفيّة، وقول الشاعر فيه، ولم يأت للمختار بأيٍّ ذكر.

نعم ذكر ابن الطقطقي في «الآداب السلطانيّة»: أنّه دعا إلى محمّد بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ...[١] إلخ. وليس هو بِنَصٍّ في الدعوى إلى إمامته، ولعلّه يريد الدعوة إلى امتثال أمره في النهضة لأخذ الثار، وهذا لا ننكره نحنُ، ولا أنَّ فيه على المختار من مَنْقَصَةٍ، وقد عرفت الوجه فيه.

ويشبه كلام ابن الطقطقي في عدم الدلالة على كيسانيّة المختار ما ذكره الكشّيّ في رجاله، حيث قال: والمختار هو الذي دعا الناس إلى محمّد بن عليّ بن أبي طالب ـ ابن الحنفيّة ـ وسُمُّوا الكيسانيّة، وهم المختاريّة، وكان لقبه كيسان، ولُقِّب بكيسان لصاحب شرطته المكنّى أبا عمرة وكان اسمه: كيسان.

وقيل: إنّه سمّي كيسان، بكيسان مولى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو الذي حَمَلَهُ على الطَّلب بدم الحسين عليه السلام، ودَلَّهُ على قَتَلَتِهِ، وكان صاحب سرّه، والغالب على أمره ...[٢] إلخ.

فالوجه فيه كما في سابقه، والدَّعْوَةُ أعمُّ من الإمامة، ولاسيّما أنّه لم يذكر فيما أسنده من الأحاديث في المختار ما يدعم احتمال الإمامة، مع أنّه ذكر ما يَنْقُصُهُ فيها. وسيأتي مع الجواب عنه إن شاء الله تعالى.

ومثل هذه الكلمات ما في «مقالات الإسلاميّين» لأبي الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري: إنّه خرج وطلب بدم الحسين بن عليّ [عليه السلام] ودعا إلى محمّد

(١) الفخري في الآداب السلطانيّة والدّول الإسلاميّة: ١٢٠.

(٢) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي) ١: ٣٤٢/ح ٢٠٤.

ابن الحنفيّة، كان يقال له: كيسان، ويقال: إنّه مولى لعليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه[١].

وفي كتاب التنبيه والإشراف للمسعودي: إنّه أظهر الدعوة إلى محمّد بن الحنفيّة ...[٢] إلخ.

فلم يبق إلَّا مصارحة أبي محمّد الحسن بن موسى النوبختي في «فرق الشيعة»: بأنّه ادَّعى الإمامة له[٣].

وأغرب منه ما نقله النسّابة العمري في «المَجْدي» عن كتاب «المقالات» لأبي عيسى الورّاق: إنّ الحيّانيّة ـ وهم أصحاب حيّان السّرّاج ـ يزعمون أنّ الإمام عليٌّ ومحمَّدٌ ابنُهُ، ولا يرون للحسن والحسين ـ عليهم السلام أجمعين ـ إمامةً.

قال: وإلى هذا ذهب المختار بن أبي عبيد وأصحابه ... إلخ[٤].

والظاهر أنّ ذلك وما يشبهه من كلمات أهل السنّة، مستنبطٌ من ظاهر حال المنتمين إليه من الكيسانيّة، الذين حَسِبُوا على غِرَّةٍ منهم أنَّ ما كان يدعو إليه المختار ـ من الجنوح إلى ابن الحنفيّة، والتَّهالك دون مبتغاه، ولزوم الإذعان بأمره حرصاً على الحصول على ضالّته المنشودة من أمر الثار ـ دعوةٌ إلى إمامته.

وإذ لم تطل أيّامُهُ ـ وقَضَى ما أُتيحت له من الفرص بين حروب وغارات، وقيادة جيوش، ومقاساة فِتنٍ ـ فلم يتسنّ له كشف السِّتار عن دعوته، بقيت تلك المزعمة بين المزدلفين إليه كحقيقة راهنة، وربَّما نسبوها إليه، ورووها عنه، حتَّى

---

(١) مقالات الإسلاميّين ١: ١٨.

(٢) التنبيه والإشراف: ٢٧٠.

(٣) انظر فرق الشيعة: ٢٣.

(٤) المَجْدي في أنساب الطالبيّين: ١٤.

تداولتها الرواة، وأثبتها المؤلّفون من غير وقوف على نفس الأمر، فانطلى ذلك حتَّى على الفطاحل.

ومن ذلك ما في «الفصول المختارة» من مقالات شيخنا المفيد: من أنّ محمّداً سُئِلَ عن ظهور المختار وادّعائه أنَّه أمَرَهُ بالخروج والطلب بثار الحسين عليه السلام، وأنَّه أمره أن يدعو الناس إلى إمامته، فأنكره وقال لهم: والله ما أمرته بذلك، لكنِّي لا أُبالي أن يأخذ بثارنا كُلُّ أحد، وما يسؤُني أن يكن المختار هو الذي يطلب بدمائنا. فاعتمد السائلون لَهُ على ذلك، وكانوا كثرة قد رحلوا إليه لهذا المعنى بعينه على ما ذكره أهل السير، فرجعوا فنصر أكثرُهُم المختارَ على الطلب بدم أبي عبدالله الحسين عليه السلام، ولم ينصروه على القول بإمامة أبي القاسم.

ومن قرأ الكتب، وعرف الآثار، وتصفّح الأخبار، وما جرى عليه أمر المختار، لم يَخْفَ عليه هذا الفَصْلُ... إلخ. ذكره في الردّ على الكيسانيّة[١].

يمضي في بعض الكتب وَصْفُ المختارِ أو أصحابِهِ ابنَ الحنفيَّة بالمهدي، فتوالت المزاعم بأنَّه يريدُ المهديَّ المنتظرَ الموعودَ ظهورُهُ في آخر الزمان بعد غيبة طويلة.

وهذا الحسبان وإن كان هو القصد في عقائد الكيسانيّة، لكنْ لم يُعْلَمْ إرادته في لفظ المختار إن صحَّ أنَّه نطق به عند الحثِّ على اتِّباعه وامتثال أمره، فلقد تكرّر في ذلك العهد وما حوله إطلاق هذا اللّفظ على أُناس لا يريدون منه إلَّا معناه الوَصْفِيّ، وهو كون الموصوف به على هداية من أمره، وبصيرة في دينه، ومن ذلك قول

---

(١) الفصول المختارة: ٣٠٠ ـ ٣٠١.

زهير بن القين حين أخذ يضرب على منكب الحسين عليه السلام ويقول في مشهد يوم الطفّ:

[من مشطور السريع]

أَقْدِمْ هُدِيتَ[١] هادِياً مَهْدِيّا فَاليومَ تَلْقَى جَدَّكَ النَّبِيّا
وحَسَناً والمُرْتَضَى عَلِيّا وَذا الجَناحَيْنِ الفَتَى الكَمِيّا
وأَسَدَ اللهِ الشَّهِيدَ الحَيَّا

ومن ذلك أنَّ التَّوَّابين ـ وفيهم الزعماء والخطباء صاغَةُ القول، وصيارفةُ النَّظْم والنَّثر وهم خمسة آلاف، وكان يرأسهم سليمان بن صرد الخزاعي شيخ الوقت، وزعيم الشيعة ـ لَمَّا وافوا قبر الحسين صلوات الله عليه، وعلا صراخهم، وارتفعت عقيرتهم بالعويل، كان من قول سليمان عند ضريحه: اللَّهمَّ ارحم حسيناً الشَّهيدَ ابنَ الشَّهيدِ، المهديَّ ابن المهديِّ، الصِّدِّيقَ ابنَ الصِّدِّيقِ ...[٢] إلخ.

ومن شعر حسّان بن ثابت يبكي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما رواه ابن هشام في «سيرته»:

[من الكامل]

مـا بـالُ عَـيْنِكَ لا تَـنامُ كأَنَّـما كُـحِلَتْ مآقِـيها بِكُـحْلِ الأَرْمَـدِ
جَزَعاً عَلى المَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثـاوِياً يا خَيْرَ من وَطِئَ الحَصَى لا تَبْعَدِ[٣]

---

(١) الرواية المعروفة في أغلب المصادر «أقدم حُسَينُ هاديا مهديّا». والنصّ المثبت ورد بهذه الرواية في مقتل الخوارزمي ٢: ١٤، وتاريخ الطبري ٤: ٣٣٦.

(٢) رواه الطبري في التاريخ [٤: ٤٥٦] عن أبي مخنف أنّه حدّث به عبدالرحمن بن جندب عن عبدالرحمن بن غزية. ورواه ابن الأثير في الكامل [٤: ١٧٨]. (المؤلّف).

(٣) السيرة النبويّة ٤: ١٠٨٢.

وفي «الإصابة» لابن حجر، في ترجمة موسى بن طلحة التيمي، بعد ما ذكر فضله، وأنّه وجه آل طلحة عن أبي حاتم: أنّه يقال له في زمنه المهديّ.

فمن الجائز أن يكون اللفظ أُخرج ذلك المخرج الدائر على الألسن، والمطَّرِد في العُرْف.

إذن فليس على المختار أيُّ حزازة في تسميته محمَّداً بالمهديّ، وهو يقصد أنّه على هداية في دينه، أو خصوص استثارته في أمر الثار على وجه لا يخرجه عن مفهوم اللَّقب.

فلم يبق من مصادر الإفك في قضيّة الكيسانيّة إلَّا ما ذكره المشوِّهون لسمعة الشيعة ورجالاتها مثل عبدالقاهر البغدادي في «الفَرْق بين الفِرَق» وفي «اختصاره»، قال: وكان أوَّلُ من قام بدعوة الكيسانيّة إلى إمامة محمَّدِ بن الحنفيَّةِ المختارَ بنَ أبي عبيد الثقفي..[1] إلخ. وله بعد ذلك كلمات متفرِّقة تؤكّد ذلك.

وقال ابن حجر الهيتمي في «الصَّواعق»: لكنّه ـ يعني المختار ـ أنبأ أخيراً عن خُبْثٍ قبيحٍ، زعم أنّه يوحى إليه، وأنّ ابن الحنفيّة هو المهديّ...[2] إلخ.

وللشهرستاني هاهنا ـ كعادته في أمثاله ـ العجائب؛ قال: إنّ المختار كان خارجيّاً، ثمّ صار زبيريّاً، ثمّ صار شيعيّاً وكيسانيّاً، قال بإمامة محمّد بن الحنفيّة بعد أميرالمؤمنين عليّ رضي الله عنهما، وقيل: لا، بل بعد الحسن والحسين رضي الله عنهما، وكان يدعو الناس إليه، ويظهر أنَّه من رجاله ودعاته، ويذكر علوماً مزخرفة بتُرَّهاته ينوطها به. ولَمَّا وقف محمّد بن الحنفيّة على ذلك تبرّأ منه

---

(١) الفَرْق بين الفِرَق: ٤٣. واختصار الفرق بين الفرق: ٤٠ ـ ٤١.

(٢) الصواعق المحرقة ٢: ٥٧٩.

خاصّة، وأظهر لأصحابه (عند العامّة براءَته ليصرف الناس عنه، ليمشّي أمره على إمارة الحسين، وليجمع أمر زين العابدين على أعداء أهل الدين)[١] وأنّه إنّما يبثّ على الخلق ذلك ليتمشّى أمره، ويجتمع الناس عليه، وإنّما انـتظم له مـا انـتظم بأمرين:

أحدهما: انتسابه إلى محمّد بن الحنفيّة عِلْماً ودعوة.

والثاني: قيامه بثار الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ واشتغاله ليلاً ونـهاراً بقتال الظَّلَمَة الذين اجتمعوا على قتل الحسين..[٢] إلخ.

وقال ابن حجر العسقلاني في ترجمة المختار من «الإصـابة»: كـان أوّل أمـر المختار أنّ ابن الزبير أرسله إلى الكوفة ليؤكّد له أمر البيعة، وولّى عبدالله بن مطيع إمرة الكوفة، فأظهر المختار أنّ ابن الزبير دعا في السِّرِّ للطلب بدم الحسين [عليه السلام]، ثمّ أراد تأكيد أمره فادَّعى أنّ محمّد بن الحنفيّة هو المهدي الذي سيخرج في آخر الزمان، وأنّه أَمَرَهُ أن يدعو الناس إلى بيعته، وزَوَّرَ على لسانه كتاباً، فدخل في طاعته جمعٌ جمّ، فتقوَّى بهم، وتَتبَّع قَتَلَة الحسين [عليه السـلام] فـقتلهم، فقوي أمره بمن يحبّ أهل البيت...[٣] إلخ.

وابن حزم في «الفصل» نصّ على أنّ المختار حام حول دعوى النّبوّة لنـفسه وقال بإمامة محمّد[٤].

---

(١) ما بين القوسين ليس في طبعتنا من الملل والنحل، لكنّ المؤلّف نقل ذلك عن «الملل والنحل» بهامش «الفصل» لابن حزم ٢: ١٥٢ ـ ١٥٣. فلينظر هناك.

(٢) الملل والنحل ١: ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٧/الترجمة ٨٥٦٧.

(٤) الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحَل ٤: ١٤١، قال: وقد حام المختار حول أن يدّعي النّبوّة لنفسه، وسجع أسجاعاً... وقال بإمامة محمّد بن الحنفيّة.

وأغرب من هذه كلّها ما في بعض التواريخ المتأخِّرة من أنَّ المختار ورد الكوفة، وسليمان بن صُرَد على أُهبة الوثوب، ودعا الناس إلى ابن الحنفيّة، وقال: إنّه الإمام دون عليّ بن الحسين [عليه السلام] لأنّه أعلم، وإلى أميرالمؤمنين [عليه السلام] أقرب، وهو أَخْبَرُ بكتاب الله، وسنّة رسوله ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ فهو الوصيّ لا عليّ بن الحسين [عليه السلام]، وأخرج إليهم كتاباً من محمَّدٍ مزوّراً فيه النَّيل من سليمان بالوهن، وأمر المختار بالنهوض... إلخ.

وكم لصاحب هذا التاريخ من فظائع لا سَلَفَ له في نقلها، ومنها هذه الأُكذوبة التي تفرَّد بتفصيلها.

كلُّ هذا هَوَسٌ وهياج لا نَأْبَهُ به، بعد ما حللنا لك الوجه في تنويه المختار بالدَّعوة إلى محمّد والإشادة بذكره، وبعد ما ثبت لدينا ـ ممّا سيوافيك إن شاء الله تعالى ـ من مدح أئمّة الهدى صلوات الله عليهم إيَّاه، وتأبينهم له، ودفاعهم عنه، ونهيهم عن النَّيْل منه، وترحُّمهم عليه، وعدّهم لمزاياه وأياديه المشكورة عندهم، ورضاهم بما فعل، وقبولهم جوائزه، إلى غيرها ممّا لا يمكن صدوره منهم في ضالٍّ في دينه، مضلّ في دعوته، وقد عُرِفَت شناشِنُهم[1] مع من يبغي عن الحقّ بدلاً ـ وإن كان ممَّن يتزلّف إليهم، ويُعَدُّ من حزبهم ـ إصحاراً بالحقّ، ودَحْضاً للأباطيل، وذلك قضيَّة منصبهم، ولازِمُ منصَّتهم، وإلَّا لكان ذلك للمُضِلِّين سبيلاً، وإغراءً بالجهل. فأيُّ شيعيّ يجد إمامه يُطْرِي امرءاً ثمّ لا يتَّخذه خليلاً؟! أو يراه يدافع عن أيِّ أحدٍ ويؤبِّنُهُ، ويصارحُ بصدق لهجته فلا يعتقد فيه الخير والصلاح؟! ولا يحسبه من دعاة الحقّ، وزعماء الحقيقة؟!

---

(١) شناشنهم: أخلاقهم وطبائعهم. والضمير يعود للأئمّة عليهم السلام.

إذَنْ فلا نُدْحَةَ لمن عرف أئمّة دينه عليهم السلام وما تقدّموا به ممّا أوعزنا إليه إلّا البخوع لجلالة المختار، ورفيع مقامه، وكبير شأنه، وأنّه لم يكن يعتنق أو يعتقد إلّا ما هو الطريقة المثلى من إمامة الإمام السجّاد سلام الله عليه.

وقد روى الفقيه ابن نما في «ذوب النُّضار» تصريحه بإمامته، فروى: أنَّ رسل الكوفة لمّا أتوا محمَّدَ بنَ الحنفيّة يَسْتَحْفُون[١] رأيه في المختار ونهضته، قال لهم: قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم عليٍّ بن الحسين عليه السلام، فلمّا دخل ودخلوا عليه أَخْبَرَهُ بخبرهم الذي جاءوا لأجله.

قال عليه السلام: «يا عَمِّ، لو أنَّ عبداً زنجيّاً تعصَّب لنا لَوَجَبَ على النَّاس مؤازرته، وقد وَلَّيْتُكَ هذا الأمر فاصنع ما شئتَ»، فخرجوا وقد سمعوا كلامه وهم يقولون: أذِنَ لنا زينُ العابدين، ومحمَّدُ بن الحنفيّة[٢].

وكان المختار علم بخروجهم إلى محمّد بن الحنفيّة، وكان يريد النهوض بجماعة الشيعة قبل قدومهم فلم يتهيَّأْ ذلك له، وكان يقول: إنَّ نَفَراً[٣] منكم تحيّروا وارتابوا، فإن هم أصابوا أقبلوا وأنابوا، وإن هم كَبَوا وهابُوا، واعترضوا وَانْجابُوا فقد خَسِرُوا وخابُوا، فدخل القادمون من عند محمّد بن الحنفيّة فقال: ما وراءكم قد فُتِنْتُم وارتَبْتُم؟! فقالوا: قد أُمِرْنا بنُصْرَتِكَ.

فقال: أنا أبو إسحاق، أجمعوا إليَّ الشيعة، فجُمِعَ من كان قريباً، فقال: يا معشر الشيعة، إنَّ نفراً أَحَبُّوا أن يعلموا مصداق ما جئتُ به، فخرجوا إلى إمامِ الهدى،

---

(١) أي يستقصون السؤال والبحث عن رأيه.

(٢) ذوب النُّضار: ٩٦ ـ ٩٧.

(٣) نُفَيْراً ـ خ ل.

والنَّجيبِ المرتضى، وابن المصطفى ـ يعني الإمام السجّاد[١] ـ فعرَّفَهُمْ أنِّي ظَهِيرُهُ ورسوله، وأَمَرَكُمْ باتّباعي وطاعتي، وقال كلاماً يرغّبهم في الطاعة والنفير[٢] معه، وأن يُعْلِمَ الحاضرُ الغائبَ.

وعرّفه قومٌ أنَّ جماعة من أشراف الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع، ومتى جاء معنا إبراهيم بن الأشتر رجونا بإذن الله تعالى القُوَّة على عدوّنا، فله عشيرة.

فقال القَوْهُ فعرِّفُوهُ الإذن لنا في الطَّلَبِ بدمِ الحسين عليه السلام وأهل بيته. فَعَرَّفُوهُ، فقال: قد أجبتكم على أن تُوَلُّوني الأَمرَ.

فقالوا له: أنت له أهل ولكن ليس إليه سبيل، فهذا المختار قد جاءنا من قِبَلِ إمام الهدى عليه السلام، ومن نائبه محمّد بن الحنفيّة، وهو المأذون له في القتال...[٣] إلخ.

ومن الأراجيز المناسبة لهذه المباحث هذه المقطوعة:

وَإِنَّ «مُختارَ» الهُدَى في المُعْتَقَدْ لَهُ سَبِيلٌ لِذُرَى الحَقِّ جَدَدْ
لا كالَّذِي إن أَمَّ نَهْجَ الدِّينِ هَمْلَجَ فِيهِ قَلِقَ الوَضِينِ[٤]
وما عَزَوا إِلَيْهِ مِنْ قَوْلٍ رَدِي رَمَى بِهِ القاذِفُ لا عَنْ سَدَدِ
لو صَدَقَتْ هَفْوَةُ أَهْلِ السِّيَرِ فِيما رَوَوْهُ مِن سَقِيمِ الخَبَرِ

---

(١) في المصدر: يعني زين العابدين عليه السلام.

(٢) إلى الطاعة والاستنفار ـ خل.

(٣) ذوب النُّضار: ٩٧ ـ ٩٨.

(٤) الوضين: بِطانٌ يُشَدُّ به الرحلُ على البعير، فإذا قَلِقَ الوضين لم يثبت البعير في سيره. وهو كناية عن الاضطراب وعدم الثبات.

بِأَنْ عَـــداهُ الرُّشْـــدِ فـــي الوَلاءِ ... يَـــومَ هَـــوَى مَشْـيَخَةَ الأَعْـداءِ
أَو أَنَّــــهُ بِـــالقَولِ والدُّعـــاءِ ... مُـــغْتَصِبٌ مَـــنَصَّةَ الإِيـــحاءِ
أَو حَسِبَ ابْـــنَ خَـــوْلَةٍ إِمـــاما ... غَـــداةَ قَـــادَ الحَشَـدَ اللُّـهاما
لَـــمّا أَتـــاهُ المَـدْحُ والتَّـرَحُّمُ ... يَتْلُوهُ إِذ أَحْفَى السُّؤالَ الحَكَمُ(١)
وَلا تَـــوالى الشُّكْـــرُ والدُّعـــاءُ ... مِـــن سَـــرَواتِ المَجْدِ والإِطْراءُ
وَلا نَـــفَوا قَـــطُّ صُـراحَ الإِفْكِ ... عَـــنْ مُـبْدِعٍ عَـنْ رُشْـدِهِ مُـنْفَكِّ
فَـــالمُتَنَبِّي كـــافِرٌ زَنْـــدِيقُ ... حَـــقَّ عَـليهِ اللَّـعْنُ والتَّـمْزِيقُ
ونَـــهْجُ كَـيْسانَ طَـرِيقُ البِـدَعِ ... لَـــيسَ لأَهْـلِ الدِّيـنِ بـالمُتَّبَعِ
ومَن هَوى أَشياخَ أَصْحابِ الهَوَى ... فَـإِنَّهُ فـي هُـوَّةِ السُّـخْطِ هَـوَى
وهْـــوَ يَـقُولُ بَـيْعَتِي لأَفْـضَلُ ... مِـــمَّا انْـتَحَى فِـيهِ الطِّـرازُ الأَوَّلُ
عَـدا الَّـتي كـانَتْ لِصِنْوِ أَحْـمَدِ ... المُـــرْتَضَى ونَـــجْلِهِ المُسَـــدَّدِ
وَمـــا لِـهٰذا القَـوْلِ مِـن مَـفادِ ... أَنْ يَـــهْوَ(٢) يَـوْماً إِمْـرَةَ الأَوْغـادِ
وَهْــــوَ بِــــغَيرِ آلِ طٰـه وعَـلِيْ ... مِن قَبْلِ يَوْمِ حُكْمِهِ لَمْ يَحْفِلِ
فكَـــمْ دَعـــا النَّـاسَ إِلى الوَلاءِ ... يُـــبْطِلُ فِـيها دَعْـوَةَ الأَعْـداءِ

---

(١) هو أبو محمّد الحكم بن المختار الثقفي، دخل على الإمام الباقر عليه السلام وسأله عن أبيه، فمدحَهُ عليه السلام وأثنى عليه. انظر الرواية كاملة في رجال الكشّي ١: ٣٤٠.

(٢) الجزم بـ«أن» من ضرائر الشعر، وذلك على حدّ قول الشاعر:

إذا ما غدونا قال ولدانُ أهلنا ... تعالوا إلى أَن يَأْتِنا الصيدُ نَحْطِبِ

ولو قال المؤلّف رحمه الله: «أن قد هَوَى لإمرة الأوغاد»، لتخلّص من هذه الضرورة.

حَـــتَّى إِذا شَـــفَّعَها بـــالفِعْلِ فَــجَدَّ عَــنْ جِــدٍّ بــهِ لا هَــزْلِ
فَــحَيِّ بــالمَجْدِ فَــتى ثَــقِيفِ وَهَـــنِّهِ بـــالشَّرَفِ المُــنِيفِ[1]

* * *

(١) الأُرجوزة من نظم شيخنا المؤلّف قدّس سرّه.

المختار والقول بالبداء

قال الشهرستاني في «المِلَل والنِّحَل»: فمن مذهب المختار أنّه يجوز البداء على الله تعالى. والبداء له معانٍ:

١ ـ البداء في العلم: وهو أن يظهر له خلاف ما علم. ولا أظنّ عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد.

٢ ـ والبداء في الإرادة: وهو أن يظهر له صوابٌ على خلاف ما أراد وحكم.

٣ ـ والبداء في الأمر: وهو أن يأمر بشيءٍ ثمّ يأمر بعده بخلاف ذلك. ومن لم يجوّز النّسخ ظَنَّ أنَّ الأوامر المختلفة في الأوقات المختلفة متناسخة.

وإنّما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء لأنّه كان يدّعي علم ما يحدث من الأحوال إمّا بوحيٍ يوحى إليه، وإمّا برسالة من قبل الإمام، فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة، فإنْ وافَقَ كونُهُ قولَهُ جعله دليلاً على صدق دعواه، وإن لم يوافق قال: قد بَدا لربّكم.

وكان لا يفرّق بين النسخ والبداء. قال: إذا جاز النسخ في الأحكام جاز البداء في الإخبار.

وقد قيل: إنّ السيّد محمّد بن الحنفيّة تبرّأ من المختار حين وصل إليه أنّه قد لبّس على الناس أنّه من دعاته ورجاله، وتبرّأ من الضّلالات التي ابتدعها

المختار من التأويلات الفاسدة، والمخاريق المموّهة...[١] إلخ.

طالما تحامل أضداد الشيعة عليهم بنسبة القول بالبداء إليهم، وعدّه ابن حزم من شنعهم، وعزاه إلى طائفة منهم، وحسبه مشهوراً عن الكيسانيّة، وفسّره بأنّ الله تعالى يريد الشيء ويعزم عليه ثمّ يبدو له فلا يفعله[٢]... إلخ.

وأمثالُ هذه من كلمات المرجفين بالشيعة كثيرةٌ لا بغيةَ لنا في ذكرها. ونحن إن عذرنا القوم على جهلهم فيما تقوله الشيعة في البداء وغيره، فلسنا نعذرهم على خطأهم في الكتابة عن عقائدهم مع جهلهم بها، أو تقويلهم عليهم بما هم عنه بُراءٌ.

أوّلاً: من يسأل الشهرستاني ومن حذا حذوه مِمَّن رمى القول على عواهنه: أَنَّكُم عمّن تروون المعاني التي ذكرتموها للبداء، ثمّ شننتم على من يقول بها الغارات؟!

أفي شريعةِ البحثِ أن تَنْحِتُوا لما تَعْزُونَهُ إلى غيركم معاني من تلقاء أنفُسكم من غير علم منكم بصحّتها، أو مع علمكم ببطلانها؟!

هذه مسألة البداء مُعَنْوَنَةٌ في كتب الإماميّة وأحاديثهم، ففي أيِّها تجدون شيئاً ممّا فسَّرتموه به؟

نعم ـ ليس البداء إلّا تفسيراً لقوله تعالى: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[٣]، وليس هو إلَّا إثبات حرّيّة الإرادة له سبحانه؛ دحراً لما يتقوّله اليهود

---

(١) الملل والنحل ١: ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٢) انظر الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل ٤: ١٣٩.

(٣) الرعد: ٣٩.

بقولهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾(١). فله سبحانه في لوح المحو والإثبات تعليلُ الأشياء، وإثبات آثارها الوضعيّة في مرحلة الاقتضاء فَحَسْبُ، كاقتضاء صلة الرحم طول العمر، وقَطْعِهِ قِصَرَهُ، والصَّدقَةِ دفعَ البلاء، إلى أضرابهما. وأنّ زيداً له ما كسبت يداه من صلة أو قطع، أو صدقة أو منع. ولعلّ مِنْ حِكَمِ هذا اللوح هو إبراز ما فيه الحثُّ على ما فيه من بِرٍّ، والتّحذير عمّا فيه من سيّئة وشرّ ببيان آثارها.

وأمّا اللوح المحفوظ المعبّر عنه بـ«أُمّ الكتاب»، فهو أسطُرُ الغايات التي لا غاية بعدها، ونتائج الأعمال الصادرة، كأنْ يصل زيدٌ رحمَهُ فيطول عمره، أو يقطعها فيقصر، وهكذا، وهذا لا تبديل له، فهو قضاء فاصل، وحُكْمٌ جازم.

فالبداء هو إظهار الله سبحانه ما خَفِيَ على الناس ممَّا أثبته في اللّوح المحفوظ لِحكْمَةٍ ارتآها في كلٍّ منهما. والظهور الأوّل ربّما يكون عن أصل مُسَلَّم عند الأُمّة، كما في قصّة إسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام، الذي وَرَدَ فيه أنّه بدا للّه في شأنه(٢)، فلقد كانت النفسيّات متطامنةً يومذاك في أمر الإمامة أنّها في الولد الأكبر ما لم تكن به عاهة.

وكان إسماعيل أكبر ولده عليه السلام من غير عاهةٍ، فانعقدت المزاعم على إمامته، فإذا أماته الله سبحانه علموا أنَّ المنصبَ الإلهيَّ لا يعدو مَنِ اختصَّه المولى به، وليس هو من الحَبْوَةِ في شيءٍ.

---

(١) المائدة: ٦٤.

(٢) ففي كمال الدين وإتمام النعمة: ٦٩ قول الإمام الصادق عليه السلام: «ما بدا للّه في شيء كما بدا له في إسماعيل ابني».

وربّما يكون لبيان آثار الأعمال من برّ وشرّ، وما هنالك من ترغيب وترهيبٍ، كما في قصّة العروس يوم أخبر عيسى عليه السلام بموتها ليلةَ زفافها، فصادف أنَّها تصدَّقت تلك الليلة، فدُفِعَ عنها البلاء، فسُئِلَ عليه السلام عنه، فقال: لعلَّكم تصدّقتم عنه(١).

وقد تكون للامتحان واختبار المكلّف، كما في قصّة إبراهيم عليه السلام وذبح ولده، فإذ خرج عن عُهدة التكليف بالإقدام الجدّيّ، أظهر سبحانه أنّه لم يرد إرادةً جدّيّة بعد ما فهم إبراهيم ذلك من أمره تعالى.

وربّما يكون من اتّصال النفوس الراقية بالعوالم العُلْوِيَّة، فيجد هنالك الشيء من دون وقوف على شَرْطِهِ، أو المانع عنه، فيخبر عنه ثمّ ينحاز عنه الشرط، أو يُقْرَنُ بالمانع فلا يقع. كذا قيل.

وليس في ذلك إغراء بالجهل بعد ما يُتَصَوَّرُ فيه من الحِكَمِ والمصالح، وإن هو إلّا كالنسخ في الأحكام، فكما أنّ المصلحة قد تقتضي أن يكون للحكم أمدٌ محدود، ثمّ يُبَدَّل بغيره ممّا توجبه الحِكْمة، فكذلك قد تقتضي أن يكون للقضاء التكوينيّ أجلٌ مسمّىً، ثمّ يُبَدَّلُ بغيره ممّا يستلزمه الصالح العام.

وقصارى ما هنالك أنّه قد تظهر العلّة أو بعضها، وربّما لا تظهر كما في النَّسْخ، غير أنَّ العلم الإجماليّ بوجودها في سائر موارد البداء ـ مع السمع المتواتر ـ لا يدع منتدحاً عن الإذعان به. ولوحُ المحو والإثبات هو الذي تمحو الشَّفاعةُ ما فيه، وتزيله الصدقة، ويدفعه الدعاء، ويستكفيه التّضرُّع والخشية.

---

(١) أمالي الصدوق: ٥٨٩ ـ ٥٩٠/ح٨١٦. وانظر الكافي ٤: ٦/ح٨، ودعائم الإسلام ٢: ٣٣٧ ـ ٣٣٨/ح١٢٦٨.

هذا هو البداء الذي تقول به الشيعة، وقد تواترت به النصوص عن أئمّة دينهم عليهم السلام، كقولهم: «ما عُبِدَ الله بشيء مثل البداء»[١]، وإنّه «ما عرف الله حقّ معرفته من لم يعرف البداء»[٢]، وإنّه «ما عُظّم الله بمثل البداء»[٣]، وإنّه «ما تنبّأَ نبيٌّ قطّ حتّى يقرَّ للّه بخمس: بالبداء، والمشيئة، والسجود، والعبوديّة، والطاعة»[٤] وإنّه «ما بعث الله نبيّاً قطُّ إلّا بتحريم الخمر وأَنْ يقرّ للّه بالبداء»[٥]... إلى غير هذه من الأحاديث الكثيرة الخارجة عن الإحصاء.

فماذا على الشيعي ـ أو خصوص المختار ـ إن قال به؟! لولا أنَّ الأحقاد تبعث بأَصحابها إلى الهملجة مع كلّ هوىً.

على أنّي لا أحسب أنّ لنسبة القول بالبداء إلى المختار ـ بأيّ معانيه ـ مَقِيلاً في ظلّ الحقيقة، فإنّ أمثال ذلك من المسائل الكلاميّة التي لم تك شائعة في الأعصر الأُوَل المتقادمة، وإن كان أميرُالمؤمنين عليه السلام قد بذر بذورَ العلم فلسفيّة وكلاميّة وفقهيّة، لكنّها لم تنتشر إلّا نجوماً وبتدرُّج رقيّ العلم وتَشَحُّذِ الأفكار، وإن كُنّا لا نأبى أن يكون المختار من البِطانة المطّلعين على الخفايا والأسرار[٦].

[وعلى تسليم القول بإحاطة المختار بأحوال البداء على ما هو عليه عند علماء الكلام، فيمكن الإجابة عن ذلك] بأنّه إنّما تظاهر بالقول بالبداء للغاية التي ذكرها،

(١) الكافي ١: ١٤٦/ح١ عن زرارة، عن أحدهما عليهما السلام.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) الكافي ١: ٤٦/ ضمن الحديث ١ عن هشام بن سالم، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٤) الكافي ١: ١٤٨/ح١٣ عن مرازم بن حكيم، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٥) الكافي ١: ١٤٨/ح١٥ عن الريّان بن الصّلت، عن الإمام الرضا عليه السلام.

(٦) إلى هنا في كتاب المختار، والباقي في أوراق أُخرى يظهر أنّها متّصلة بالموضوع.

فلعلّه قال به لمَّا ساعده عليه البرهان، وما أُنْهِيَ إليه من أئمّة دينه، كما أنّه لا يسع الرجل[١] إثبات ما ادّعاه من أنّه كان يدّعي علم ما يحدث من الأحوال إمّا بوحي يوحى إليه، أو برسالة من قبل الإمام... إلخ، فقد أسلفنا أنّ نسبة التنبُّؤ إليه أُكذُوبة لا عبرة بها.

وأمّا ادّعاء الرسالة من قبل الإمام في إخباره بالمغيَّبات لو صحّ، فأيُّ حزازة فيه؟! فهو إذن كأحد الرواة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أو الأئمّة عليهم السلام، إذا روى عنهم شيئاً من الملاحم والفتن وغيرهما.

غير أنّ الكلام يقعُ في الإمام الذي روى عنه، أهو محمّد بن الحنفيّة؟ وقد أسلفنا أنّه لم يكن يذعن بإمامته ولم يثبت عنه ما قذفوه به، أم الإمام السجّاد ومَنْ قَبْلَهُ من أئمّة الهدى سلام الله عليهم؟ وهذا نفسُ الحقيقة، وعينُ الصواب، فإذا أدَّى عنهم أو عن أحدهم رسالةً أو إذْناً أو نيابةً فهو يتبعُ ثقةَ المُدَّعي وضعفه، لكنَّ المختارَ صدوقٌ في لهجته، وإنّ نهضته كانت بدافع دينيٍّ، ورضاً من إمامِ عصره، وتحبيذاً منه كما سبق كلّ ذلك منّا بأوفى بيان.

على أنّ في ترديد الشهرستاني ـ من مبدأ إخباره عن الحوادث بوحيٍ يوحى إليه، أو برسالةٍ من قبل الإمام ـ من التهافت البيِّن ما لا يخفى؛ إذ لا جامع بين النّبوّة والنيابة عن الإمام، ومدّعي الأُولى لا يتنازل إلى الثانية، وصاحبُ الدعوة الأخيرة لا يسعه دعوى النُّبوَّة، لكنَّ العصبيّة أعشت بصر الشهرستاني فطفق يقذف من حيث لا يشعر، ويَهْرِف[٢] بما لا يعرف.

---

(١) أي الشهرستاني صاحب الملل والنحل.

(٢) يَهْرِف: يَهْذر.

وأمّا براءةُ ابن الحنفيّة منه ومن دعواه، فحديث إفك يضادّه التاريخ الصحيح، والثابتُ من نبأ أَيَّامِهِ هو رضا محمّد عنه، ودعاؤه له، وشكره على عمله، وحضّه وتحريضه له على الجدّ في اجتياح جراثيم الضَّلال، واستئصال جذوم الإلحاد.

وأمّا حديث الكرسي(١) وما لفّقه حوله، فلم يأخذه من حديث صحيح، أو تاريخ حازَ ثقةً في نقله، أو أيّ مصدر يُؤْبَهُ به، لكنّه سرده كحقيقةٍ، وذلكَ شأنُهُ فيمن فاتَهُ التَّوثُّبُ عليه فتداركه بقذائفِ الطَّعن.

ومثله حديث الحَمامات البيض(٢)، على أنّ مثل هذه التَّنبُّؤات قد تكون عند بعض الخواصّ بتلقٍّ من نبيٍّ أو إمام، أو ممّن آتاه اللهُ علم ذلك بأيٍّ سبب من الأسباب، أو بكهانة أو علم مخصوص.

وقد كان جماعة من أصحاب أميرالمؤمنين صلوات الله عليه تعلّموا منه «علم المنايا والبلايا»، مثل كميل بن زياد، ورُشَيد الهجري، وحبيب بن مظاهر الأسدي. وقد ذكر الشهرستاني نفسه بُعَيدَ كلامه هذا: أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام أخبر محمّد بن الحنفيّة عن أحوال الملاحم، وأطلعه على مدارج المعالم...(٣) إلخ.

وهذا حذيفة بن اليمان(٤) كان يعرف سمات المنافقين ببركة النّبيّ الأعظم

(١) حيث قال الشهرستاني في الملل والنحل ١: ١٤٩ بعد كلامه في البداء: فمن مخاريقه [أي مخاريق المختار] أنّه كان عنده كرسيّ قديم غشّاه بالديباج وزيّنه بأنواع الزينة، وقال: هذا من ذخائر أميرالمؤمنين عليّ كرّم الله وجهه، وهو عندنا بمنزلة التابوت لبني إسرائيل.

(٢) حيث قال في ١: ١٤٩ وحديث الحمامات البيض التي ظهرت في الهواء ـ وقد أخبرهم قبل ذلك بأنّ الملائكة تنزل على صورة الحمامات البيض ـ معروفٌ.

(٣) الملل والنحل ١: ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٤) المعروف في كتب السير وأسماء الصحابة من الفريقين: أنّ الذي اختصّه رسول الله ـ صلّى الله

صلّى الله عليه وآله وسلّم، إلى غير هؤلاء ممّن استقوا من عيون صافية، وأرووا من معينها.

أفترى لو أخبر واحدٌ بشيء ممّا عنده، يُشَنُّ عليه الغارات لمجرَّد فضله الظاهر، أو أنّه يُقذف بأنّه متنبّئ، فيكفّر بلا موجب لذلك، أو يقال له: شاعر أو مجنون، وما هنالك من دعاية باطلة أو رعونة بادية ؟! بل الواجب أن يقال: إنّه أخذ بنواميس الدين، وحَزْمٍ في سداد وتمكين.

وليتَ شعري لم لا يَجُرُّون تلكم الويلات على مَنْ يَدَّعي منهم مقاماً هو دونه، أو يُدَّعى له ذلك، ويُرْوى عنه التَّنبُّؤُ بحوادث لا تكاد تنطبق على المنطق ؟! فتراهم يذكرون ذلك كلّه في المشايخ من غير نكير.

راجع تراجم عبدالقادر الجيلاني[(١)]، والسيّد أحمد الرفاعي[(٢)]، والسيّد أحمد البدوي[(٣)]، والسيّد إبراهيم الدسوقي[(٤)] ـ الأقطاب الأربعة ـ والشيخ أبي الحسن الشاذلي[(٥)] القطب الغوث، إلى غيرهم، فهنالك أحشادٌ من الغيب، وكراديسُ من الدَّعاوي، وزُرافات من الخوارق، واتّصالات بالمبدأ الأعلى، وهذه دعاوى محيي الدين بن العربي الباهضة، ومقاماته المدّعاة الكبرى، يمرُّ القوم بها كراما!!

عليه وآله وسلّم ـ بمعرفة أسماء المنافقين هو حذيفة بن اليمان العبسي ـ رضوان الله عليه ـ وتؤثَرُ عنه في ذلك أخبار مستطرفة مذكورة في مظانّها، فليراجع مثل رجال بحر العلوم ٢: ١٦٢، والإصابة في تمييز الصحابة ٢: ٤٠/ الترجمة ١٦٥١.

(١) انظر جامع كرامات الأولياء ٢: ٨٩ ـ ٩٤.

(٢) انظر جامع كرامات الأولياء ١: ٢٩٥ ـ ٢٩٨.

(٣) انظر جامع كرامات الأولياء ١: ٣١٧ ـ ٣٢٠.

(٤) انظر جامع كرامات الأولياء ١: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٥) هوأبوالحسن الشاذلي، عليّ بن عبدالله بن عبدالجبّار. انظر جامع كرامات الأولياء ٢: ١٧٥ ـ ١٧٧.

نعم، لو كان هؤلاء من رجال الشيعة لعَكَّروا عليهم الصَّفْوَ، وأقلقوا لهم السلامَ، ولَشَحَنُوا الفضاء صَخَباً وطَنِيناً «شِنْشِنَةٌ أعرفُها من أَخْزَمِ»(١).

فهل المختار ببدع من هؤلاء إذا ادَّعى شيئاً لا يصادم المعقول؟ وقد بانَ صِدْقُهُ كما مرّ في هذه الرسالة ثمّ يقع الأمر على ما أخبر. وماذا ينقم منه لو كان سمع من أميرالمؤمنين ووُلده عليهم السلام شيئاً في أمر الحَمامات البيض، أو الملاحم والفتن، فأخبر بها كما سمع؟!

وقوله: والأسجاع التي أَلَّفها أَبْرَدَ تأليفٍ مشهورةٌ...(٢) إلخ.

حبّذا لو كان الرَّجل فَنِّيّاً فيما يقول، ويأتي فيما يلفّقه بنقد نزيه يمثّل برودة تلكم الأسجاع، لكنّه «حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ منها»(٣).

[من الوافر]

إذا ما فُصِّلَتْ عَلْيا قُرَيْشٍ فَلا في العِيرِ أَنْتَ ولا النَّفِيرِ(٤)

وإن تعجب فعجب أنَّ شهرستانيّاً ينتقد عربيّاً صميماً في فصاحته! وهو ذلك الخطيب المِدْرَه(٥) والمِصْقَع(٦) المُفَوَّه، وقد عرفنا خُطَبَهُ وأَسجاعَهُ، ووقفنا على

---

(١) مَثَلٌ من أمثال العرب، انظره في المستقصى في أمثال العرب ٢: ١٣٤/ المثل ٤٦٣. يُضرب في سجيّة السُّوء القديمة المُتَأَصِّلة.

(٢) الملل والنحل ١: ١٤٩.

(٣) مثل من أمثال العرب، يضرب لمن ينتَحِلُ نسباً أو فَضْلاً. انظر المستقصى في أمثال العرب ٢: ٨/ المثل ٢٤٦.

(٤) البيت من شعر للبحتري يردّ به على عليّ بن الجهم في هجائه أميرالمؤمنين عليه السلام. وروايته المعروفة: «إذا ما حُصِّلَتْ». انظر شرح النهج الحديدي ٣: ١٢٢ ـ ١٢٣.

(٥) المِدْرَه: المقدَّم في اللّسان والكلام والمتكلّم عن قومه.

(٦) المِصْقَع: البليغ الماهر في خطبته.

كَلِمِهِ وولائدِ قلمه، ومرّ بك جملة منها، فلم نرها إلَّا على نسيجِ غيره من خطباءِ تلكُمُ العصور إنْ لم تزد على كثيرٍ منها بأنّ عليها رونقاً وبهاءً، مَزَجَ فيهما فصاحةَ المنطقبلوائح الإيمان، وطلاقةَ اللسان بشجاعة في الجنان، فهي على انسجامها الموصوف تَنُمُّ عن نفسيّات القائل وعقليّاته بمجاليها الحَسَنة ومُحيَّاها الوضّاح، فهي كما لا تَعدوها فصاحةُ الألفاظ، لم تَفُتْها بلاغةُ المعاني والنَّسجُ البديع الفائق الرائق يومذاك. فدع الشهرستاني وهوساته.

ثمّ إنّا أَوقفناك فيما سبق على الوجه في التنويه باسم محمّد بن الحنفيّة وإسناد الدعوة إليه، فلا تغترَّ بما يطمح إليه الشهرستاني في قوله: وإنَّما حَمَلَهُ على الانتساب[1]... إلخ، من أنّه كان توطئةً لتدعيم ملكه، وتمهيداً لإحكام سلطانه، والحقيقةُ لا تتبعُ وَرَطاتِ المتهوِّسِين.

---

(١) الملل والنِّحل ١: ١٤٩، وتمام كلامه: وإنّما حمله على الانتساب لمحمّد بن الحنفيّة حُسن اعتقاد الناس فيه، وامتلاء القلوب بمحبّته ...

المختار صدوق في لهجته

من النِّسَب المُتَقَوَّلَة على شيخ الثار، المطَّرِدة على أَلسنة القوم: الكِذْب الشَّائن، ولقد استرسلوا في ذلك تلك الصِّفة مع ذكره حتَّى عاد كَلَقَبٍ له، فلا تجد في الأكثر له ذكراً إلَّا ومعه «الكَذَّاب»، وهو أمر دُبِّرَ بلَيْلٍ، يوم كانت زبائن النزعة الأُمويّة وهي بين ناب المختار ومخلبه، وبعد أن طوى الدَّهرُ أيَّامَهُ كانت تغلي عليه مراجِلُهُم، تضع وتلفّق كلَّ ما يُسْقِطُ مروءة الرجل، ويمسّ كرامته، وينال من عرضه، وتعمل كلّ ما يوشك أن يعرقلَ مسعاه ويَفُتَّ في عضده، وللقوم شاهد على دعواهم لعلّه ينطلي لدى الرَّعْرَعَة[1] الدَّهْماء، وقد أسلفناه فيما تقدَّم من أنّه لَمَّا استتبّ له الأمر قرّب أبناء العجم، وفرض لهم ولأولادهم الأُعْطِيات، فَبَهَضَ ذلك المستكبرين، فتألَّبَتْ عليه القبائل وأشرافهم، وقالوا: هذا كذّاب يزعم أنّه يوالي بني هاشم، ويقرّب الموالي. فعاتبوه على ذلك فلم يُعْتِبْهُمْ، وذكر طاعةَ القوم ووفاءَهم، وأنَّهم قُوّامُ أمره وبهم قيام إمرته. فلم تزل تلكم الفرية ولها دَوْرٌ مهمٌّ بين مَن يبغي للمختار الغوائل، ويروم إبعاد العرب عنه، وتَرْقُصُ لِما هنالِكَ

---

(١) الرَّعْرَعة: اضطراب الماء على وجه الأرض، والمراد الناس الحمقى الذين لا عقل لهم، لأنّ العاقل يوصف بالتثبّت والتّماسك، والأحمقُ بضدّ ذلك.

من مُكاءٍ وتَصْدِيَةٍ[١] زبائنُ الأمويّين من جانب، وقَتَلَةُ السِّبط الشهيد ـ عليه السلام ـ بالكوفة من جانب آخر، ويأتيهم مَدَدٌ من صَخَب الزُّبيريّين بالحِجاز أحياناً، يومَ خسروا نَصْرَ المختار لعميدهم المأمول عندهم، منذ مَنَّاهم به وهو بالحجاز يوم ضاقت به الدار بالكوفة، فتسلّل إلى ا بن الزُّبيرْ منتهزاً فرصة مُناوَأَتِهِ للأُمـويّين، وكان يراها من واجبه الديني ريثما تُتاح له الفُرَص، وفي تلكم الظروف المحدودة لم يَأْلُ جُهْداً في الوقيعة فيهم والنَّيل منهم.

على أنَّه كان مختبِراً له، ولِما قد يبدر إليه وينوّه به من الاستثارة لطلب ثارات الحسين عليه السلام، فلَعَلَّه يجد عنده بُغْيَته، فإذ وجده خاوِيَ الوِطاب[٢] عمَّا قد يُظْهِرُهُ من ذلك، وعَرَفَ نواياه وأنّه لم ينصب ذلك إلَّا فخّاً لاصطياد الشيعة ـ وإلَّا فهو عثمانيّ الرأي، فلا يتّفق مع المختار العلويّ في نزعته وهواه ـ فبارحه على حَزْمٍ ورَوِيَّةٍ، وَوَعَدَهُ مُؤازرةَ ابنِ مطيع والِيهِ على الكوفة لِيَأْمَنَ بذلك شرَّه، حتَّى خرج من عنده، ومضى إلى واجبه الديني قُدُماً، فلم يَسَعِ القوم إلَّا أن يـرشقوه بمثل هذه النِّسَب المائِنة لتضعيف ثقةِ العامّة به وانفضاضهم عنه، فـعادت هـذه النِّسْبَة المفتعلة تَلُوكُها أَشْداقُ قومٍ، وتَدُورُ بين لَهَواتِ آخرين، واتَّخذتها الساسة مكيدة وأخذها الأَغْرار من الناس عنهم كأوثق الحديث.

وإلى القارئ كَشْفاً بالنصوص التي اتَّهَمَ أَصحابُها المختارَ بالكذب:

---

(١) قال تعالى في الآية ٣٥ من سورة الأنفال: ﴿ **وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَـاءً وَتَـصْدِيَةً** ﴾، والمُكاء: الصَّفير، والتصدية: التصفيق باليدين.

(٢) الوِطاب: جمع الوَطب، وهو سقاء اللَّبن. وخُلُوُّهُ وخواؤُهُ كناية عن فراغ الرَّجل وخُلُوِّه ممّا يغني ويُسْمن.

[الشّعبيّ ورميه المختار بالكذب]

روى أبو حنيفة الدينوري في «الأخبار الطوال» أنّه قال للمختار نصحاؤه: عليكَ بإبراهيم بن الأَشْتر فاسْتَمِلْهُ إليك، فإنّه مَتَى شايعك على أمرٍ ظفرت به، وقضيت حاجتك.

فأرسلَ المختارُ إلى جماعةٍ من أصحابه، فدخلوا عليه، وبيده صحيفة مختومة بالرَّصاص.

فقال الشعبي: وكنتُ فيمن دخل عليه، فرأيتُ الرَّصاص أبيض يلوح، فظننت أنَّه إنَّما خُتِمَ من اللَّيْل.

فقال لنا: انطلقوا بنا حتَّى نأتي إبراهيم بن الأشتر.

قال: فمضينا معه، وكنت أنا ويزيد بن أنس الأسدي، وأحمر بن سليط، وعبدالله بن كامل، وأبو عمرة كيسان ـ مولى بجيلة ـ الذي يقول الناس: «قَدْ جاوَرَهُ أَبُو عَمْرَة»، وكان من بعد ذلك على شُرَط المختار.

قال الشعبي: فأتينا إبراهيم بن الأشتر وهو جالس في صحن داره، فسلَّمنا عليه، فتناول يد المختار فأجلسه معه على مقعدةٍ كان عليها، وتكلّم المختار وكان مُفَوَّهاً، فحمد الله وأثنى عليه، وأثنى على النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، ثمّ قال: إنّ الله قد أكرمك وأكرم أباك من قبلك بموالاة بني هاشم ونُصْرتهم، ومعرفة فضلهم، وما أوجب الله من حقّهم، وقد كَتَبَ إليكَ مُحمَّد بن عليٍّ بن أبي طالب ـ يعني ابن الحنفيّة ـ هذا الكتاب بحضرة هؤلاء النّفر الذين معي.

فقال القوم جميعاً: نشهدُ أنَّ هذا كتابه رأيناه حينَ كتبه. ثمّ ناوله ففتحه، وقرأه، فإذا فيه: من محمّد بن عليٍّ إلى إبراهيم بن الأشتر: أمّا بعد، فإنّ المختار بن

أبي عبيد على الطَّلَبِ بدم الحسين، فساعِدْهُ في ذلك وآزِرْهُ يُثِبْكَ الله ثوابَ الدُّنيا وحسن ثواب الآخرة.

فلمّا قرأ إبراهيمُ بنُ الأشتر الكتابَ قال للمختار: سمعاً وطاعة لمحمَّد بن عليٍّ، فقل ما بدا لكَ وادْعُ إلى ما شِئْتَ.

فقال المختار: أَتأتينا أو نأتيك في أمرنا؟

فقال إبراهيم: بل أنا آتيك كُلَّ يومٍ إلى منزلك.

قال الشعبيّ: فكان إبراهيم بن الأشتر يركب إلى المختار كُلَّ يوم في نفرٍ من مواليه وخدمه.

قال الشعبيّ: ودخلتني وَحْشَةٌ من شهادة النَّفَر الَّذين كانوا معي على أنَّهم رأوا محمّد بن الحنفيّة حين كتب ذلك الكتاب إلى إبراهيم بن الأشتر، فأتيتهم في منازلهم رجلاً رجلاً، فقلت: هل رأيتَ محمّد بن الحنفيّة حين كتب ذلك الكتاب؟ فكُلٌّ يقول: نعم، وما أَنْكَرْتَ من ذلك؟ فقلتُ في نفسي: إنْ لم أَسْتَعْمِلها من العجمي - يعني أبا عمرة - لم أطمع فيها من غيره. فأتيته في منزله فقلت: ما أخوفني من عاقبة أمرنا هذا أن ينصب الناس جميعاً لنا، فهل شهدت محمّد بن الحنفيّة حين كتب ذلك الكتاب؟ قال: ما شهدتُهُ حين كتبه، غير أنَّ أبا إسحاق - يعني المختار - عندنا ثقة، وقد أتانا بعلامات من ابن الحنفيّة فصدّقناه.

قال الشعبي: فعرفتُ عند ذلك كذب المختار وتمويهه، فخرجتُ من الكوفة حتَّى لحقت بالحجاز ولم أشهد من تلك المشاهد شيئاً[1]... إلخ.

هذا كلّ ما كان في عُلْبَةِ الشّعبي من غَدْرٍ ومكرٍ على العلويّين في الرأي،

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٨٨ - ٢٩٠.

ونِعْمَتِ الخطَّةُ هي لمن يقصد قصدَهُ من الالتحاق بالحجاز والتزلّف إلى عاهل بلادها ابن الزبير الذي كان يَعُدُّ أمثال ذلك من أَنْفَسِ الذّخائر عنده، وأَزلف الأشياء لديه، ويراه من وسائل التّنكيل بعدوّه، وطرق تخذيل الناس عنه، ولم يفتأ عند بطانته وفي بلاطه من ذلك جَلَبَةٌ ولَغَطٌ.

فالشعبي الحازم في دهائه لم يَعْدُهُ الصَّوابُ في تلفيق هاتيك الفرية في طَلاءٍ مُبَهْرَجٍ، وهو يريد ما يريده من الركون إلى دَعَةٍ في حاضرة يملكها ابن الزبير، والانحياز عمّا في العراق مع مَعامِعَ وأَهوالٍ.

على أنّ العداء المحتدم بين الشعبيّ والمختار، والإحن المتقادمة بينهما، لا يدعان مَنْ لا حريجَة له من التّقوى إلّا أن يقول مثل ذلك في حقّ صاحبه.

قال ابن الأثير في «أُسد الغابة»: كانَ بينهما ـ أي بين المختار والشعبي ـ ما يوجب أن لا يُسْمَعُ كلامُ أحدهما في الآخر[١].

لكن هذه الكلمة غاظت ابن حجر في «الإصابة»، فلم يُصِبْ إذ ذكر أنّها ليست بصحيحة، فإنّ الشعبي لم ينفرد بما حكاه عن المختار، والشعبي مجمعٌ على ثقته، والمختار بالعكس...[٢] إلخ.

واستشهد لعدم انفراد الشعبي فيما يتقوّله فيه بما مرّ من إسناد ادّعاء المختارِ النُّبُوَّةَ إلى جماعة من أهل البيت عليهم السلام، وما سلف أيضاً من حديث رفاعة، وقصّة الوسادة، وقد أثبتنا فيما مرّ أنّهما من الأكاذيب الّتي ما كساها الاعتبارُ

(١) أُسد الغابة في معرفة الصحابة ٤: ٣٣٦.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٦/ الترجمة ٨٥٦٧.

مطارِفَ الثِّقة منذ إيلادها، ولن يكسُوهَا ولو بعد لَأْيٍ(١) من عُمْرِها أبداً.

وذكر ابن حجر أيضاً من الشواهد على ذلك ما سنثبته من خبر أسماء بنت أبي بكر، وستقف على رَحْضِ معرّته إن شاء الله تعالى.

إذن فلم يبق إلَّا المختار وما يفتريه الشعبي بمفرده عليه، والحَكَمُ فيه هو ابن الأثير الذي أثبت الحقيقة عاريةً عن أيِّ عصبيّة، لا ابن حجر الذي شَدَّ حيازيمه للنَّيل من شيخ الثار في أوَّل ما أخذ يَخُطُّ ترجمته، ولم يُفْرِغْها في قالب التأليف إلَّا وقد سبقت له نوايا سيّئة في الرَّجُلِ شَأْنَ المتهجِّم الحاقِد.

وما عسى أن يجديه الإجماع على ثقة الشعبي ـ على فرض حُصُوله ـ بعد ما نراه أنّه يُحبُّ إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا في هذا الحديث وغيره، ويبغي الوقيعة فيمن قَيَّضَهُ الله سبحانه نقمةً على أعدائه، قَتَلَةِ أولادِ النَّبيِّين. وليتَ الرَّجُل درى ـ وهو يدري ـ أنّه إذا خَذَّل النَّاسَ عن المختارِ فإلى أيِّ دعوة يؤلِّبهم؟

أإلى الشجرة الملعونة بالشام؟ أم إلى الضَّلالِ القاسي السائدِ في الحجاز؟ أم إلى ثورات الخوارج في عرض البلاد وطولها؟

أنا جُهَيْنَةُ هذا النبأ: كان يؤلّبهم إلى كلتا الحسنيين في حُسْبانه، إلى ما يتسنّى له أن يملأ به أكراشاً جُوفاً، وأن ينفضَّ الملأُ عن أيِّ دعوةٍ علويّة كان المختار يهتف بها على الأعواد، وعلى رؤوس الأَشْهاد، وكانت هي عنوان إمرته ودعامة سلطانه.

لكنَّ الشعبي كان من أقوام حِناقٍ على الوصيِّ ـ عليه السلام ـ وشيعته، يَبْهَضُهُ كُلُّ هتّافٍ به وبهم، وقد عرف أنَّ تنقيبه هذا يوصله إلى ضالّتيه معاً؛ لِما عَرَفْتَهُ من قيمة تلك الرُّقْيَةِ لدى ابن الزبير، ومن هواه العثمانيّ المضادّ لكلّ علويّ وهواه،

---

(١) أي بعد جهد ومشقّة.

فمن هنا وهنا غادر الشعبي العراق، وطَفِقَ يحدُوهُ الجَشَعُ المُنَهِّمُ، والعصبيّةُ العمياء، إلى جهة الحجاز.

ولم يك هذا التزلّف إلى ابن الزبيرِ ارتجالاً منه، فلقد كانت له فيه سابقة؛ لأنّه كان كاتِبَ عبدالله بن مطيع العدويّ، وعبدالله بن يزيد الخطميّ ـ عامِلَي عبدالله بن الزبير على الكوفة[1] ـ ولذلك كانَ ما ذكره الخطيب في «تاريخ بغداد» من أنّه خافَ مِنَ المختار فخرج إلى المدائن، فنزلها مدّة ثمّ عاد إلى الكوفة[2].

قلت: ولعلّ نزوله المدائن كانَ قُبَيْلَ انسلاله إلى الحجاز، وكان عَوْدُهُ إلى الكوفة للتهيُّؤ لمغادرتها. وإن كان الشعبي نَحَتَ لمُبارَحَةِ الكوفةِ وجهاً آخر ذكره الخطيب أيضاً بإسناده إليه.

قال: أخرج إلينا المختار صحيفةً، فقال: جاءتني هذه البارحة من عليّ [عليه السلام] قال: فتركناه وخرجنا إلى المدائن[3].

فهو إذَنْ من زبانية الزبيريّين، يتَحَذْلَقُ بما يَسُرُّهم، وإذ لم تَطُل أيّامُهُم اتّصل بالأمويّين، وطفق يلحَسُ قِصاعَهُم، فكان مُعَلِّماً لولد عبدالملك بن مروان، وكان رَدْحاً من الزمن سَمِيراً للحجّاج[4].

ومن قصّه التحاقه بالقوم ما ذكره ابن عبد ربّه في «العقد الفريد» قال: كتب عبدالملك بن مروان إلى الحجّاج بن يوسف: أنِ ابعث إليَّ رجلاً يصلح للدين والدنيا أتّخذه سميراً وجليساً وخليّاً.

---

(١) ذكره ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» ١: ١٢٧.

(٢) تاريخ بغداد ١٢: ٢٢٢/ ترجمة عامر الشعبي برقم ٦٦٨٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٢: ٢٢٢/ ترجمة عامر الشعبي برقم ٦٦٨٠.

(٤) الفصول المختارة: ٢١٦.

فقال الحجّاج: ماله إلَّا عامر الشعبي. وبعث به إليه، فلمّا دخل عليه وجده قدكبا مُهْتماً، فقال: ما بال أميرالمؤمنين؟ قال: ذكرت قول زهير[(١)]:

[من الطويل]

كأَنِّي وقَدْ جاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَّةً[(٢)] خَـلَعْتُ بـها عَـنِّي عِذارَ لِجامِي
رَمَتْني بَناتُ الدَّهْرِ مِن حَيْثُ لا أَرَى فكَيْفَ بِمَن يُرْمَى ولَيْسَ بِرامِي
فَـلَو أَنَّـني أُرْمَـى بِـنَبْلٍ رَأَيْـتُها ولٰكِـنَّني أُرْمَـى بِـغَيْرِ سِـهامِ
عَلى الرَّاحَتَينِ تـارةً وعَلَى العَـصا أَنُـوءُ ثَـلاثاً بَـعْدَهُنَّ قِـيامِي

قال له الشعبي: وليس كذلك يا أميرالمؤمنين، ولكن كما قال لبيد بن ربيعة[(٣)] وقد بلغ سبعين حجّة:

[من الطويل]

كأَنِّي وقد جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَّةً خَلَعْتُ بِـها عَـنْ مَـنْكِبَيَّ رِدائِـيا

ولمَّا بلغ سبعاً وسبعين سنة قال[(٤)]:

[من البسيط]

باتَتْ تَشَكَّى إلَيَّ النَّفْسُ مُوهَنَةً وقَد حَمَلْتُكِ سَبْعاً بَعْدَ سَبْعِينا
فَإن تُـزادِي ثَـلاثاً تَـبْلُغِي أَمَـلاً وَفــي الثَّـلاثِ وَفـاءٌ لـلثَّمانِينا

---

(١) لم أقف عليه في شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ط دار الكتب المصريّة، وإنّما هو لعمرو بن قَميئة. انظر ملحق ديوان عمرو بن قميئة: ٨٥.

(٢) الحِجَّة: السَّنَة، لأنّ الحجّ يقضى كلّ سنة.

(٣) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ٣٥٢، بتحقيق إحسان عبّاس.

(٤) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ٣٦١، بتحقيق إحسان عبّاس. وفيه: «باتت تشكي إلَيَّ الموت مُجهِشَةً».

ولمّا بلغ تسعين سنة قال(١):

[من الكامل]

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الحَياةِ وطُولِها وسُؤالِ هٰذا النّاسِ: كيفَ لَبِيدُ؟

ولمّا بلغ عشراً ومائة قال(٢):

[من الطويل]

أَلَيْسَ وَرائي إن تَراخَتْ مَنِيَّتي لُزُومُ العَصا تُحْنَى عَلَيْها الأَضالِعُ

أُخَبِّرُ أَخْبارَ القُرُونِ الَّتي مَضَتْ أَنُوءُ كَأَنِّي كُلَّما قُمْتُ راكِعُ

ولمّا بلغ ثلاثين ومائة وحضرته الوفاة قال(٣):

[من الطويل]

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَن يَعِيشُ أَبُوهُما وهَل أَنا إلّا مِن رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرْ

فَقُوما فَقُولا بالَّذِي تَعْلَمانِهِ ولا تَخْمِشا وَجْهاً ولا تَحْلِقا شَعَرْ

وَقُولا: هُوَ المَرْءُ الَّذي لا صَدِيقَهُ أَضاعَ وَلا خانَ الخَلِيلَ ولا غَدَرْ

إِلى سَنَةٍ ثُمَّ السَّلامُ عَلَيْكُما ومَن يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ

قال الشعبي: فلقد رأيت السرورَ في وجه عبدالملك طمعاً أن يعيشها، انتهى(٤).

---

(١) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ٣٥، بتحقيق إحسان عبّاس.

(٢) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ١٧٠، بتحقيق إحسان عبّاس.

(٣) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ٢١٥ ـ ٢١٦، بتحقيق إحسان عبّاس. وفيه: «فقوما وقولا بالذي قد علمتما». وفيه: «وقولا هو المَرْءُ الذي لا خليله أضاع ولا خان الصديق ولا غدر». وفيه: «إلى الحول ثمّ اسمُ السلام عليكما».

(٤) العقد الفريد ١: ٣٢٦ ـ ٣٢٧.

وأنت إذا دافعت تحليلَ هذه القصّة إلى حاكم الحِجَى، أبان لك بفاصل بيانه: أنَّ مَن يختاره الحجّاج ويرتضيه للدين والدنيا أي رجل يكون؟!

نعم يجب عليه قبل كلّ شيء أن ينصبَ العداءَ لأهل بيت الوحي وينالَ منهم، ويقعَ فيهم بالمُحْفِظاتِ[1]، ويبهَتَهُم وشيعتهم بما يسرّ به رجل السوء والفحشاء؛ الحجّاج بن يوسف.

وقد بلغ الشعبي الشَّأْو الأقصى من ذلك، حتّى اتّخذه سميراً ونديماً له، وكان عنده في عيشة راضية.

روى الذهبي في «تذكرة الحفّاظ»: عن جابر بن نوح الحماني، عن مجالد، عن الشعبي، قال: قدم الحجّاج وسألني عن أشياء فوجدني بها عارفاً، فجعلني عَرِيفاً على قومي، ومَنْكِباً[2] على جميع هَمْدان، وفرض لي. فلم أزل عنده بأحسن منزلة حتّى كان ابنُ الأشعث، فأتاني قُرّاء أهل الكوفة فقالوا: إنَّك زعيمُ القُـرّاء، فلم يزالوا حتّى خرجتُ[3]، فقمت بين الصَّفَّيْنِ أَعيبُ الحجَّاج، فبلغني أنّه قال: ألا تعجبون من هذا الشعبي الخبيث! لئن أمكنني الله منه لأجعلنَّ الدنيا عليه أضيق من مَسْك[4] جمل. فما لبث أن هُزِمْنا، فجئتُ وأغلقتُ بابي، فمكثتُ تسعةَ أشهر، فنُدِبَ الناس لخراسانَ، فقام قتيبة بن مسلم فقال: أنا لها. فعُقِدَ له، فنادى مناديه: مَن لحق بعسكر قتيبة فهو آمن. فاشترى مولىً لي حماراً وزوّدني،

---

(١) المُحْفِظات: المُغيظات والمُغْضِبات.

(٢) المَنْكِب: عَوْنُ العريف.

(٣) وهذه القصّة هي وقعة دير الجماجم الكائنة سنة ٨٣، وتفصيلها مذكور في تاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير وغيرهما. (المؤلّف).

(٤) المَسْك: الجِلْد.

وخرجت فلم أزل مع قتيبة حتّى أتينا فَرْغانة[١]، فجلس ذات يوم قد برز[٢] فنظرتُ إليه فقلت: أيّها الأمير عندي علم، قال: ومن أنت؟ قلت: أُعيذك لا تسألني عن ذلك، فعرف أنّي ممّن يخفي نفسه، فدعا بكتابٍ فقال: اكتب ـ يعني مُسَوَّدَة ـ قلت: لستُ ممّن يحتاج، فجعلتُ أملي عليه وهو ينظر حتّى فرغ من كتاب الفَتْح.

قال: فحملني على بغلةٍ وأرسل إليَّ بسَرَقٍ[٣] حريرٍ، وكنت عنده في أحسن منزلة، فإنّي أتعشّى معه ليلةً إذا أنا برسول الحجّاج بكتاب فيه: «إذا نظرتَ في كتابي هذا فإنَّ صاحبَ كتابِكَ عامرٌ الشعبي، فإن فاتَكَ قطعتُ يدك ورجلك، وعُزِلْتَ».

قال: فالتفتَ إليَّ وقال: ما عرفتُكَ قبلَ السّاعة، فاذهب حيث شئت، فلأَحلفنَّ له بكُلِّ يمين. فقلت: إنَّ مثلي لا يخفى، فقال: أنت أعلم، فبعثني إليه مع قومٍ، وإذا وَصَلْتُ إلى قرب واسط أَمَرَهُمْ أن يقيّدوني.

فلمّا قدمت استقبلني ابن أبي مسلم، فقال: يا أبا عمرو إنّي لأَضَنُّ بك عن القتل، إذا دخلتَ على الأميرِ فقُلْ كذا وقل كذا. فلمّا دخلتُ عليه قال: لا مَرحباً ولا أهلاً، جئتني ولستَ في الشَّرَفِ من قومك، ففعلت وفعلت، ثمّ خرجت عليَّ؟!

---

(١) مدينة وكورة واسعة بماوراء النهر متآخمة لبلاد تركستان على يمين القاصد لبلاد التُّرك. معجم البلدان ٤: ٢٥٣.

(٢) كذا في المصدر، والصواب: «وقد بَرِقَ»، أي تحيَّر. انظر سير أعلام النُّبلاء ٤: ٣٠٤/ ترجمة الشعبي برقم ١١٣. وفي تاريخ الإسلام ٧: ١٢٨ «فجلس ذات يومٍ وقد سُرَّ». وكان تحيّره لأنّه أراد أن يكتب للحجّاج كتاب الفتح والظفر. انظر تاريخ دمشق ٢٥: ٣٩٥.

(٣) السَّرَق: جمعُ السَّرَقة، وهي قطعة من جيّد الحرير.

وأنا ساكت، فقال: تكلّم، قلت: أصلح الله الأمير، كلُّ ما قلتَهُ حقٌّ، ولكنّا قد اكتحلنا بعدك السَّهَر، وتَحلَّسْنا الخوفَ، ولم نكن مع ذلك بررةً أتقياءَ، ولا فجَرَةً أقوياءَ، فهذا أوانُ حقنتَ دمي، واستقبلتَ بي التّوبة، قال: قد فعلتُ ـ انتهى[١].

وقال الذهبي في «التذكرة»: أنّه بعد هذا العفو ولي قضاء الكوفة[٢].

ولعلّك لا ترتاب في أنّ الشعبي لو لم يكن على الصِّفة التي ذكرناها لَما عفا عنه الحجّاج[٣]، ولألحقه بمن سفك دماءهم من المسلمين لِما هُو أقلُّ من جريرةِ الشعبي، أو بغير ذنبٍ لمحض انتمائهم إلى المذهب العلوي. لكنّه فسح له بعد النكير عليه بأنْ يتكلّم ويعتذر، ثمّ عفا عنه لأنّه يعلم أنّه الذي يريده لتدعيم أمره، وتحبيذ خطّته، وتبرير أعماله، فلم يزل به حتّى ولّاه القضاء. وما ظنّك بقاضٍ تحتَ نفوذ الحجّاج وقَيْدَ أنظاره؟ وإنّ رجلاً ينصّبه الحجّاج عَرِيفاً على قومه، ومَنْكِباً على جميع همدان، ويرتضيه لذَيْنِك المنصبين، أيّ فقيهٍ؟

أَجَل، لم يكن للشعبي نُدْحَةٌ ـ بعد طموحه إلى رغد العيش وإِكْبابه على الحطام عضّاً عليه بالنواجذ، وقَبْضاً عليه بالأَكُفِّ، وانحرافه المعلوم عن أميرالمؤمنين

(١) تذكرة الحفّاظ ١: ٨٥ ـ ٨٧. وانظر هذه الحادثة أيضاً في تاريخ دمشق ٢٥: ٣٩٤ ـ ٣٩٦ وفيه أنّ الحجّاج قبل أن ينتخبه للعَرافة سأله عن بعض العلوم، ثمّ قال له: «فما تقول في كذا وكذا في قول أبي تراب، فأخبرتُهُ، فقال أَصَبْتَ»، ومن الراجح بل المتيقّن أنّه شتم أميرالمؤمنين عليه السلام وعابه.

(٢) انظر تذكرة الحفّاظ ١: ٨٨، وفيه: واستعمل ابن هبيرة الشعبي على القضاء.

(٣) بل لا أُبْعِدُ أنّه كان جاسوساً للحجّاج مُنْدَسّاً بين صفوف الثوّار، فلذلك عندما غضّ النظر عنه قتيبة بن مسلم، لم يهرب وآثر الذهاب إلى الحجّاج، وما ذلك إلّا لمواطأة بينهما لم يكن أحد يعرفها إلّا هما.

وشيعته ـ إلَّا أن يكون كما يريده الحجّاج حتّى يستعيد منزلته الحسنى عنده التي وصفها هو.

فلم يزل كذلك حتّى آثر به خليفَتُهُ الذي مكّنه من دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم على نفسه، فبعثه إليه، فأوّل ما دخل عليه ورآه متأثّراً من أبيات زُهَيْرٍ بإقبال الشيب والهرم المُعْقِبِ لذكر المنيّة وأهوال الآخرة ـ والرجلُ لا يروقه ذلك، وإنّما يريد عبدَالملك منبسطاً إليه مسروراً به حتّى يتسنّى له أن يتلمّظ بفضل جَدَاهُ[١] ـ تَلا لَهُ من شعر لبيد ما يصرفُ عنه تلك الحالة، ويمنّيه بالعمر والآمال ليبلغ منه المنى، وبعده لم يَفْتَأْ يكاشِرُهُ ويُسامرُهُ حتّى عُدَّ نديماً له.

وفي «وفيات الأعيان» لابن خلِّكان[٢]، و«تاريخ بغداد» للخطيب[٣]، و«مرآة الجنان» لليافعي[٤]، و«شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي[٥]، و«تذكرة الحفّاظ» للذهبي[٦]، حكاية بعث عبدالملك إيَّاه إلى ملك الروم، وهي تنمُّ عن الحُبِّ المتبادَل بينهما.

وفي «الأعلام» للزركلي أنّه: اتّصل بعبدالملك بن مروان، فكان نديمه وسميره[٧]. وأنت تعلم أنّ الذي تقع عليه خيرة الرجلين لا يكون إلَّا كالشعبي الذي يروقه التفيُّؤ بظلّ الشجرة الملعونة، والنَّيل من شجرةِ النُّبُوَّة بقطع أغصانها،

---

(١) الجَدَا: الفضل والعطاء.

(٢) انظر وفيات الأعيان ٣: ١٢/ في ترجمة الشعبي برقم ٣١٧.

(٣) انظر تاريخ بغداد ١٢: ٢٢٥/ في ترجمة الشعبي برقم ٦٦٨٠.

(٤) انظر مرآة الجنان ٣: ٢١٥.

(٥) انظر شذرات الذهب ١: ١٢٧.

(٦) انظر تذكرة الحفّاظ ١: ٨٥/ في ترجمة الشعبي برقم ٧٦ ـ ٤٣/١١.

(٧) الأعلام ٣: ٢٥١.

وإتلاف ثمارها، ونثر أوراقها. وإنْ وَسِعَهُ فباجتياح أُصولها، وقَلْعِ جذومها.

هذا حال الرجل في المباينة للشيعة وأئمّتهم ـ عليهم السلام ـ فكيف يُؤْبَهُ به فيما يعزوه إلى أحدهم من شِيَةِ العار؟!

على أنّه كان يتلوّن تلوّن الحِرْباء في عزو الكذب إلى المختار حسب ما تقتضيه ظروفه، وترغب فيه زبائنه، ففي رواية الطبري في «التاريخ»(١) أنّه لمّا أُنْهِيَتْ دعوة المختار إلى ابن الأشتر أجابَ القومَ إلى النهضة، غير أنّه طلب الإمرة لنفسه، فقيل له: إنّ ذلك لا يكونُ وإنْ كنت أهلاً لها؛ لأنّ المختار قد جاء بأمر من ابن الحنفيّة.

ثمّ إنّ المختار يَمَّمه بعد ثلاثة أيّام ومعه بضعة عشر رجلاً من وجوه أصحابه.

قال الشعبي: «أَنا وأَبي فيهم»، فخطب المختارُ عنده، ثمّ قال: ادفع الكتاب إليه ـ يعني كتاب ابن الحنفيّة ـ ففضَّ خاتمه وقرأه وانتقد منه لفظ «المهدي» فيه غير المعهود في شيء من كتب محمّد إليه، فأُجِيبَ بأَنَّ ذلك زمانٌ وهذا زمانٌ. فطلب الشهادة على كون الكتاب منه، فشهد به يزيد بن أنس الأسدي، وأحمر بن شُمَيْط الأحمسي، وعبدالله بن كامل، ومالك بن عمرو النهدي، والسائب بن مالك الأشعري، وجماعتهم.

قال الشعبي: «إلّا أنا وأبي».

فبايع إبراهيمُ المختارَ، وأجلسه على صدر فراشه. وذكر الشعبي: أنّه بعد ذلك

---

(١) أخذناها ملخّصة من تاريخ الطبري [٤: ٤٩٣ ـ ٤٩٦]، واختصرنا العبارة لطولها، وفي الترتيب نوع تغيير فعلناه للاختصار، لكن لا اختلاف في جوهريّات القصّة، وذكرها ابن الأثير في الكامل [٤: ٢١٤ ـ ٢١٦]. (المؤلّف).

استحفاه إبراهيمُ الخبرَ[١]، وسأله عن سِرِّ عدم شهادته وشهادة أبيه مع القوم، وأنّهم هل شهدوا على حَقٍّ؟

قال: قلت له: قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القرَّاء، ومشيخة المصر، وفرسان العرب، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلَّا حقّاً. قال: فقلتُ لهُ هذه المقالةَ وأنا واللهِ لَهُمْ على شهادتهم مُتَّهِمٌ، غير أَنِّي يعجبني الخروج وأنا أرى رأي القوم، وأُحبُّ تمام ذلك الأمر، فلم أُطْلِعْهُ على ما في نفسي من ذلك.

فاستكتب إبراهيمُ الشعبيَّ أسماء القوم، فكتبها له، وشهد عليهم هو وأبوه شراحيل بن عبد، وعبدالرحمن بن عبدالله النخعي، انتهى.

وأنت ترى أنَّ الرجل في روايته هذه ذاهِلٌ عمَّا لَهِجَ به في روايته الأُخرى من استراقِهِ لسانَ أبي عمرة، ولعلّه نسي ما تقوّله هنالك، أو أنّ هاجسةً خطرت في مخيّلته بعد قوله هذا، أو أنّ لكلٍّ من الظروف والأحوال حُكْماً لا يعدوه.

ثمّ إنّه أيُّ قيمةٍ لجهل أبي عمرة وهو مولىً؟! وبطبعِ الحال إنّه لا يكون لمثله وقوف على كلّ ما يعلمه الوُجُوه والسادات، وأيُّ ملازمة بينه وبين كذب القوم في شهاداتهم وهم كما قال الشعبي: سادة القرّاء، ومشيخة المصر، وفرسان العرب، وإنّ مثلهم لا يقولون إلّا حقّاً؟!

ولَمْ يشهد لنا التاريخ أنَّ هؤلاء الشُّهودَ لم يكونوا فيمن وَفَدَ إلى محمّد بن الحنفيّة لاستعلام ما يُعْزَى إليه من أمر المختار، كعبدالرحمن بن شريح الشِّبامي، وسعيد بن منقذ الثوري، وسعر بن أبي سعر الحنفي، والأسود بن جَراد الكندي،

---

(١) استَحْفَاه الخبر: بالغ في استقصائه وسؤاله عنه.

وقُدامة بن مالك الجشمي[(١)].

وليس بذلك البعيد أنّه بعد ما نَوَّه بالإذن في الخروج مع المختار لهؤلاءِ، كتب ذلك الكتابَ تأكيداً له ولو بطلبٍ من بعضهم، وتشهدُ لذلك شهادةُ القوم وهم من وجوهِ الأُمّة، وأعيانِ المسلمين، وليس لها إلّا أَصالة الصّحّة المطَّرِدة في أفعال المسلمين وأقوالهم وشهاداتهم، ما لم يَبِنْ خلافُها، وفي هذا المورد لم يَبِنْ أيُّ خلاف لأصالة الصّحّة.

وأمّا ما عزاه إلى أبي عَمْرة، فلا يكشف ـ لَوْ صَدَقَ النَّقْل ـ إلّا عن جهله بالواقع فحسب، وأمّا غيره فلم يَنْبِسْ عنهم بِبِنْتِ شَفَةٍ، ولو قال فإنّ كَلِمَتَهُ بمفردها لا تَفُتُّ في شهادات مثلهم.

إذن فما المبرِّر لتَقَحُّم الشِّعبي في تكذيبِ القوم مع إصرارهم وثباتهم على الشهادة في المرّة الثانية التي قَصَدَهُمْ فيها في منازلهم واحداً واحداً وأحفاهم السؤال؟! وما اعترى الشعبي من الظّنّ السَّيِّئ بمجرّد أَنْ رأى أنَّ خَتْمَ الكتاب أبيضَ يلوح لأنّه كان من الرصاص، فَحَسِبَ أنه خُتِمَ من اللَّيل؟! فهذا ممّا نهاه الله سبحانه عن مثله بقوله عزَّ من قائل: ﴿**اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[(٢)].

وهَبْ أَنَّا غاضَيْنا الرَّجُلَ عن كُلِّ ما تَقَوَّل، فهلّا نُسائِلُهُ عن قوله في حكايته الأُخرى: «فقُلْتُ له هذهِ المقالةَ وأنا واللهِ لَهُمْ على شهادتهم مُتَّهِمٌ»... إلخ.

---

(١) هؤلاء هم الذين وفدوا إلى ابن الحنفيّة لاستعلام الحال، ذكرهم الطبري في تاريخه [٤: ٤٩١]. (المؤلّف).

(٢) الحجرات: ١٢.

فنقول له: أيُّ مبرِّرٍ كان لإغرائك الرَّجُلَ بالجهل؟ فإن كان هو ما ذكرته ـ من أنّك كُنتَ ترى رأيَ القوم، وتحبُّ تمام ذلك الأمر... إلخ، ولو بمقدِّماتٍ مكذوبة لأنَّ ذلك من مستثنيات الكذب ففيهِ المصلحة الراجحة، والضَّالّة الدينيّة ـ فلم لا يكون ذلك عذراً للقوم في شهاداتهم على تقديرِ تصديقك فيما نَبَزْتَ به رجالات المسلمين ووجوه أهل الدين؟

وإن كان لك عذرٌ مخبَّأٌ غيرُهُ لم يَرُقْكَ إبداؤُهُ، فلعلَّ مثله يكون لأُولئك الشهود!

وإن كنتَ لا تَأْبَهُ بما كان يدور في خَلَدِكَ من هَواجِسِ التُّهْمة لأَصالة الصّحّة في أقوال المسلمين، فلِمَ لَمْ تَدُمْ عليه فطَفِقْتَ تُصَعِّد وتُصَوِّب في الوقيعة، وتتطوّر في ما تُحَوِّر، وتطلبُ مرضاة أعداءِ الله في تشويه سمعة المؤمنين؟!

ثمّ ما بالُكَ تتحرَّج عن أكاذيب غيرك، ولا تَتَحرَّج فيما تتقوَّله أنت في رواياتك؟! وقد مَلأَ الدُّنيا ما سَوَّدْتَ به صحيفَةَ التأريخ، وشِنْتَ روايةَ الحديث من افترائك على أميرالمؤمنين عليٍّ عليه السلام مشفوعاً بيمينٍ منك تَمِين فيه، من أنّه دخل حفرته وما حفظ القرآن[1]!!

---

(١) رواه ابن قتيبة في «مشكل القرآن» في باب تكرار الكلام والزيادة فيه، قال: وروى عن شريك، عن إسماعيل بن أبي خالد، أنّه قال: سمعتُ الشعبي يحلفُ باللّه: لقد دخل عليّ بن أبي طالب حفرته وما حفظ القرآن.

وفي «الفصول المختارة» من مقالات شيخنا المفيد لعلم الهدى السيّد المرتضى [ص٢١٧] ما لفظه: وبلغ من نصبه وكذبه [يعني الشعبي] أنّه كان يحلف باللّه: لقد دخل عليّ بن أبي طالب اللَّحْد وما حفظ القرآن، وهذا خلاف الإجماع، وإنكار الاضطرار، انتهى.

وهذا ممّا قاله الشعبي نفسه فيما رواه الذهبي في «تذكرة الحفّاظ» [١: ٨٢/ في ترجمة الشعبي ٧٦ ـ ٤٣/١١] عن خالد بن عبدالله، عن حصين، عن عامر الشعبي، قال: ما كُذِبَ على أَحدٍ في هذه

وليت شعري، كيفَ كان أميرُالمؤمنين عليه السلام لم يحفظ القرآن وهو الذي ناضل على تنزيله ونازل على تأويله، وأحكم مبانيه، وعرف مغازيه، وميّز بين محكمه ومتشابهه، وعمومه وخصوصه، ومجمله ومبيّنه، وحقّق حقائقه، وشاد معالمه، ودعا إلى العمل به، وعلّم الناس علومه، ومَحَا بالسَّيف مَنْ حاد عنه، وما زال يتلوه ويرتّله حتّى أتاه اليقين، وهو سيّد العترة الذين هم عِدْل الكتاب في حديث الثقلين المتواتر بين فرق المسلمين جميعاً، وقد أخرجه أثبات أهل السنّة في الصحاح والمسانيد، وقد نصّ فيه الرسول الأمين ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أنّهما لَنْ يفترقا حتّى يردا عليه الحوض.

وهل ترى لعدم افتراقهما معنىً سوى عرفان كلٍّ منهما حقَّ الآخر، ومعاضدة كلٍّ للآخر؟ وهل يتحقّق ذلك بغير أن تَفْهَمَ العترةُ حدودَ القرآن ومراميه، وتحفظه عن الضياع وعن أن تتَّخذه الناس ظِهْرِيّاً، وتتلوه حقَّ تلاوته؟

نعم، يقول نبيُّ الإسلام ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ هكذا، وفقيه عصره الشعبي يقول: إنّ الذي لم يفارق القرآن مات ولم يحفظه!! وبأيِّ معنىً فَسَّر الحفظ فهو في مُنْتَأًىً عمّا جاء به الصادع بالحقِّ الأقدس ـ عليه السلام ـ.

➲ الأُمّة ما كُذِبَ على عليّ رضي الله عنه، انتهى.

فمنه هذه الأُكذوبة التي جاء بها عامر الشعبي عنه عليه السلام، وليته عمل بما كان يقوله. وروى عنه الذهبي ايضاً [تذكرة الحفّاظ ١: ٨٣] عن الهيثم بن عدي، عن مجالد، عنه، قال: كره الصالحون الأوّلون الإكثار من الحديث، ولو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُه ما حدّثت إلّا بما أجمع عليه أهل الحديث، انتهى.

ويظهر منه أنّه كان يفوه بما يتفرّد به من بَهْت وغرائب، فيُنْكَرُ عليه، كمثل قوله هذا. وكفى بامرئٍ كذباً أن يحدِّث بكلّ ما سمعه، فكيف بمن يخبر بما يفتريه هو؟(المؤلّف).

فَزِهْ⁽¹⁾ بالرَّجل ومَرْحىً بفقهه، وبَخٍ بخٍ بإيمانه، ولقد عَرَفْناك يا شعبيُّ كذّاباً يوم سَمِعناك تُجابِهُ الحقائقَ بمِلْءٍ فَمِكَ، وتقول: لَمْ يَشْهَدِ الجَمَلَ من الصَّحابة إلَّا أربعةٌ، فإن جاءُوا بخامس فأنا كذّاب: عليّ وعمّار، وطلحة والزبير⁽²⁾.

---

(١) زِهْ: كلمة تقال عند التعجّب والاستحسان بالشيء. وأراد المؤلّف هنا الاستهزاء بالشعبي.

(٢) انظر مقولته العائرة هذه في المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٧١٠/ح٢٦، والعلل، لأحمد بن حنبل ٣: ٤٥/ الرقم ٤٠٩٦، وتاريخ دمشق ٤٣: ٤٦٠، وأنساب الأشراف: ٢٦٧/ الرقم ٣٤٧، والفصول المختارة: ٢١٦.

[ابن الحرّ الجعفي ورميه المختار بالكذب]

وروى أبو حنيفة الدينوري في «الأخبار الطوال»: أنَّ عمرو بن سعيد بن قيس الهمداني لمّا تولّى هَدْمَ دار عبيدالله بن الحرّ الجعفي، وانتهاب ما فيها ـ بأمر المختار لمَّا امتنع عبيدالله من مؤازرته في أمر الثار ـ عمد عبيدالله إلى ضيعةٍ بالماهين لعمرو المذكور فأغار عليها واستاق مواشيها، وأحرق زرعها، وقال:

[من الطويل]

وما تَركَ الكَذَّابُ مِن حِلِّ مالِنا ولا المَرْءُ مِن هَمْدانَ غَيرَ شَرِيدِ[1]

أَفي الحَقِّ أَن يُجْتاحَ مالِيَ كُلُّهُ وتَأْمَنُ عِنْدِي ضَيْعَةُ ابنِ سَعِيدِ[2]

والقصّة ذكرها الطبري في «التاريخ» وزاد على البيتين سبعة أبيات لعبيدالله، ثمّ قال: وهي طويلة[3].

والرجل ـ كما تراه ـ حاقدٌ على المختار يُضمِرُ به غدراً، وله مكراً، وعليه عداء. وبطبع الحال إنّ مثله لا يمتنع من أيِّ وقيعة في عدوّه، ونقصٍ فيه، تبريراً لما يفعله ولما ينويه من الإساءة إليه، وفيه شفاءُ نفسه، وتبريدُ غليله، على ما فيه من نزعة عثمانيّة تبعثه إلى أيّ تشنيع في العلويّين.

روى الطبري أنّه: لمّا قُتِلَ عثمان وهاج الهَيْجُ بين عليٍّ ومعاوية، قال: أما إنّ الله ليعلم أنّي أُحبّ عثمان ولأنصرنّه مَيْتاً، فخرج إلى الشام فكان مع معاوية، وخرج

---

(١) الشريد: بقيّة الشيء.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٩٧.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٥٨٨.

مالك بن مسمع إلى معاوية على مثل ذلك الرأي في العثمانيّة، فأقام عبيدالله عند معاوية وشهد معه صفّين، ولم يزل معه إلى أن قُتِلَ عليٌّ عليه السلام، فلمّا قُتِلَ عليٌّ قدم الكوفة[١].

وروى الطبري أيضاً موقفاً له آخر ينمُّ عن نفسيّته الزائفة، فذكر أنّ الحسين عليه السلام لمّا انتهى إلى قصر بني مقاتل في مسيره إلى كربلا رأى فسطاطاً مضروباً، فقال: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل: لعبيدالله بن الحرّ الجعفي، قال: ادعوه لي، وبَعَثَ إليه، فلمّا أتاه الرسول قال: هذا الحسين بن عليّ يدعوك.

فقال عبيدالله بن الحر: إنّا للّه وإنا إليه راجعون، والله ما خرجت من الكوفة إلّا كراهةَ أن يدخلها الحسين وأَنا بها، واللهِ ما أُريد أن أراه ولا يراني، فأتاه الرسول فأخبره، فأخذ الحسين عليه السلام نعليه فانتعل، ثمّ قام فجاءه حتّى دخل عليه فسلّم وجلس، ثمّ دعاه إلى الخروج معه، فأعاد إليه ابنُ الحرّ تلك المقالة، فقال: فإنْ لا تَنْصُرْنا فاتَّقِ الله أن تكون ممَّن يقاتلنا، فوالله لا يسمعُ واعِيَتَنا أحدٌ ثمّ لا ينصرنا إلَّا هلك، قال: أمَّا هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله، ثمّ قام الحسين عليه السلام من عنده حتّى دخل رحله[٢].

ورواه ابن الأثير في «الكامل»[٣]، ومن أصحابنا الفقيه ابن نما في «مثير الأحزان»[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٨٦.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٧ـ ٣٠٨.

(٣) الكامل في التاريخ (تاريخ ابن الأثير) ٤: ٤٩ ـ ٥٠.

(٤) مثير الأحزان: ٣٤ ـ ٣٥.

ورواه شيخنا الصدوق في «الأمالي» المجلس ٣٠ بلفظ آخر[١]، ورواه غيرهم.

فالرجل كما تُنْبِئنا هذه النقول منحرف عن أهل البيت وشيعتهم، وممَّن شهر السيف في وجه الإمام عليٍّ عليه السلام بصفّين، ولم يدخل الكوفة حتّى قُتِلَ أميرالمؤمنين سلام الله عليه كراهيةَ الاجتماع معه، ثمّ لمَّا دخلها لم يزل ساعياً في الفتن قد ارتكز في دماغه حُبُّ الثورة، وحَدَت به نَهْمَةُ الحاكميّة فَزَبْرَجَها بصورٍ خلَّابة، فلم يفتأ بين ثوراتٍ وغاراتٍ حتّى قتل سنة ٦٨، وقد ذكر شيئاً منها الطبري في «التاريخ»[٢].

ثمّ كلمتُهُ الفَظَّة للحسين صلوات الله عليه لمَّا دعاه إلى نصره، وهو يعلم أنّه ريحانة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ومجابهتُهُ بقوله القاسي تنمّ عن تمركز تلك النّزعة في مفكّرته، ولا يجديه بعد ذلك كلّه ما أظهره من النَّدم على مفارقة السبط الشهيد، فأخذ يبكيه ويقول:

[من الوافر]

فَيالَكِ حَسْرَةً ما دُمْتُ حَيّاً تَرَدَّدُ بينَ صَدْرِي والتَّراقِي

---

(١) أمالي الصدوق: ٢١٩/ المجلس ٣٠ ـ الحديث الأوّل في المجلس الثلاثين. وفيه: فقال [الإمام الحسين عليه السلام]: أيُّها الرجل إنّك مذنب خاطئ، وإنّ الله عزّ وجلّ آخِذُكَ بما أنت صانع إن لم تَتُبْ إلى الله تبارك وتعالى في ساعتك هذه، فتنصرني ويكون جَدِّي شفيعك بين يدي الله تبارك وتعالى.

فقال: يابن رسول الله، والله لو نَصَرْتُك لكنت أوّل مقتول بين يديك، ولكن هذا فرسي خذه إليك، فوالله ما ركبته قطّ وأنا أروم شيئاً إلّا بلغته، ولا أرادني أحدٌ إلّا نجوت عليه، فدونك فَخُذْهُ.

فأعرض عنه الحسين ـ عليه السلام ـ بوجهه، ثمّ قال: لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك ﴿**وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدا**﴾، ولكنْ فرَّ فلا لنا ولا علينا، فإنّه من سمع واعيتنا أهل البيت ثمّ لم يُجِبْنا كبّه الله على وجهه في نار جهنّم.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤: ٥٨٦ ـ ٥٩٤.

حُسَيْنٌ حينَ يَطْلُبُ نَصرَمِثْلِي عَلَى أَهْلِ الضَّلالَةِ والنِّـفاقِ
غَداةَ يقولُ لي بالقفر قَوْلاً: أَتَــتْرُكُــنا وتُـزْمِعُ بـالفِراقِ
وَلَــو أَنِّـي أُواسِـيهِ بِـنَفْسِي لَنِلْتُ كَـرامَـةً يَـوْمَ التَّـلاقِي
مَعَ ابنِ المُصْطَفَى نَفْسِي فِداهُ تَــوَلَّى ثُــمَّ ودَّعَ بِــانْطِلاقِ
فَلَو فَلَقَ التَّلَهُّفُ قَلْبَ حَـيٍّ لَــهَمَّ اليـومَ قَـلْبِي بـاِنْفلاقِ
فَقَد فازَ الأُلَى نَصَرُوا حُسَيْناً وخابَ الآخَرُونَ ذَوُو النِّفاقِ[1]

وبكاهم بروِيٍّ آخر حيث قال وقد وقف على مصرع الإمام عليه السلام وأصحابه:

[من الطويل]

يَــقُولُ أميرٌ غـادِرٌ حَـقُّ غـادِرٍ[2]
أَلا كُنتَ قـاتَلْتَ الحُسَـينَ ابـنَ فـاطِمَهْ
فَــيا نَــدَمِي أَلَّا أَكُــونَ نَـصَرْتُهُ
أَلا كُــلُّ نَــفْسٍ لا تُسَــدَّدُ نـادِمَهْ
وَإِنِّــي لِأَنِّــي لَــمْ أَكُــنْ مِــن حُـماتِهِ
لَــذُو حَسْـرَةٍ مـا إن تُـفارِقُ لازِمَـهْ
سَـــقَى اللهُ أَرواحَ الَّــذِينَ تَآزَرُوا
عَــلَى نَـصْرِهِ سُـقْياً مِـنَ اللهِ[3] دائِـمَهْ

(١) انظر قصيدته هذه في ذوب النُّضار: ٧٢ ـ ٧٣، والأخبار الطوال: ٢٦١، ومقتل الخوارزمي ١: ٢٢٨.
(٢) في بعض المصادر: «غادرٌ وابنُ غادرٍ». وهي الرواية الأجود.
(٣) في بعض المصادر: «من الغيث». وهي أنسب بمسالك شعراء العرب.

وَقَـفْتُ عَـلَى أَجْـداثِـهِمْ ومَـجالِهِمْ[(١)]
فكادَ الحَشَى يَـنْفَضُّ والعَـيْنُ سـاجِمَهْ
لَعَمْرِي لَقد كَانُوا مصالِيتَ فـي الوَغَـى
سِـراعـاً إِلى الهَـيْجا حُـماةً خَـضارِمَهْ
تَأَسَّـوا عَـلَى نَـصرِ ابـنِ بِـنْتِ نَـبِيِّهِمْ
بِأَسْـيافِهِمْ آسـادَ غِـيلٍ ضَـراغِـمَهْ
فَـإِنْ يُـقْتَلُوا فـي كُـلِّ نَـفْسٍ بَـقِيَّةٌ[(٢)]
عَلَى الأَرضِ قَد أَضْحَتْ لِذلِكَ واجِمَهْ
وَمـا إِن رَأَى الرَّاؤُون أَفْـضَلَ مِـنْهُمُ
لَـدَى المَـوتِ ساداتٍ وزُهْـراً قَـماقِمَهْ
أَتَـقْتُلُهُمْ ظُـلْماً وتَـرْجُو وِدادَنـا؟!
فَـدَعْ خُـطَّةً لَـيْسَتْ لَـنا بِـمُلائِمَهْ
لَـعَمْرِي لَـقَدْ راغَـمْتُمُونا بِـقَتْلِهِمْ
فَكَـمْ نـاقِمٍ مِـنَّا عَـلَيْكُمْ ونـاقِمَهْ
أَهُـمُّ مِـراراً أَن أَسِـيرُ بِـجَحْفَلٍ
إِلى فِـئَةٍ زاغَتْ عَـنِ الحَـقِّ ظـالِمَهْ

(١) في بعض المصادر: «ومحلّهم»، وفي بعضها: «وقبورهم».
(٢) في بعض المصادر: «فإن يقتلوا فكُلُّ نفسٍ تقيّة»، وهي الأجود.

فَكُفُّوا وإلَّا ذُدْتُكُمْ[١] فِي كَتائِبٍ
أَشَدَّ عَلَيْكُمْ مِن زُحُوفِ الدَّيالِمَةْ[٢]

وليس هذا إلَّا تأثُّراً منه لشناعة ما جاءت به أُميّة وزبائنها من فظائع وطامّات في واقعة يوم الطّفّ التي كانت ولم تبرح تُذِيبُ الجلامد والصُّخور، وإنّما تمنّى كونه في زُمرةِ أنصاره تثبيتاً لما كان يزهو ويتبختر به من مظاهر الشّهامة العَرِيَّة عن أيٍّ حقيقة، وطيّاً لما كان منه مع الإمامين عليهما السلام من سَوابق رديئة، لأنّه كان يرومُ العيش في بيئةٍ قد ساد فيها الهوى العلويّ، والشيعةُ واجدةٌ فيها على من خَذَلَ السبط الشهيد، ناقمةٌ على قاتليه، وكان هو شريداً خوفاً من ابن زياد؛ حيث فقده بعد قتل الحسين عليه السلام فجاءه بعد أيَّام، وجرت بينهما مُخاشَنَة، فخرج من عنده على حين غفلة منه، فطلبه ولم يظفر به، ثمّ بارَحَ الكوفة هو ومن لاثَ به من أصحابه فَرَقاً منه، حتّى أتوا كربلا فوقفوا على مصارع القوم، وأنشد هو المقطوعة الميميّة المذكورة آنفاً، فليس بعزيز منه والحالُ هذه أن يمدح أو يؤبّن مَنْ يكرهه وينصب له كامن العداء.

ولو كان صادقاً في الولاء لَما امتنع من مواجهة الإمام السبط ـ عليه السلام ـ لَمَّا أتاه رسوله، ولَما جابهه بهاتيك الكلمة القاسية لَمَّا أتاه بنفسه الشريفة، وكان له في الانسلال عنه منتدح ـ بغير التجهم أمامه ـ من وجوه اللِّين ولطائف الحيل، كما انسلّ غيره بها.

(١) في بعض المصادر: «وإلّا زرتكم»، وهي الأبلغ.

(٢) انظر قصيدته هذه في تاريخ الطبري ٤: ٣٦٠، وتاريخ دمشق ٣٧: ٤٢٠، وجواهر المطالب ٢: ٣٠٥ ـ ٣٠٦، والبداية والنهاية ٨: ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

ولو كان صادقاً في ترعيده بقوله: «أهمّ مراراً»... إلخ، وقوله: «فكفّوا»... إلخ، لَما انتكث على المختار يوم نهض طالباً لتلكم الأوتار الموتورة، وطفق يشنّ الغارات في القرى والسواد، ولم يكُ ما فعله المختارُ بدارِهِ إلّا بعد امتناعه عن مؤازرته، وانحيازه عنه انحيازاً لا تُؤْمَنُ بادرته فيه مع ما هو عليه من الشدّة والفتك، على سوابقه العثمانيّة مع أميرالمؤمنين والحسين عليهما السلام ونَزَعاته الأهوائيّة.

فمن العجائب ـ والرجل من عرفته ـ عَدُّه من سَلَفِ الشِّيعة ورجالاتهم كما وقع لبعضهم، فطَفِقَ يقضي منه العجب آية الله بحر العلوم الطباطبائي رحمه الله في «رجاله». نعم وَجَدُوا له روايةً أو كتاباً يُسنِدُ أخباره إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فحَسِبُوه ممّن يخلص له الولاء.

وكان من رجال بيته أفذاذ من محدِّثي الشيعة: كأديم، وأيُّوب، وزكريّا من أصحاب مولانا الصادق عليه السلام. والأوّلان وثّقهما النجاشي، وذكر لهما أصلاً[1]، فظنَّ الظّانُّ أنّ حاله كحالهم، والله أعلم.

---

(١) انظر كلّ هذه المطالب، وتعجّب بحر العلوم، في الفوائد الرجاليّة ١: ٣٢٢ ـ ٣٢٤/ «بنو الحرّ الجعفي». والّذي عدّه من سلفنا الصالحين المتقدّمين هو النجاشي رحمه الله. انظر رجال النجاشي: ٣ و٩، حيث قال: وها أنا أذكر المتقدّمين في التصنيف من سلفنا الصالح... وعدّ السادس منهم عبيدالله بن الحر الجعفي، وقال: الفارس الفاتك الشاعر، له نسخة يرويها عن أميرالمؤمنين عليه السلام.

[مصعب بن الزبير ورميه المختار بالكذب]

وفي «تاريخ الطبري»: عن أبي مخنف، عن أبي جناب الكلبي: إنّ كتاب مصعب قدم على ابن الأشتر وفيه: أمّا بعد، فإنّ الله قد قتل المختار الكذّاب وشيعته الذين دانوا بالكفر، وكادوا بالسحر...[1] إلخ.

وليس بدعاً من العدوّ الذي يستبيحُ قتلَ عدوّه أن يسبَّهُ ويفتري عليه بما يُبَرِّرُ عمله، وينفّر السامعين عمَّن بطش به، لاسيّما آل الزبير الأشقياء، وخشونَتُهُمْ في ذات هواهم عرفها المنقِّبون، وأثبتتها السِّيَرُ.

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٧٣. ورواه أيضاً ابن أعثم الكوفي في الفتوح ٦: ٢٩٤.

[سويد بن أبي كاهل ورميه المختار بالكذب]

وفي «الأخبار الطوال» بعد ذكر قتل المختار أنّه قال سويد بن أبي كاهل يذكر قتله:

[من البسيط]

يا لَيتَ شِعْرِي مَتَى تَغْدُو مُخَيَّسَةٌ[١] مِنَّا فَتُبلِغَ أَهْلَ المَوْسِمِ الخَبَرا
أَنَّا جَزَرْنا عَنِ الكَذَّابِ هامَتَهُ مِنْ بَعْدِ طَعْنٍ وضَرْبٍ يَكْشِفُ الخُمُرا[٢]

ولا أحسبك تَأْبَهُ بمثل هذه الهَمْلَجَات، وأنت تعلم أنَّها لرجل من زبانية آل الزبير الوالغين في دماء المسلمين، الناصبين العداء للشيعة؛ وفي رأسهم المختار الذي فعلوا به ما هو أدهى وأنكى من هذا القول من قتله وقتل زوجته وأصحابه، واستئصال شأفتهم.

وكان أعظمُ ما عندهم لتبرير عملهم رَمْيَ الرَّجل بالكذب والإلحاد، وإن كانت الحقيقة ما أوقفناك عليه من أنّهم كانوا يحقدون عليه لاستقلاله عنهم، وعدم رضوخه لهم. فهل يبعد منهم والحال هذه التَّقَوُّل لتعذير أنفسهم؟!

(١) جماعة من راكبي الإبل، المخيّسة: وهي التي لم تسرح.
(٢) الأخبار الطوال: ٣٠٨.

[جيش ابن زياد ورميهم المختار بالكذب]

وروى الطبري عند ذكر الواقعة بين إبراهيم بن الأشتر وابن زياد: أنّ إبراهيم لمّا زحف بجنده حتّى صار على تلٍّ مشرف على عسكر ابن زياد سرّح عبدالله بن زهير السلولي ليأتيه بخبر القوم، فرآهم في دَهَشٍ وفَشَل، فلقيه منهم رجل، فما كان له هِجِّيرَى إلّا: يا شيعةَ أبي تراب، يا شيعة المختار الكذّاب...[١] إلخ.

وهذه نزعةٌ أمويَّةٌ لِدَة أُختها الزبيريّة، حَدَتْ إليها بواعث الحقد والعداء المحتَدِمَيْنِ بين الفريقين، وقد رمى هؤلاء سيِّدَ العترةِ السِّبطَ الشهيدَ ـ سلام الله عليه ـ بأعظم من هذه، رموه بالخروج في وجه إمام عصره يزيد الخنا!! فقتلوه على ذلك، وقتلوا أصحابه وذويه، وسَبَوا حرمه، وسمّوهم بالخوارج، ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ**﴾[٢]، فأين يكون من ذلك رميهم المختار بالكذب؟! وأين يقع ذلك القذف؟! وهم هم، والحسينُ ريحانة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وهو وأخوه إمامان قاما أو قعدا، والمختارُ رَجُلُ الحزمِ والتُّقى والدِّين، وأصحابُهُ انصارُ أئمَّةِ المسلمين، وليس القائل هذا إلَّا:

[من البسيط]

كَناطِحٍ صَخْرَةً يَوْماً لِيُوهِنَها فَلَمْ يَضِرْها وأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ[٣]

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٥٣.

(٢) الكهف: ٥.

(٣) البيت للأعشى قيس بن ميمون، كما في ديوانه: ٢٠.

[الحجّاج ورميه المختار بالكذب]

روى الكشّيّ في «رجاله» عن يعقوب بن شيبة، عن خالد بن أبي زيد العرني، عن ابن شهاب، عن الأعمش، قال: رأيتُ عبدالرحمن بن أبي ليلى وقد ضربه الحجّاج حتّى اسودَّ كفَّاه، ثمّ أقامه للنّاس على سَبّ عليٍّ ـ عليه السلام ـ والجلاوزةُ معه يقولون: سُبَّ الكذّابِينَ، فجعل يقول: «أَلْعَنُ الكَذَّابِينَ، عليٌّ وابنُ الزبيرِ والمختارُ».

قال ابن شهاب: يقولُ أصحاب العربيّة: سمعك[1] تعلم ما يقول، لقوله: عليٌّ، تبدأ الكلام أي هو[2].

وأنت تعلم قيمةَ هذا القولِ والسَّوطُ على رأس الرَّجل، والسَّيفُ من ورائه، والجلاوزةُ تكتنفه، وكَتِفاه مسودَّتان من الضَّرب، والحجَّاجُ مقعٍ على دَسْتِ الإمارة، فحاله كحال عمّار ـ رضوان الله عليه ـ لمّا تبرّأَ من النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ودَرَأَ به عن نفسِهِ القتلَ، فنزلت فيه: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾[3].

---

(١) جاء في اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشّي لشيخ الطائفة الطوسي قدّس سرّه تحقيق حسن المصطفوي ص١٠١ في الهامش تعليقة:
«بالنصب، أي اجعل سمعك ميزاناً حتّى تفهم بلحن الخطاب مراد المتكلّم، أو بالرفع، فيكون مبتدأ. وقوله «تَعْلَم» خبره، أي إذا سمعت الكلمة بخصوصيّات الإعراب وغيره تفهم المراد، كما إذا سمعت عليّاً في هذه الجملة مرفوعاً لا منصوباً تعلم أنّه ابتداء كلام».

(٢) رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال) ١: ٣١٨ ـ ٣١٩/ح ١٦٠.

(٣) النحل: ١٠٦.

على أنَّ هذا المُكْرَهَ ذكرَ في سياق المختار أُناساً لا يصفهم بالكذب من يصفه به، فسبيل القول فيه وفيهم واحد، وهو أَنَّ بني حرب وزبانيتهم كانوا يُـلْجِؤونَ الناس إلى النَّيل من أهل البيت وشيعتهم، ومن كُلِّ من ناوأهم ـ كابن الزبير وأمثاله ـ إخماداً لذكرهم، وتنفيراً للملإِ عن سلوك خطّتهم، حتَّى يستقرّ سلطانهم بانفضاض الناس عمَّن عداهم.

والسابِرُ زُبُرَ الحديثِ والسِّيَر، يجد شيئاً كثيراً من أمثال هذه، وجرى على ذلك من تأخّر عنهم ممَّن حذا حذوهم.

[ابن حجر ورميه المختار بالكذب]

ومن ذلك ما سوَّد به ابنُ حجر صحيفةً من «إصابته»، فقال: وأقوى ما ورد في ذمّه ما أخرجه مسلم في صحيحه، عن أسماء بنت أبي بكر: أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال: «يكون في ثقيفٍ كذّابٌ ومُبيرٌ»، فشهدت أَسماءُ أَنَّ الكذّاب هو المختار المذكور...[١] إلخ، وذلك بعد قوله: وكان يتزيّن بطلب دم الحسين [عليه السلام] ويُسِرُّ طَلَبَ الدُّنيا فيأتي بالكذب والجنون...[٢] إلخ.

هذا الذي يذهب بالثِّقة عن المؤلِّفين أمثال ابن حجر، ويكشف عن أنّ الإِحَنَ والبغضاء كيف تُسِفَّانِ بالإنسان إلى هُوَّةِ الشِّنْعة والفيحةِ بالهَمْلَجَةِ مع الهوى، واختلاق النِّسَبِ المكذوبة، والدَّعاوي الباطلة.

ولعلّ ابن حجر كان لا يرجو لصحيح مسلم النُّشُور، ولا لأَحد من المسلمين الوقوف عليه من بعده، حتَّى يناقشه الحساب بمساءَلته عن محلّ ذكر شهادة أسماء بنت أبي بكر من الصحيح!

أَوَلَيْسَ من محلّ ذكر الحديث منه هو ما رواه عن عقبة بن مكرم العمّيّ، عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي، عن الأسود بن شيبان، عن أبي نوفل، قال: رأيت عبدالله بن الزبير على عَقَبَةِ المدينةِ مصلوباً.. وذكَرَ حديثاً طويلاً فيه مرور عبدالله ابن عمرعليه وكلامه عنده وسلامه عليه، وفي آخِرِه قولُ أسماء للحجّاج وقد دخل عليها: أما إنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ حدّثنا أنّ في ثقيفٍ كذّاباً

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٦/ الترجمة ٨٥٦٧.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٦/ الترجمة ٨٥٦٧.

ومُبيراً، أمّا الكذّاب فرأيناه، وأمّا المبير فلا إخالك إلّا إيّاه. فقام منها ولم يرجع[١].

ورواه الحاكم في «المستدرك» مع النصّ بصحّته، وفي روايته: يخرج من ثقيف كذّابان، الآخِرُ منهما أشرّ من الأوّل، وهو المبير، وما هو إلّا أنت يا حجّاج ...[٢] إلخ.

فأين يكون محلّ شهادة الصَّحابيّة على تطبيقِ الكذّاب أو الكذَّاب الأَوَّل بالمختار؟!

نعم روى التِّرمذيّ في «سُنَنِه» عن عليّ بن حجر، عن الفضل بن موسى، عن شريك بن عبدالله، عن عبدالله بن عصم، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: «في ثقيفٍ كذّابٌ ومُبِيرٌ»[٣].

وفي الباب عن أسماء بنت أبي بكر: حدّثنا عبدالرحمن بن واقد، أخبرنا شريك نحوه بهذا الإسناد. قال أبو عيسى: هذا حديث حَسَنٌ غريب [من حديث ابن عمر] لا نعرفه إلّا من حديث شريك، وشريك يقول: عبدالله بن عصم، وإسرائيل يقول: عبدالله بن عصمة.

[ويقال: الكذّاب المختار بن أبي عبيد، والمُبير الحجّاج بن يوسف[٤]].

والباحثُ جدُّ خبيرٍ بأنّ ذلك مجرَّد تَخَرُّصٍ نقله أبو عيسى الترمذي عن قائل مجهول هو غير أسماء، وأمّا هي فلم يُعْزَ إليها شيءٌ من ذلك.

وفي «مجمع الزوائد» للحافظ نور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثمي المصري الشافعي: عن أبي نوفل بن أبي عقرب العرنجي، قال: صَلَبَ الحجّاجُ ابنَ الزبير

(١) انظر صحيح مسلم ٧: ١٩٠ ـ ١٩١. ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣: ٥٥٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٤: ٥٢٦.

(٣) سنن الترمذي ٣: ٣٣٨/ح٢٣١٧.

(٤) سنن الترمذي ٣: ٣٣٩/ح٢٣١٨.

على عَقَبَة المدينة... ثمّ ذكر قول أسماء: وقد سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: إنّ في ثقيف مُبيراً وكذّاباً، فأمّا الكذّاب فقد رأيناه، وأمّا المبير فأنت ذاك، قال: فخَرَجَ. رواه الطبرانيُّ ورجالُهُ رجالُ الصحيح(١). وروايته كرواية مسلم.

غير أنّه قال عنه في رواية أُخرى: وعن أبي المحياة عن أبيه: إنّها تعني المختار... قال: رواه الطبراني، وأبو المحياة وأبوه، لم أعرفهما(٢).

ورواه أيضاً عن سلامة بنت أبي أبجر، قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: «في ثقيف كذّاب ومبير»، قال: رواه الطبراني، وفيه نسوة مساتير، انتهى(٣).

هذا ما وقفتُ عليه من طرق الحديث وأسانيده، وليس في شيء منها: أنَّ أسماء لهجت بذلك، وإنّما أسنده التِّرمذي إلى قائل مجهول لعلّه هو أبو المحياة(٤) الذي ذكره الهيثمي وشهد بجهالته.

---

(١) مجمع الزوائد ٧: ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٢) مجمع الزوائد ٧: ٢٥٦.

(٣) مجمع الزوائد ٧: ٣٣٤. وقال المنّاوي في فيض القدير ٤: ٥٩٧ وأَعَلَّهُ الهيثمي بأنّ فيه نسوة مساتير. والمستورُ الحال: هو الذي يعرف شخصه ولا تعرف حالُهُ، فلم يضعّفه أحد ولا هو مجهول. وقد اختلفوا في قبول رواية المستور أو ردّها.

(٤) ظنّ المؤلّف قدّس سرّه في محلّه، ففي تاريخ دمشق ٢٨: ٢٤٢ ـ ٢٤٣ روى هذه الرواية بسنده عن أحمد بن يُونس، عن أبي المحياة، عن أبيه، وقال في آخرها: فقلتُ لأبي المحياة: أمّا الكذّاب فقد رأيناه، أليسَ يعني المختار؟! قال: لا أراه إلّا إيّاه. فالطامّة من أبي المحياة. وانظر فرية أبي المحياة وتطبيقه الحديث على المختار في مسند الحميدي ١: ١٥٦/ح٣٢٦.

ومن ذا الذي يقيم وزناً لذلك الخَرْص(١) النَّائي عن المستند، العاري عن أيّ مُسَدِّدٍ له؟ ومن ذا الذي يسعه الجزم بشيءٍ أَهْمَلَ ذكرَهُ صاحب الرسالة ولم يُخبر به من سمعه منه بمحض التَّشهّي؟

على أنّ في ثقيفٍ أُناساً يمكن إرادة كلٍّ منهم في الحديث: كالمغيرة بن شعبة الماكر الخدّاع، والأخنسِ بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة الثقفي ـ اللَّعين على لسان أميرالمؤمنين عليه السلام ـ فيما خاطب به ابنه المغيرة ابن الأخنس؛ إذ قال المغيرة بن الأخنس لعثمان: أنا أكفيك عليّاً، فقال عليه السلام: يا ابنَ اللَّعين الأبتر(٢).. إلخ ـ وولدِهِ المغيرة هذا، وأخيه الحكم بن الأخنس المقتول بسيف عليّ ـ عليه السلام ـ كافراً في أُحد(٣).

إذن فليس لأيِّ متهوّرٍ في حُكْمِهِ الاسترسال في تخصيص تلك الكلمة المبهمة بالمختار، وإن جزم به مِنَ المتأخّرين مَنْ جزم، كابن أبي الحديد في «شرح النهج»(٤) وغيره.

والعجب من الفاضل المعاصر الشيخ علي محفوظ ـ أحد مدرّسي الأزهر بمصر ـ في كتابه «الإبداع في مضار الابتداع»(٥) حيث يقول بملءِ فمه: ثبت في الصحيح عن النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أنّه قال: «سيكون في ثقيف كذّابٌ

---

(١) الخَرْص: الحَزْر، والكذب.

(٢) انظر نهج البلاغة ٢: ١٨/خ١٣٥.

(٣) انظر شرح النهج الحديدي ٨: ٣٠١.

(٤) حيث قال في شرح النهج ٨: ٣٠٢ وفي الخبر المشهور المرفوع وقد ذكر ثقيفاً: «بئست القبيلة، يخرج منها كذّاب ومُبير»، فكان كما قال صلّى الله عليه وآله، الكذّاب المختار، والمبير الحجّاج.

(٥) ص ١٥٠ الطبعة الثالثة بمصر سنة ١٣٤٨. (المؤلّف).

ومبيرٌ»، فكان ذلك الشيعي [يعني المختار المذكور قبل هذا الكلام] هو الكذّاب، وهذا الناصبيّ [يعني الحجّاج السابق ذكره] هو المبير.. إلخ.

وإنّي لا أَعجبُ ممَّن قَبْلَ هذا الكتاب في العصور المظلمة الذين حَدَتْ بهم الأهواء والميول، وإنّما العجب كُلُّه ممّن نشأ في عصر النور، وبَلَغَ من الحنكة أن عاد مدرّساً في جامعة كمثل الأزهر، وهو يقتصّ أثر أُولئك المُهَمْلِجين مع الشَّهوات، وإن كان شُواظُ الحقدِ الثائرِ يقذفُ بصاحبه إلى حيث تُنِيخُ العصبيّة العمياء.

وهب أنّا غاضيناك على إرادة أسماء ذلك أو تصريحها به، لكنْ لا نسالمك على أنَّ في قصدها أو نصّها حُجَّةً على غيرها، ولا نقول بالعصمة فيها ولا عمومِ العدالة في الصَّحابة كما يزعمه غيرنا، والله سبحانه يقول: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ**﴾[1]، ونُصوصُ القرآن بوجود المنافقين في الصحابة وانقلابهم على الأعقاب بعد وفاته كثيرةٌ.

وفي المستفيض أو المتواتر: أنّه يؤتى بأُناس منهم يوم القيامة فيؤخذ بهم ذات الشمال، فيقول النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: يا ربِّ أصحابي، فيقال له: إنّك لا تدري أنّهم ما أحدثوا بعدك[2]. وما شَجَرَ بينهم من الخلاف ـ المؤدِّي إلى التشاحن والملاعنة والمقاتلة الموجِب فسقَ أحدِ الفريقين ـ أوضحُ شاهدٍ لنفي العدالةِ عن عامّتهم.

---

(١) التوبة: ١٠١.

(٢) انظر صحيح البخاري ٥: ١٩١ ـ ١٩٢ و٢٤٠، ٧: ١٩٥ و٢٠٦ و٢٠٧ و٢٠٨، ٨: ٨٦ و٨٧، وصحيح مسلم ١: ١٥٠، ٧: ٦٧ و٦٨ و٧١، ٨: ١٥٧، وسنن ابن ماجة ٢: ١٠٦/ح٣٠٥٧، ٤: ٣٨/ح٢٥٣٩، ٥: ٤/ح٣٢١٥، وسنن النسائي ٤: ١١٧.

على أنَّ أسماء هذه متَّهَمَة فيما تقول في المختار لمكان الإِحَن المستحكِمَة بينه وبين ابن الزبير، فإنَّ عبدالله كان يطمع في أن يَضُمَّهُ إليه، ويتَّخذه عَضُداً له في قيادة الجيوش، وإخضاع البلاد له. والمختار كان على بصيرة من أمره، وسَدادٍ في عقله، يتحرّى نيل أُمنيَّته الوحيدة من إدراك الأوتار التي لم تزل تتغلغل بين صدره والتّراقي، وقد أَحْنَى عليه أضالعه منذ بُشِّرَ بتلك السعادة الرابحة، وهو يطوي الجَدِيدَين[١] يتطلَّب وليجةً إلى ذلك من أيِّ الطُّرق وَسِعَهُ، حتَّى حَسِبَ بصيصاً منه في جانب ابن الزبير؛ لأنّه قَبْلَ هلاك يزيد كان ربّما يهتف بثارات الحسين ـ عليه السلام ـ وأصحابه، ويُغري النَّاس بيزيدَ ويُوَنِّبُهُم عليه، لأنّه كان يجده أقربَ الوسائل إلى التَّنكيل به، وهدم قوى الأُمويّين.

فلمَّا هلك يزيد أعرض عنه، فبان أنَّه كان يطلب الملك لنفسه، وأنَّ ما كان بيديه من ذلك كان فَخّاً من فُخُوخه يصطاد به شيعة آل محمّد، على ما كان هو عليه من نزعته العثمانيّة، وسوابقُهُ فيها معلومة منذ عهد الجَمَل إلى أن قُتِلَ.

وإذا تواصلت الأنباء بمظاهراته تلك إلى المختار يَمَّمَهُ عساه يجد عنده بغيته، لكنّه بالرغم من حرصه على تِلْكُمُ الأُمنيّة أَلْفاه ـ بعد أَنِ اختبره رَدْحاً ـ وقد قَلَبَ له ظهر المِجَنِّ، ومَحَضَ الدَّعوةَ لنفسه، من غير ما جدارةٍ أو حِنْكَة، فانتكص عنه وقال:

[من الرَّمَل]

ذُو مَخارِيقَ[٢] وذُو مَنْدُوحَةٍ وَركابي حَيثُ وَجَّهتُ ذُلُلْ

(١) أي اللّيل والنّهار.

(٢) المخاريق: جمع مِخراق، وهو صاحب الخبرة والحنكة، يقال: هو مِخراقُ حرب، أي صاحب

لا تَــبِيتَنْ مَــنْزِلاً تَكْـرَهُهُ وَإِذا زَلَّتْ بِكَ النَّعْلَ فَـزُلْ[١]

فخرج من مكَّة متوجّهاً إلى الكوفة، وكان في طريقه ما ستقف عليه إن شاء الله تعالى من ملاقاته لهاني بن أبي حيّة الوداعي، فدخل الكوفة وهو في أُهبة التَّوثُّب.

وفي رواية القاضي التستري في «مجالس المؤمنين»: إنّه نوى الوَثْبة على ابن الزبير بمكَّة، فلقي هاني بن عروة الهَمْدَاني معتمراً وسأله عن سليمان بن صرد والشيعة، فأخبره أنّهم في وشك الخروج ينتظرون الجمع، فبارَحَ المختارُ مكَّةَ ليلاً ولَقِيَ في طريقه سلمة بن كرب، فسأله عن أهل الكوفة، فقال: إنّهم كأغنام لا راعي لها، فقال المختار: أنا الرَّاعي لهم، أرعاهم كما ينبغي، فودَّعَهُ.

فلمّا بلغ القادسيَّة عطف بسيره إلى كربلاء، فسلّم على الحسين عليه السلام وزار قبره المقدَّس وقبّله والتزمه وبكى، فحلف له بجدِّه وأُمّه وأبيه ـ صلّى الله عليهم ـ أنّه لا يلتذّ بطعام أو شراب، ولا يركن إلى دعة حتَّى ينتقم له أو يُقتل دونه، فودّعه، ودخل الكوفة ليلاً.

وصادف دخوله المدينة أنَّ ابنَ الزبير عزل والييه عليها ـ عبدالله بن يزيد الخطمي، وإبراهيم بن محمّد بن طلحة ـ وبعث عبدالله بن مطيع العدوي مكانهما، على حين أنَّ واقعة التَّوَّابين قد انصرمت، والمختارُ في وشيك النهوض، فعلم بمكان ابن مطيع، وأنَّه أكبر العراقيل الفعليّة دون مسعاه، وقد انضوى إلى رايته قَتَلَةُ الحسين عليه السلام، وهو يريد الفتك بالمختار بواسطتهم، وقد حشّد

حروب يخف فيها. ويمكن أن تكون هي المخاريق التي يلعب بها الصبيان وكنّى بها عن مهارته ومعرفته بالأساليب.

(١) البيتان في ذوب النُّضار: ٧٨.

الأُلوف: فمع شبث بن ربعي ثلاثة آلاف، ومع راشد بن إياس أربعة آلاف، ومع حجَّار بن أبجر العجلي ثلاثة آلاف، ومع عكرمة بن ربعي، وشدّاد بن أبجر، وعبدالرحمن بن سويد ثلاثة آلاف، وتابعت العساكر نحواً من عشرين ألفاً[١].

وذكر الطبري رؤساء الجيوش المبعوثة إلى الجبابِين بنحوٍ آخر، فذكر أنَّه بعث عبدالرحمن بن سعيد بن قيس إلى جَبّانة السبيع، وكعب بن أبي كعب الخثعمي إلى جَبّانة بشر، وزحر بن قيس إلى جَبّانة كندة، وشمر بن ذي الجوشن إلى جَبّانة سالم، وعبدالرحمن بن مخنف بن سليم إلى جَبّانة الصائديّين، ويزيد بن الحارث بن رؤيم أبا حوشب إلى جَبّانة مراد، وشبث بن ربعي إلى السبخة[٢].

هنالك وثب المختار فقدَّم إبراهيم بن الأشتر البطل المغوار في تسعمائة فارس، وستّمائة راجل، ونعيم بن هبيرة في ثلاثمائة فارس، وستّمائة راجل، ويزيد بن أنس في تسعمائة، وكتَّب الكتائب، وازدلف إليه جُلُّ من بايعه، والتقى الفريقان في الأزقّة والجبابين، وانتهى الثَّبات والمثابرة بأصحاب المختار إلى أن انجلت الغُبْرَة وحزبُ الله هم الغالبون، وقد أَلْجؤوا أعداءهم إلى البيوت، وأدخلوهم السِّكك، وأوى فريق منهم إلى الجامع، وحَصَرُوا ابنَ مطيع ثلاثاً حتَّى أُشير إليه بالخروج في زِيٍّ امرأةٍ ففعل، وانفلتَ إلى دار أبي موسى الأشعري فآواه. وأمَّا أصحابه فطلبوا الأمان وأُعطوه، وبايعوا المختار وأَخْلَوا له القصرَ فسكنه، والتحق ابن مطيعٍ إلى مَأْمَنِهِ شَرِيداً[٣].

---

(١) مجالس المؤمنين ٢: ٢٤٨ مترجماً عن الفارسيّة. (المؤلّف).

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤: ٤٩٦ ـ ٤٩٧.

(٣) شتّان بين ما عَمِلَهُ المختار مع ابن مطيع وأصحابه، وبين فعل مصعب بالمختار وأصحابه لمّا

هذا ما انتهى إليه أمرُ المختار مع ابن الزبير، بالرغم من مطامِعِه الأكيدةِ فيه من استعبادِ الناس، واضطهادِ الأُمّة بقوّة بأسه، وسداده وحزمه.

ولم تنقطع هذه الهاجسة من خَلَدِهِ حتَّى وجده منتكثاً عليه؛ إذ لم يجد عنده ما يبغيه. ولم يكفه ذلك حتَّى ازدلف إليه من يريد المختارُ البطشَ بهم، ومن جرّاء ذلك أفلت من يده بلاداً عريضة، وأَذهَبَ عليه الكثيرَ الهنيءَ، وتعقّب ذلك.

ثمّ كان ما كان من مهادنةِ المختارِ ابنَ الزبير ومداهنتِهِ؛ حذارَ أَن يزحف عليه هو من جهة، وجنودُ الشام من أُخرى. فرأى من الحزم أن يستكفيَ شرَّه بإظهار الطاعة له ردحاً حتَّى يفرغ من مُناضَلَةِ الأُمويِّين. فكتب إليه سرّاً ما يمنّيه الجنوح إليه، وإمداده بالجنود، ولذلك سرَّحَ شُرَحْبِيلَ بنَ وَرْسٍ في ثلاثة آلاف إلى المدينة وهو يريد أنّهم إذا دخلوها أن يبعث إليها أميراً من قِبَلِهِ ثمّ يسير ابنُ ورس إلى مكّة لمحاصرة ابن الزبير؛ لِما يعلمه من هوى ابن الزبير المضادّ للعلويّين، وأنّه سوف يكون مَلْجَأً إلى أعداء أهل بيت الوحي ـ صلّى الله عليهم ـ كما كان عامله بالكوفة باديَ ذي بَدْء.

وإنّما أظهر في كتابه خلافَ ذلك استكفاءَ شيءٍ من أمره في الطريق، وقبل الوصول إلى القصد، فإنَّ الغايَةَ هي الظَّفر بالعدوّ، ولا بأس بمخادعته بعد مشروعيّة قتاله، و«الحرب خدعة»[1].

ظفر بهم، فإنّه لمّا قتل المختار حكّم السيف في الستّة الآلاف من أصحابه الذين كانوا بالقصر، وكانوا طلبوا منه الأمان ونزلوا على حكمه. [راجع الطبري ٤: ٥٧٧] وهم ألفان من العرب، وأربعة آلاف من العجم، وقد بلغ منهم الجوع إذ نفذ ما كان أعدّ لهم المختار من الطعام. راجع الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري [٣٠٩].(المؤلّف).

(١) هذا من قول رسول الله صلّى الله عليه وآله، قاله في يوم الخندق. انظر تهذيب الأحكام ٦: ١٦٢/ح٢٩٨.

وليسَ هذا من الكذب الشّائِنِ، وإنّما كان يُخفي مكاتبته في ذلك مع ابن الزبير؛ لأنَّ نفسيّات الرعيّة تضيق ذرعاً عمّا تحتمله الساسة والأُمراء، فقد يبلغ منهم الخَوَرُ من ذلك فيكون فَتّاً في أعضاد الدَّعوة، ووَهْناً في النهضة الشريفة.

وأَعْقَبَ هذه البعثةَ غدرُ عبّاسِ بن سهل بن سعد ـ الذي بعثه ابن الزبير في أَلْفَيْنِ ـ بابنِ ورس وأصحابه وقتله، وتفرّق القومُ، وقُتِلَ من قُتِلَ منهم.

وتعقّب ذلك معضلةُ حبسِ ابنِ الزبيرِ محمَّدَ بن الحنفيّة ـ ومن معه من أهل بيته، وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة ـ بزمزم لمّا امتنعوا من البيعة، وتوعُّدُهُ إيَّاهم بالقتل والإحراق. فأُنْهِيَ خبرهم إلى المختار، فوجَّه أبا عبدالله الجدلي في سبعين راكباً من أهل القوّة، وظبيان بن عثمان أخا بني تميم في أربعمائة، وأبا المعتمر في مائة، وهاني بن قيس في مائة، وعمير بن طارق في أربعين، ويونس بن عمران في أربعين.

وكتب إلى محمَّدٍ مع الطُّفيل بن عامر، ومحمّد بن قيس بتوجيه الجنود إليه، فساروا حتَّى دخلوا مكّة وانتهوا إلى زمزم، وطردوا الحرس، وأخرجوهم من الحبس. وجاء ظبيان بن عمارة في مائتين ومعه المال، وخافهم ابنُ الزبير، فخرج محمَّد ومن معه إلى شعب علي وهم يسبّونَ ابن الزُّبير ويستأذنون ابن الحنفيّة في القتال فيمنعهم. فاجتمع مع محمّد في الشعب أربعة آلاف رجل، فقسَّم بينهم ذلك المال.

وتجد تفصيلاً من هذه الحوادث في «تاريخ الطبري»(١).

بهذه وأمثالها كان العداء يحتدم، وتستحرُّ الإِحَنُ بين الرجلين، وكلٌّ يضمر

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤: ٥٤٠ ـ ٥٤٥. وذكر ذلك أيضاً ابن الأثير في الكامل ٤: ٢٤٥ ـ ٢٥٢.

الفتكَ بصاحبه والنيل منه، حتَّى كان من أمر مصعب بن الزبير وقيادته العساكر وقتل المختار ما كان.

وبطبع الحال كان هناك من شَناشِنِ الجائرين ما هو معروفٌ من دَأْبِهِمْ؛ من أنَّهم إذا بغوا البطش بعدوّهم تقوّلوا عليه ما يُعَذِّرُهُم عند الدَّهْماء، من مروق عن دين، أو سعيٍ وراء عَيْث، أو تحيّز إلى فئة أجنبيّة.

بلغ من ذلك أنَّ الأُمويّين لمَّا قتلوا الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ قذفوه بالخروج على خليفة عصره! ولم تبرح تلك الفِرْيَةُ منطليةً على السُّذَّج حتّى قال قائلهم: إنّه قُتِلَ بسَيْفِ جَدِّهِ[١].

وقال المؤرّخ المصري الأخير[٢]: إنَّ خروجه ـ عليه السلام ـ كان بعد انعقاد البيعة ليزيد وتمام شروط الخلافة له، وقبل أن يبدوَ منه ما يُنافي ذلك المنصب[٣].

وبالأمس حَدَتِ القِحَةُ والصَّلَفُ النَّشاشِيبيَّ حتَّى قال في كتابٍ له[٤]: إنّ يزيد مُوْجِدَ فَمَجَدَ، وسُوبِقَ فسَبَق، وإنّه ذلك الفتى العربيّ الذي أعاد للعرب مجدها.

---

(١) قال هذه المقولة الجائرة المُسِفّة أبوبكر بن العربي المالكي، وقد نقل ذلك عنه الآلوسي في تفسيره ٢٦: ٧٣، والمنّاوي في فيض القدير ١: ٢٦٥.
وكذلك قالها ابن خلدون، لذلك كان الحافظ الشهير أبوالحسن الهيثمي يبالغ في الغضّ منه، ويلعنه ويسبّه. انظر الضوء اللّامع للسخاوي ٤: ١٤٧. وقد نبّه على أنّ هذه الكلمة غير موجودة في النسخ الموجودة من تاريخ ابن خلدون، لكنّها كانت موجودة في نسخة الهيثمي.

(٢) هو الشيخ علي محفوظ أحد مدرّسي الأزهر.

(٣) الإبداع في مضارّ الابتداع: ١٢٠.

(٤) الظاهر أنّه محمّد إسعاف النشاشيبي، الذي ولد وعاش في القدس، ومات في القاهرة سنة ١٣٦٧، له كتاب «الإسلام الصحيح» تهجّم فيه على الأئمّة وعلى الشيعة، وقد ردّه السيّد محمّد ابن السيّد مهدي ابن السيّد صالح الكشوان الكاظمي القزويني بكتابٍ سمّاه «الإيمان الصحيح».
انظر الذريعة ٢٦: ٧٩/ الرقم ٣٧٥، والأعلام للزركلي ٦: ٣٠.

يا خَسِرَتِ العربُ ذلك الفتى وذاك المجدَ الكاذب إن كان هـو يـعيده. ليتَ شعري أيَّ مجدٍ أعاده يزيدُ الخنا؟ يزيدُ العهر والفجور، يزيدُ المعازف والخمور، يزيدُ الطنبور والعُود، يزيدُ القُرود. وأيُّ بيعة انعقدت له غيرُ ما سلف من بوائق معاوية وطامّاته من أخذها له بالتّرعيد والتّرهيب؟ ومتى حاز يزيدُ حِنْكَةَ الملك فضلاً عن الخلافة الإلهيّة حتّى عاد ابنُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خارجاً عليه مع نصّ جدِّه وأبيه وأخيه به، واجتماع شرائطها فيه؟

[من البسيط]

إن دامَ هٰذا ولَـم يَـحْدُثْ لَـهُ غِـيَرٌ   لَمْ يُبْكَ مَيْتٌ ولم يُفْرَحْ بِمَوْلُودِ[١]

لم يك هذا باكورةً مِنْ عَمَلِ آل أبي سفيان وقولهم، فلقد اقتفى القردُ فيه أَثَرَ أبيه يوم كان يلقّن زبانيته بأنّ أميرَالمؤمنين سلام الله عليه خارجيٌّ غيرُ معتنق لشيء من مبادئ الإسلام هو وأصحابه وأنّهم لا يُصَلُّون[٢] ـ ويا فُضَّ فَمُ المُفْتَرِي ـ وكان يقنُتُ بلعنه ولعنِ وَلَدَيْهِ وابنِ عبّاس ومالك الأشتر[٣].

وهذا النشاشيبي يصفُ عليّاً عليه السلام ـ في عصر النور، في إسْلامِهِ الصَّحيح ـ بالخارج على معاوية أبي يزيد بدل الابدال!!

وإذا تسلَّلَ إلى الجحفل العلويِّ أُناسٌ من لفيف الشّام ليلاً بصفّين يتجسَّسون

---

(١) هو ثاني بيتين في شرح النهج ٣: ٣٤٥ دون عزو، وهما:

هـذا الزمـان الذي كـنّا نـحاذره   فيما يحدّثُ كعبٌ وابن مسعودِ
إن دام هـذا ولم تـعْقِبْ له غِـيَرٌ   لم يُبْكَ مَيْتٌ ولم يُفْرَحْ بمولودِ

(٢) انظر وقعة صفّين: ٣٥٤ ففيه خروج شابٍّ شاميّ يلعن أميرالمؤمنين عليه السلام ويشتمُه، وحين سأله هاشم المرقال عن ذلك قال: فإنّي أُقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يُصلِّي كما ذُكِرَ لي، وأنّكم لا تُصَلُّون. وانظره في تاريخ الطبري ٤: ٣٠، وتاريخ ابن الأثير ٣: ٣١٣، والفتوح لابن أعثم ٣: ١١٨.

(٣) انظر وقعة صفّين: ٥٥٢، وتاريخ الطبري ٤: ٥٢.

الخبر ـ ويسترقون السمع، فإذا بالقوم بين راكع وساجد، وقائم وقاعد، وتالٍ وعابد، ولهم دويٌّ كدويِّ النحل ـ داخَلَهُم العَجَب، وعرفوا مقدار صاحبهم معاوية من الصِّدق والأَمانة(١)!!

إلى غير هذه ممّا سبق لأئمّة الجور في تدنيس ذيلِ من يَبْغُونَ به الغوائلَ ليمثِّلوا باطلَهُم بصبغة دينيّة.

فبقضاء الطبيعة أنَّه كان في الديوان الزبيري وبلاطه، وبين لفيفه وبطانته، جَلبَةٌ ولَغَطٌ وصَخَبٌ وطنينٌ في إسقاط المختار عن الأعين بأنواع من القذائف والتُّهَم، من إلحاد، وفسق، وكذب، وغيرها.

فليس من البِدْع أَنّ «أَسماء» لهجت بما اعتاد لسانها من التَّقوّل على رَجُلِ الصدق والأمانةِ منذ رَدْحٍ، أو أنّها كانت تعتقد خلافةَ ابنها فيلزمها حينئذٍ أن تزعم أنّ المناوئ له ضالٌّ في عمله، مُضِلٌّ بدعوته. وأمَّا الَّذي لا يرى ابن الزبير إلَّا حائداً عن الطريقة المثلى، فليس عليه البخوع لمزعمةٍ تافهةٍ جاءت بها ذات النِّطاقين مع تسليمِ صحَّة نسبتها إليها، ودونَ إثباتِ ذلك مهامِهُ فِيحٌ(٢).

وما شرحته لك هو الوجه في اتِّصال المختار بابن الزبير، وانفصاله عنه، وانقلابه عليه، لا ما حدّثت ذا الرَّأْي القاصر هواجِسُه، من أنَّ الحاديَ له على أعماله المتضادّة نَهْمَةُ التّسلّط وشَرَهُ الحاكميّة، فكَانَ في تقلّباته تلك يبغي

---

(١) لذلك قال هاشم المرقال للشاب الشامي: وأمّا قولك: إنّ صاحبنا لا يصلّي، فهو أوّل مَن صلّى مع رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأفقهه في دين الله، وأولاه برسول الله صلّى الله عليه وآله، وأمّا من ترى معه فكلّهم قارئ الكتاب، لا ينامون اللّيل تهجّداً، فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون.

(٢) مهامِهُ فِيحٌ: المهامه: جمع مَهْمَة: الصحراء. والفِيح: جمع فيحاء: الواسعة.

ما يقوده إليه جشعه، من أيِّ الطرق حَصَل؛ من إمارةٍ، أو وزارةٍ، حتّى ساعدته المقادير على الاستقلال أخيراً شأنَ الزَّعانِفَةِ من ثَوَّارَةِ التَّغلُّبِ.

ومن أجل ما ذكرناه استفحلت البغضاء بينه وبين ابن الزبير، واستشرى الحقد، حتّى استحرّ القتال بينهما، فَفَجَرَتِ السِّياسةُ القاسية الزبيريّة، لا ما عَرَفْتَهُ عن رواة السوء ـ من أنَّ السَّبب في ذلك اتّصال نبأ ادّعائه الوحي إليه، وقد أسلفنا في تفنيده ما فيه كفاية ـ ولا ما حسبه ابنُ حجر في «الإصابة»: من أنَّ مصعباً قَوِيَ عليه بكثيرٍ من أهل الكوفة ممّن كان دخل في طاعة المختار، ورَجَعَ عنه لِما تبيَّن له من تخليطه وأكاذيبه، وقد ذكر محمّد بن سعد في ترجمة محمّد بن الحنفيّة من ذلك أشياء...[1] إلخ.

وقد أوقفناك على ما لِأَجله فارقَ القومُ المختارَ، وذلك برواية الثِّقات الأَثبات، وأنّه لم يكن لمفارقيه إلّا غايات مادّيّة، وشخصيّات لا يَحدُوها إلّا الشَّرَهُ المُهْلِك.

وإنّ من الجائز في معنى رواية أسماء ـ على فرض صدورها عن صاحب الرسالة ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أن تكون الصّفتان معاً لشخص واحد، فكأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم تنبّأ بوجود شخصٍ يأتيَ بعده أظْهَرُ ما فيه من المذامِّ أنّه كذّابٌ ومبيرٌ. والوصفان من أجلى ما يُؤثَر عن الحجّاج عليه لعائن الله.

ومثل هذا شائع مطّرِد، غير أنَّ أَسماء لم يك في وسعها الإصحار بذلك وهي بين النَّابِ والمخلب، وقاتلُ ابنِها نصب عَيْنَيْها، ولا تأمن بادرته، وهو ذلك الشّقيّ الوالغ في الدماء.

جَيْرِ[2]، لم يكن الحجّاج يأبى من تطبيق المبير به، وهو يعلم مكانة نفسه من

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٧ ـ ٢٧٨/ الترجمة ٨٥٦٧.

(٢) جَيْرِ: بمعنى أَجَلْ.

سفك الدماء، وإنْ مَوَّهَ الحقيقةَ بادِّعاء استحقاقِ تلكم النفوس المُزْهَقَةِ للقتل، غير أنّه ما كان يتطامن لأن يقال: إنّه كذّاب، على أيٍّ من الوجوه. فأيُّ مستأسِدٍ يجترئ بأن يقول فيه الواقع بلا تورية، والإمرةُ معقودةٌ له، ورايةُ النّصرِ تخفق على رأسه، فضلاً عن امرأة موتورة؟! لكنْ كان يسعها أن تورّي بأنّها رأت الكذّاب تعنيه، وهو يحسب أنَّها تريد غيره، وأمّا المبيرُ فهو هو.

هذا وجه القول في الرواية من كُلِّ أنحائها على تقدير تسليم ثبوتها عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ إذا غضضنا الطَّرْف عن رواتها الَّذين ارتضاهم أهل الخلاف لأئمّة أهل البيت عليهم السلام.

لكنَّ ابنَ حجر كالغريق يتشبَّث في تشويه سمعة المختار بكلِّ شيءٍ، حتَّى إِنَّه جعل هذه الرّواية ـ منضمَّةً إلى الخيانة التي ذكَّرناك بها في نقلها ـ أقوى ما ورد في ذمّه. ثمّ ذكر أشياء أسلفناك تفنيدها، ثمّ قال: وقتلَ المختارُ محمَّدَ بنَ عمّار بن ياسر ظلماً، لأنّه سأله أن يحدّث عن أبيه بحديثٍ كذبٍ، فلم يفعل، فقتَلَهُ، وهذا ما ذكره أبو عمر في ترجمته...[1] إلخ.

وقد استوفينا إلى هنا ذكر كُلّ ما جاء به ابن حجر فيما زعم أنّه يَمَسُّ كرامةَ المختار، وحَسْبُهُ من أخبارِهِ ـ التي وصفها بأنّها رديئة أو غير مرضيّة ـ أنّه حكاها عنه ثقاتٌ مثل الشعبي وغيره!!

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٦: ٢٧٦/ الترجمة ٨٥٦٧.

كأنّ في الكلام هنا سَقْطاً، وما ذكره عن أبي عمر لم نجده في الاستيعاب، ولم يرد حديث مسند في مقتل محمّد بن عمّار بن ياسر، نعم روى الطبري في تاريخه ٤: ٥٢٩ عن أبي مخنف، عن مالك بن أعين الجهني: أنّ عبدالله بن دبّاس هو الذي قتل محمّد بن عمّار بن ياسر. وكان محمّد هذا زبيريّاً شقيّاً. انظر قاموس الرجال للتستري ٩: ٤٧٦ ـ ٤٧٧/ ترجمة محمّد بن عمّار بن ياسر برقم ٧٠٩٩.

[روايات سقيمة في كذب المختار]

وروى الكشّي، عن أبي عبدالله عليه السلام: أنّ المختار كان يكذب على عليّ ابن الحسين عليهما السلام[١].

قال السيّد ابن طاووس في «التحرير الطاووسي»: هذا الحديث يحتاج إلى تعديل[٢]. وفي سنده حبيب الخثعمي، وهو مشترك بين الأحول المجهول، وابن المعلّل المقبول، وليس في السند من مميّزات أحدهما شيءٌ[٣].

وسيأتي أنّ الإمام الصادق عليه السلام ترحّم عليه، وأنّ أباه الباقر سلام الله عليه نفى عنه الكذب، وشَكَرَ مساعِيَهُ فيهم، وأنّ جدَّه الإمام السجّاد جَزاه خيراً. وكلُّ هذا لا يلتئم مع هذه الرواية، فلو كانوا يعرفون شيئاً منها لَما صدر منهم كُلُّ ذلك.

وفي رواية أُخرى للكشّي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كتب المختار بن أبي عبيد إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام، وبعث إليه بهدايا من العراق، فلمّا وقفوا على باب عليّ بن الحسين عليهما السلام، دخل الآذن يستأذن لهم، فخرج إليهم رسوله فقال: «أَمِيطُوا عن بابي فإنّي لا أقبل هدايا الكذّابين، ولا أقرأ كتبهم»، فمحوا العنوان، وكتبوا: للمهديّ محمّد بن عليّ.

فقال أبو جعفر: والله لقد كتب إليه بكتاب ما أعطاه فيه شيئاً، إنّما كتب إليه: يا ابن خير من طَشَى ومَشى. قال أبو بصير: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: أمّا

---

(١) رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال) ١: ٣٤٠/ح١٩٨.

(٢) التحرير الطاووسي: ٥٥٨/ الترجمة ٤١٨.

(٣) انظر هامش التحرير الطاووسي: ٥٥٨.

المَشْيُ فأنا أعرفه، فأيُّ شيء الطَّشْيُ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: الحياء[(١)].

وفي طريقه العبيدي، وهو محمّد بن عيسى، وضعفه ظاهر. وطعن بالسند السيّد في التحرير الطاووسي[(٢)]، وسيأتي أنَّ الإمام عليه السلام قبل هداياه غير مرّة، وكانت له وقفة في مرّة منها، ويأتي الوجه فيها إن شاء الله تعالى.

وأعجب من تينك الروايتين ما رواه الكشّي ـ في ترجمة محمّد بن أبي زينب أبي الخطّاب ـ عن أبي عبدالله عليه السلام: من أنّ مسيلمة كان يكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وابن سبأ على أميرالمؤمنين عليه السلام، وكان أبو عبدالله الحسين ـ عليه السلام ـ قد ابتُلِيَ بالمختار.

وفي متن هذه الرواية ما يُوهِنها، فإنّ المختار ما كان يعزو إلى السبط الشهيد ـ صلوات الله عليه ـ شيئاً من أمره، ولا قال: «إنّه قال لي: خذ بثاري»، أو «أرسلني إليكم لتطلبوا تِراته»[(٣)]. وإنّما كان يدعو إلى دَرْك الأوتار، ويدعم دعوته بأمر الإمام السّجّاد عليه السلام طوراً، وبقول ابن الحنفيّة تارةً؛ لِما نبّهنا عليه فيما مضى، وسنزيده إيضاحاً إن شاء الله تعالى.

فما معنى ابتلاء الإمام عليه السلام بأكاذيبه عليه كما ابتُلِيَ سلفه الطاهر بأكاذيب مَنْ قَبْلَه؟

ولو كان الإمام عليه السلام يعرف شيئاً من هذا لَما ترحّم عليه هو وأبوه وجدّه، فليس هذه الكَلِمُ إلى لداتها إلّا ممّا قاله بعض العلماء: من أنّها صدرت إمّا لغباوة

---

(١) رجال الكشّيّ (اختيار معرفة الرجال) ١: ٣٤١/ح ٢٠٠.

(٢) انظر التحرير الطاووسي: ٥٥٩/ الترجمة ٤١٨، حيث قال: العبيدي وهو محمّد بن عيسى، وضعفه ظاهر.

(٣) التِّراتُ، بكسر التاء: جَمْعُ التِّرَة، أي الثأر.

الراوي، أو عناده. أو ممّا قاله العلّامة الحجّة الحاج المولى علي العلياري في «بهجة الآمال»: من أنّ أخبار القدح فيه مُنشآت العامّة العمياء[١].

وقال الفقيه ابن نما في «ذوب النُّضار»: وإنّما أَعداؤُهُ ـ يعني أعداء المختار ـ عملوا له مثالبَ ليباعدوه من قلوب الشيعة، كما عمل أعداء أميرالمؤمنين عليه السلام له مساوئ، وهلك بها كثيرٌ ممّن حاد عن محبّته ومال عن طاعته، فالوليُّ له عليه السلام لم تغيّره الأوهامُ، ولا باحته[٢] تلك الأحلام، بل كشفت عن فضله المكنون، وعن علمه المصون، فعمل في قضيّة المختار ما عمل مع أبي الأئمّة الأطهار...[٣] إلخ.

وإنّ القوم بلغ بهم التّركاض إلى أن يعزوا إلى أئمّة الدين ما يُزَوِّقُ[٤] ما عندهم من الباطل المكذوب.

فالقول الفصل هو ما حدّثَ به الكشّي، عن محمّد بن الحسن وعثمان بن حامد، عن محمّد بن يزداد، عن محمّد بن الحسين، عن موسى بن يسار، عن عبدالله بن الزبير، عن عبدالله بن شريك، قال: دخلنا على أبي جعفر عليه السلام يوم النحر وهو مُتّكِئٌ، وقد أرسل إلى الحلّاق، فقعدتُ بين يديه، إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة فتناول يده ليقبّلها فمنعه، ثمّ قال: من أنت؟ قال: أنا أبو محمّد الحكم بن المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان متباعداً عن أبي جعفر

(١) بهجة الآمال في شرح زبدة المقال ٦: ٢٠٠. وهذا هو الرأي الأصوب، خصوصاً وأنّ الكّشي كان عاميّاً ثمّ استبصر.

(٢) كذا. ولعلّها باءَتْهُ.

(٣) ذوب النُّضار: ١٤٦.

(٤) ما يزوّق: ما يزيّن ويُبهْرِج.

عليه السلام، فمدَّ يده إليه حتّى كاد يُقْعِدَهُ في حِجْرِهِ بعد مَنْعِهِ يَدَهُ.

ثمّ قال: أصلحك الله، إنَّ الناس قد أكثروا في أبي وقالوا، والقولُ واللهِ قولُكَ.

قال: وأيَّ شيءٍ يقولون؟

قال: يقولون إنّه كذّاب، ولا تأمرني بشيء إلَّا قَبِلْتُهُ.

فقال: سبحان الله! أخبرني أبي والله أنّ مَهْرَ أُمِّي كان ممّا بعث به المختار، أَوَلم يَبْنِ دورنا؟ وقتل قاتلينا؟ وطلب بدمائِنا؟ فرحمه الله. وأخبرني واللهِ أبي أنّه كان لَيَسْمُرُ عند فاطمة بنت عليٍّ عليه السلام يمهّد لها الفراش، ويثني لها الوسائد، ومنها أصاب الحديث، رحمَ اللهُ أباكَ، رحمَ اللهُ أباكَ، ما ترك لنا حقّاً عند أحدٍ إلَّا طلبه، قتل قَتَلَتَنا، وطلب بدمائِنا[١].

ورواه الفقيه ابن نما في «ذوب النُّضار» وذكر في روايته التَّرَحُّمَ عليه ثلاثاً[٢]. وذكره ابن داود في رجاله معتمداً عليه. ورواه القاضي في «مجالس المؤمنين» عن بعض الكتب[٣].

وفي «شرح نهج البلاغة» للعلّامة السيّد الميرزا حبيب الله الخوئي قدّس سرّه ـ بعد أن أفاض القول في الذبّ عن المختار ـ ما لفظه: ويكفي في فضله ما رواه الكشّي... وذَكَرَ الحديث[٤].

ولابدّ من أنّ الإمام عليه السلام عرف منه صدقَ النيّةِ، ومطابقةَ ضميره لما كان يُظْهِرُهُ، ويَتَهالك فيه من الذبّ عن كيان البيت العلوي، وتركاضَهُ في أخذ الثار،

(١) رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال) ١: ٣٤٠/ح١٩٩.

(٢) انظر ذوب النُّضار: ٦٢.

(٣) انظر مجالس المؤمنين ٢: ٢٤٦.

(٤) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢: ٢٦٧.

واستئصالِ شأفة الأعداء، وصِلَةِ أهل البيت بالأموال، وخدمتهم رجالاً ونساءً، ورواية حديثهم. وإلّا كان جوابه عليه السلام مبتوراً عمّا قبله من السؤال. ولم يكُ صلوات الله عليه بالذي يُداهن أو يصانع، أو يغري بالجهل بمدح كَذّابٍ، أو مبتدعٍ في دين، أو جانحٍ إلى دعاية مضلّة من إمامةِ من ليس له الإمامة، أو دعوى نبوّة باطلة، لمحضِ أنّه وصل أباه بمال، أو قَتَلَ له عدوّاً، أو أنّ ابنَهُ بحضرته، فيكون قد اتّخذ المضلّين عَضُداً، وتَتَّخِذُ أكاذيبُ الرَّجُلِ بذلك الذَّبِّ والتَّقريظِ أصلاً يُدانُ به.

والملمّ بسير المعصومين عليهم السلام جدُّ عليم بأنّهم ما كانوا يَدَعُونَ التّنديد حتّى بأوليائِهم متى أحسُّوا منهم بسَقْطَةٍ في الدين، وذلك شأنُ مَنَصَّتِهم، ووظيفةُ منصبهم، فكيف يَغُضُّون الطَّرْفَ عن مُضِلٍّ في دعوته، كذب عليهم وعلى نحلتهم في قِيلِهِ؟ لولا أنَّ أعداء الرَّجُل ـ وهم الحَشْدُ العرمرم، أو السَّيل العَرِم، من منافسي أهل بيت العصمة ـ صلوات الله عليهم ـ وضعوا عليه مثالبَ لِما جَرَّ على قومٍ منهم وعَلَى أسلافِ آخرين من الويلات، على ما كانت هنالك لساسة تلكم العصور من أغراضٍ مستهدفة راموا بها توطيدَ دعائم سلطتهم وكلاءَتها عن الثورات الجانحة إلى هوى آل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، وذلك بتنفير الملأ عن الناهضين بها، وتمثيلها في صورة مصغَّرة تنفر عنها الطباع. فكان من ولائد تلك الجَلَبة هذه الروايات المدسوسة خلال الكتب، والموضوعة بأسماء الرواة، أو الضعيفة لضعف رواتها، وهم في ذلك كما قُلْتُ:

[من الوافر]

وَحادَ عَنِ الهُدَى نَذْلٌ رَماهُ ... ولَمّا يَرْعَ لِلْعَلْيا حُقُوقا

فَذا بَطَلُ الهُدَى المُخْتارُ نَـدْبٌ   هُـمَامٌ جـاءَ مُـخْتاراً صَـدُوقا

وإلى بعض ما فصَّلناه يوعز سيّدنا الطاهر أحمد بن طاووس منضمّاً بتقرير العلّامة ـ صاحب المعالم ـ في «تحريره الطاووسي» لرجاله، بعد أن دحر كلَّ ما روي في المختار من غميزة، بما لفظه: إذا عرفت هذا فإنّ الرجحان في جانب الشكر والمدح ولو لم تكن تهمة، فكيف ومثله مَوْضِعٌ أن تُتَّهَمَ فيه الرواة، ويُسْتَغَشَّ فيما يقول عنه المحدّثون[١]... إلخ.

ورمى العلّامة الحاج الميرزا حبيب الخوئي في «شرح نهج البلاغة» تلك الروايات بالضعف والمعارضة[٢].

ولذلك فإنّ الشيخ عليّ بن الحسن بن موسى العاملي الكاظمي مولداً، المروزي[٣] في كتابه «قرّة العين في شرح ثارات الحسين عليه السلام» الذي فرغ منه سنة ١٢٢٧، رَجَّحَ حُسْنَ حال المختار، وحكى ذلك عن ابن نما والشيخ أحمد الحدّاد[٤] وصاحب «الدرّ النَّضيد»... وغيرهم[٥].

وابن داود في رجاله زيّف كُلَّ ما روي في الطعن عليه، واعتمد على الأحاديث

---

(١) التحرير الطاووسي: ٥٦٠/ الترجمة ٤١٨.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢: ٢٦٧، ونصُّهُ: إذ الأخبار في ذمّه وإن كانت كثيرة إلّا أنّها مع ضعف سندها معارضة بأخبار المَدح.

(٣) كذا، والصواب «المروي»، نسبة إلى جدّه «موسى مروة»، وإلّا فهو عامليٌّ أباً وجدّاً، كاظميّ مولداً. انظر تكملة أمل الآمل: ٢٨٧/ الترجمة ٢٦٦.

(٤) جمال الدين أحمد بن محمّد ابن الحدّاد الحلّي من علماء المائة الثامنة من تلمذة العلّامة. له عن تاج الدين ابن معيّة إجازة مدبّجة، والشهيد يروي عنه قراءة عاصم والكسائي. (المؤلّف).

(٥) نقل كلُّ ذلك عنه الآغا بزرك الطهراني في الذريعة ١٧: ٧٢/ الرقم ٣٨٠ «قرّة العين في شرح ثارات الحسين عليه السلام».

المادحة[١] كهذا الحديث وغيره ممّا يأتي إن شاء الله تعالى.

وآية الله العلّامة الحلّيّ لم يَرُقْهُ ما جاء من نقص فيه، ولأجل ذلك ذَكَرَهُ في القسم الأوّل من «الخلاصة» المعقود لمن يعتمد عليهم وعلى صدق روايتهم في الحديث، وذَكَرَ فيه ترحُّمَ الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ عليه، ونَهْيَ الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام عن سبّه، وتأبينَهُ له، وذِكْرَهُ لأَياديه الواجبة في أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم[٢]، وتبعه على ذلك جماعةٌ من العلماء تأتي أسماؤهم إن شاء الله تعالى.

والمحقّق الأردبيلي في «حديقة الشيعة»[٣] والقاضي نور الله التُّستري في «مجالس المؤمنين»[٤] وقطب الدين الإشْكِوَرِي، إِلْبٌ واحدٌ في الذَّبِّ عن الرجل، وقد أغرقوا نزعاً في بيان حسن حاله وشكره على كريم أعماله.

والمحقّق الشيخ سليمان الماحوزي في «بُلْغته» بعد نقل الخلاف فيه قال: إنَّ الظاهر مدحه[٥].

هؤلاء إلى كثيرين من فطاحل العلماء سوف نذكرهم في تضاعيف هذه الرسالة ـ إن شاء الله تعالى ـ أطبقوا جميعاً على الرضا بالمختار في صِدْقه وأمانته في عقيدته، وإيمانه في هَدْيه وهُداه، في مجده وعلاه.

---

(١) انظر رجال ابن داود: ٢٧٧ ـ ٢٧٨/ الترجمة ٤٩٣.

(٢) انظر خلاصة الأقوال: ٢٧٦/ الترجمة ٢ من الباب ٨.

(٣) انظر حديقة الشيعة: ١١٣.

(٤) انظر مجالس المؤمنين ٢: ٢٤٧ ـ ٢٥٠.

(٥) انظر بلغة المحدّثين المطبوع مع معراج أهل الكمال: ٤١٧، ط: مطبعة سيّد الشهداء.

المختار والوقيعة فيه

كانت القذائف تتهاوى على المختار، لِما تبعثُ إليه عوامل الحقد في قوم، وبواعث الشُّبَه في آخرين، لِما في صحائف التاريخ من تمويهات أجلوها في صورة مكبَّرة، ومن جرَّاءِ ذلك كانت تلهج أَشداق أُناسٍ بعيدين عن الحقائق، وتدورُ في لهوات من ينصبون العداءَ لها هَناتٌ، لو صدقت وَرَطاتُ القالَةِ فيها لكانَ حقّاً ما شَنُّوه على المختار من غارة شعواء، غير أنَّا نبَّهناك على مَقِيلِ تلكم التهويلات من الواقع، ومحلّها من مستوى الحقيقة، ولعدمِ الوقوفِ على نفس الأمر سَرَتِ الوقيعةُ في الرَّجُل إلى نفرٍ من الشيعة.

قال القاضي التستري في «مجالس المؤمنين»، وقطب الدين الإشكوري في «محبوب القلوب»: إنّه لا خلاف للشيعة في حُسنِ عقيدته، وإنَّما نقموا منه أَعمالاً فنالوا منه، ولمَّا بلغ ذلك الإمامَ الباقرَ عليه السلام مَنَعَهُمْ عن ذلك ...[1] إلخ.

وفي «حديقة الشيعة» للمحقّق الأردبيلي: إنّه عليه السلام منع أُناساً كانوا ينالون منه[2].

وذلك ما رواه الكشّيّ، عن حمدويه، عن يعقوب، عن ابن أبي عمير، عن

---

(١) مجالس المؤمنين ٢: ٢٤٧، محبوب القلوب:

(٢) انظر حديقة الشيعة: ١١٣.

هشام بن المثنّى، عن سدير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «لا تسبّوا المختار، فإنّه قد قتل قتلتنا، وطلب بثأرنا، وزوّج أراملنا، وقسّم فينا المال على العسرة»[١].

ورواه الفقيه ابن نما في «ذوب النُّضار»[٢]. واعتمد عليه ابن داود في «رجاله» عند ردّه قذفه بالكيسانيّة[٣]. واعتبره آيةُ الله العلّامة في «الخلاصة» واقتصر عليه وعلى رواية ابن عقدة الآتية إن شاء الله تعالى، وبهما لم يَأْبَهْ بما قيل، أو رُوِيَ فيه ممّا ينافي ذلك مع إيعازه إليها، وذكره في القسم الأوّل المعقود لذكر من يعتمد عليهم، وذكر أنّ طريق الحديث إليه حَسَنٌ[٤]، وسبقه إلى ذلك جمال الدين السيّد أحمد بن طاووس قدّس سرّه في «رجاله» منضمّاً إلى تقرير العلّامة صاحب «المعالم»[٥].

وإنَّ من تَنَظَّر في حُسن الإسناد فهو ناظر إلى جهالة «هشام بن المثنّى»، وقال: إنّه إمّا مُصحَّف أو مجهولٌ، لكنَّ شيخنا الشهيد الثاني ذكر في «حاشية الخلاصة»: أنَّ صوابه «هاشم»[٦]. وتبعه على ذلك الشيخ عبدالنبي الجزائري في «الحاوي»[٧]، والإمام المجدّد الوحيد البهبهاني في «تعليقته على الرجال الكبير»[٨]، وجنح إليه

(١) رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال ١: ٣٤٠/ح١٩٧.
(٢) انظر ذوب النُّضار: ٦٢.
(٣) انظر رجال ابن داود: ٢٧٧/ الترجمة ٢ من الباب ٨.
(٤) انظر خلاصة الأقوال: ٢٧٦/ الترجمة ٢ من الباب ٨.
(٥) انظر التحرير الطاووسي: ٥٥٨/ الترجمة ٤١٨.
(٦) انظر حاشية الشهيد الثاني على خلاصة العلّامة (خ): ٣٧، نسخة السيّد محمّد صادق بحر العلوم.
(٧) انظر حاوي الأقوال ٤: ٣٢٣/ الترجمة ٢١٩٦.
(٨) انظر تعليقة الوحيد البهبهاني على منهج المقال: ٣٣٢ و٣٥٧.

الشيخ أبو علي في «منتهى المقال»[١]، وهاشم هذا ثقة. وعلى العِلّاتِ: فإنّ مَنْ قَبِلَهُ ابنُ أبي عمير، وهو من أصحاب الإجماع، فلا ضير لو كان مَنْ بعدَهُ مجهولاً.

وتبع القوم في الاعتماد على هذا الحديث فئة من علمائنا منهم: السيّد المصطفى [التفريشي] في «نقد الرجال» حيث اقتصر في ترجمة المختار وشرح حاله ومحلّه من رواية الحديث على عبارة «الخلاصة»[٢]، على حين أنّ روايات الذّمّ كانت بمشهدٍ منه، وإنْ هو إلَّا للرُّكُونِ منه على ما ارتكن عليه العلّامة، وإلَّا لأَصْحَرَ بما عنده.

ومنهم السيّد يوسف بن محمّد بن محمّد بن زين الدين الحسيني العاملي في كتابه «جامع الأقوال»، فقد فعل مثل ما فعله السيّد المصطفى، وطعن في الهامش في أسانيد بقيّة ما ورد في المختار[٣]، وهو بمفهومه يدلّ على اعتباره سند هذا الحديث علاوةً على ما عرفت.

ومنهم شيخنا العلّامة الشهيد الحاج الميرزا إبراهيم الخوئي في كتابه «ملخّص المقال» حيث صنع مثل صنعهما، ثمّ أردفه بما نصّه: «كون الرجحان في جانب الشكر والمدح غير بعيد، كما مال إليه: د، وطس، وكش»[٤]. يعني ابن داود، وابن طاووس، والكشّي.

ومنهم العلّامة السيّد حسين البروجردي في أُرجوزته الرجاليّة «زبدة المقال» قال:

---

(١) انظر منتهى المقال ٦: ٢٤١/ الترجمة ٢٩٥٢.

(٢) انظر نقد الرجال ٤: ٣٥٧/ الترجمة ٥٢٠٠.

(٣) ليس بين أيدينا كتاب (جامع الأقوال في معرفة الرجال).

(٤) ملخص المقال (حجري): ٢٦٥.

مُختارٌ المُخْتارُ وَهْوَ ابنُ أَبـي عُبَيدٍ الثَّقْفِيُّ كَشْ[١] لا تَسْبُبِ
فـإِنَّهُ مُـعاوِنُ الأَطْـهارِ وطـالِبُ الثّـارِ مِـنَ الكُـفّارِ[٢]

فإنَّك تجد في صريح نظمه أنَّه مُسْتَنِدٌ في جعل الرَّجُلِ مختاراً إلى النَّهي عن سَبِّه، وليس شيء منه في غير هذا الحديث.

ومنهم العلّامة الحاج المولى عليّ العلي ياري التبريزي في «شرح الأُرجوزة» المذكورة «بهجة الآمال»، فقد أغرق نزعاً في إثبات ما نظمه الماتن قدّس سرّه، وزاد على مفاده بما ساعدته عليه ظروفه، وفي نهاية المطاف عزا ما عُمِلَ في ذمّ المختار إلى تقوُّلات العامّة[٣].

ومنهم الرجالي الكبير الشيخ أبو علي في «منتهى المقال»، قال: أمّا عدم جواز سبّه فلا إشكال فيه، ولا شبهة تعتريه وإن لم يرد في ذلك خَبَرٌ فكيف مع وروده مع حسن الطريق كما نصّ عليه «مه»[٤]، وقبله «طس»[٥]، وهشام مصحّف هاشم كما ذكره «شه»[٦] وبعده الفاضل «ع ب»[٧]، وبعدهما الأُستاذ العلّامة[٨]، وتبع

---

(١) رمز إلى رجال الكشّي.
(٢) انظر بهجة الآمال في شرح زبدة المقال ٦: ٢٠٠.
(٣) انظر بهجة الآمال في شرح زبدة المقال ٦: ٢٠٠.
(٤) أي العلّامة الحلّي.
(٥) أي التحرير الطاووسي.
(٦) أي الشهيد.
(٧) أي عبدالنبي الجزائري.
(٨) أي الوحيد البهبهاني في تعليقته على الرجال الكبير.

«مه»[١] في ذلك «طس»[٢]، فإنّه في رجاله كذلك[٣].

وأمّا سيّد الرجاليّين الميرزا محمّد الأستراآبادي فلم ينبس في «رجاله الكبير»[٤] ببنت شَفَة، في حين أنّه سرد أخبار المدح والذّمّ على عِلّاتها، لكنّه في رجاله الوسيط المسمّى «تلخيص المقال»[٥]، استظهر منها أُموراً منها تركُ سبِّه. ومن المعلوم أنّه ليس في أحاديث الباب ما يستظهر منه ذلك إلّا هذا الحديث.

إذا تحقَّقت ذلك فكلّ قول يَمَسُّ كرامةَ المختار، ويخدشُ منه عاطفته، وينال من عرضه، فهو من السَّبِّ المنهيِّ عنه في نصِّ الحديث، وأيُّ سباب أغلظ من أن تُنسب إليه دعاية باطلة في الإمامة، أو كُفرٌ باللّه سبحانه بدعوى الوحي إليه، أو أن يقال: إنّه كذّاب، أو إنّ أحد أئمّة الدين كان يلعنه، أو إنّه اتّخذ أمرَ الثار مَصْيَدَةً لاقتناصِ الأَغْرار، وتوطيدِ دعائم الإمرة.

ولو كان الإمام عليه السلام يعتقد بشيءٍ من ذلك لَما نَهَى عن سَبِّه، كما لم يَنْهَ عن سبّ المُضِلّين، وتعليلُهُ عليه السلام ذلك بقوله: «فإنّه قتل قتلتنا»... إلخ، يدلّ على أنَّ ما فعله المختار ودعا إليه، كان على الأُصول المقرَّرة عندهم عليهم السلام، وبرضىً منهم، وعلى أساسِ الحقِّ ودعوتِهِ، وفي منهج الصِّدْقِ وطريقته. فليس من المعقول دفاعه عليه السلام عن المُضِلِّ ومصانعته إيّاه، فتُتَّخَذ بذلك

---

(١) أي العلّامة الحلّي.

(٢) أي التحرير الطاووسي.

(٣) منتهى المقال ٦: ٢٤٢ ـ ٢٤٣/ الترجمة ٢٩٥٢.

(٤) منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال

(٥) اسمه تلخيص الأقوال في تحقيق أحوال الرجال

بِدَعُهُ سنّةً متَّبعةً، وما جاء به من مخاريق طريقاً مهيعاً، كما لم يعهد مثل ذلك من سلفه الطاهر مع مُضِلّي عصورهم:

فلم يقبل رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ من مسيلمة إقراره بنبوّته مع ما كان يدّعيه من النّبوّة لنفسه، ولو كان يصانعه لكفاه بعض المُؤَن.

ولم يرضَ أميرالمؤمنين عليه السلام في ابن سبأ[1] إلّا خَنْقَهُ بالدُّخان، ولو خَلَطَ حقَّهُ بباطلِ ابن سبإٍ لكانَ من أَشدِّ المؤازرين له.

ولم يتطامن عليه السلام لنصب معاوية شهراً حتّى يعزله دهراً ـ كما أُشِير عليه بذلك ـ لكنّه صلوات الله عليه أبى من أن يمكّن المُبْطِل من أُمور المسلمين ولو هنيهة، ولو داهنه لأَمِنَ بعضَ بوادره.

ولم يُجِبْ سلامُ الله عليه طلحةَ وزُبَيراً على باطلهما، فيكونا إِلْباً على عدوّه، ويستفزّا لهُ الجموعَ كما حَشَّداها عليه، فكانت من جرّاء ذلك وقعة الجَمَل، وكانا يريدان منه دراهمَ معدودات يوفّرها عليهما في العطاء، أو طفائفَ مثلها تَسْتَخِفّ بها الساسة، لكنَّ رجلَ الإيمان لا يستسهل مراوغَةَ أهل الباطل.

والسِّبطُ الشهيد ـ صلّى الله عليه ـ لو كان يستسلمُ لمتغلّب عصره لَأَمِن من القتل، غير أنَّ نفسيّته الشَّمَّاء كانت ترى موتَة العزّ في سبيل الحقّ أَبْقَى لشرفه ودينه وكيانه، وأَولى من النُّزُول على حكم الظَّالمين، وعلى رأسهم ابن آكلة الأكباد.

وعلى ذلك جرت سيرةُ أئمّة الهدى عليهم السلام مع من حادَ عن الحقّ من معاصريهم، ومن أصحابهم. ولو كانوا يصافقونهم على بغياتهم في الأُصُول والفروع، أو تقريرهم على ما يشتهون، لذهب الحقّ ضياعاً، وتفرّق شَعاعاً.

---

(١) مع تسليم وجوده، كما مرّ.

فلقدكانوا في مبادئ عصر التبليغ، والأُمّةُ حديثة عهد بالجاهليةِ، وعاداتِها وتقاليدِها، ولم تقرع النواميس الإلهيّة أسماعهم إلّا تِباعاً، فما كان يجدي في إنقاذ البشر من هُوَّة الضَّلالة إلّا الإصحار بِصُراح الحقيقة من دون تورية أو إغماض، لاسيّما فيما لا يجلب إليهم الأذى من متغلّبي عصورهم، فكان يجب عليهم تفريقُ الشَّعْرة من الشَّعْرَة.

وأمَّا ما صدر منهم من محامل التّقيّة، فهي أحكام مجعولةٌ للمضطرّين. على أنَّ القرائن ـ حالية أو مقاليّة، متّصلة أو منفصلة ـ قائمةٌ على أنّ غير المضطرّ له حكم آخر.

فبما شرحناه يتجلّى لك كالشمس الضاحية أنَّ المختار لو كان حائداً عن الحقّ، أو غير مُتَحلٍّ بالصدق من أمره، لَما تَرَكُوا بيانَ زلّته، فضلاً عن عدم ترك إطرائه، والنهي عن سَبِّه، وإسداء الشكر إليه على عمله، والتأبين له.

وبما يناسب المقام قلتُ[١]:

لا تَرْمِيَنَّ طالِبَ الأَوْتارِ ... بِمُحْفِظٍ[٢] مِن كَلِمِ المِهْذارِ
لأَنَّهُ نَهى الإمامُ الباقِرُ ... عَن سَبِّه والقَولُ فيهِ ظاهِرُ
أَثْلَجَ يومَ الثّارِ صدرَ ابنِ النَّبِيْ ... أَكْرِمْ بِهِ ذَيَّالِكُم[٣] مِنْ حَسَبِ
وَجادَ بِالمالِ لآلِ المُصْطَفى ... وَشادَ مِن رُبُوعِهِمْ رَسْماً عَفا
وأَوْجَبَ الوَلاءُ كُلَّ الفَضْلِ لَهْ ... إذ سَرَّ أَيتامَهُمُ والأَرْمَلَهْ

---

(١) من أُرجوزة لشيخنا المؤلّف قدّس سرّه في أحوال المختار.

(٢) اسم فاعل من أَحْفَظَه بمعنى أغضَبَهُ.

(٣) ذَيّالِك: تصغير ذلك، وتَيّالِك: تصغير تِلْكَ.

فَـلَيْسَ فِيهِ ما بِغَيْرِ الحَقِّ إِلَّا طَــنِيناً كـطَنِينِ البَـقِّ

وهاهنا لا يَرتابُ في جلالة المختار ومكانته من الدين والتقى ـ والزلفة عند أُمناء الوحي، وكون مساعيه في موقع الشُّكْر منهم، والقبول الكاشف عن كونه كذلك عند المهيمن سبحانه وصدقه في الحديث والنّيّة ـ لا يَرتابُ في ذلك كلِّه إلّا من راقه أن يَخْلُدَ إلى حَمْأَةِ التّعصّب الشّائن، أو يكرعَ من مستنقعِ اللَّداد الآسِنِ.

وهذا هو الذي فهمه شيخنا الشهيد الأوّل من مجموع أخباره وسيرته، وما ورد فيه عن أئمّة الدين سلام الله عليهم، فعقد في مزاره فصلاً مخصوصاً بزيارته، وذكر الألفاظ المقولة عندها هكذا:

السلامُ عليك أيُّها العبد الصالح، السلام عليك أيُّها الوليُّ الناصح، السلام عليك يا أبا إسحاق المختار، السلام عليك أيُّها الآخِذُ بالثار، المحاربُ للكفرة الفُجَّار، السلام عليك أيّها المخلص للّه في طاعته، ولزين العابدين عليه السلام في محبّته، السلام عليك يا من رضي عنه النّبيُّ المختار، وقسيمُ الجنّة والنار، وكاشفُ الكرب والغُمَّة، قائماً مقاماً لم يصل إليه أحدٌ من الأُمَّة. السلام عليك يا من بذل نفسه في رضا الأئمّة [عليهم السلام] في نُصْرةِ العترةِ الطَّاهرةِ، والأخذِ بثارهم من العصابة الملعونة الفاجِرَة، فجزاك الله عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ وعن أهل بيته عليهم السلام[1].

هكذا وجدناها في آخر «كتاب المزار» المصحّح بتصحيح العلّامة الشيخ نظام الدين السّاوجي صاحب كتاب «نظام الأقوال في الرجال» وغيره.

وتوجد كذلك في ترجمة المزار المذكور ـ إلى الفارسيّة ـ الموسوم بـ«مراد

(١) المزار، للشهيد الأوّل: ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

المريد لمزار الشهيد» للشيخ عليّ بن الحسين الكربلائي، الذي ترجمه للشاه سلطان حسين الصفوي.

وهب أنّ تلك الألفاظ غير مأثورة عن أحد من الأئمّة عليهم السلام، لكنَّها لا تعدو أن تكون من تأليف شيخنا الشهيد، أو أحد العلماء قبله، وأنَّ ما تضمّنته من المعاني مرضيّةٌ عنده، ومُعْتَقَدَةٌ له، وأنَّ المزور بها ممّن يُرْغَبُ في زيارته شرعاً عنده، وإلّا لكان مثيراً بدعةً وناشراً أُحْدُوثةً باطلة، والأُمّة تُجِلُّ مقام شيخنا الأوحد عن مثل هاتيك الضّعة، وكلُّ فقرةٍ منها بمفردها موجبة للحسنى لأيِّ أَحَدٍ حُقِّقَتْ له.

المختارُ وقِيلُهُ عن نفسيّته

إذا تجلَّى لك كالشَّمس في رائعة النهار صدقُ المختار في لهجته، وعدم جواز النَّيل منه في شيء من دينه وثقته، فلا أحسب أنَّ ضُؤُولةَ الرأي تبلغ بك مُسِفَّةً إلى هوّة الجهل المزري، فتخصَّ صدق حديثه بما ينبئه عن غيره، وتحيدَ به عمَّا يخبر به عن نفسيّاته النفيسة، مع ظهور الإطلاق في كلام الإمام عليه السلام في أجلى مظاهره، مع شذوذِ رواياتِهِ عن غيره، حتَّى أنَّنا رُبَّما لا نَجِدُ حديثاً ينتهي إسناده إليه.

وما أوعز إليه في حديث الحَكَم بن المختار السابق ـ ممّا رواه عن فاطمة بنت أميرالمؤمنين عليه السلام ـ فقد عصفت عليه عواصفُ الضّياع، بل الظاهر ممّا سأله الحكم هو ما كان يخبره عن أمره وحسيّاته الحسنى التي تهجّس فيها أعداؤُهُ بالقذائف.

إِذَنْ: فأَصِخْ[1] إلى ما يُتلى عليك من كلمات ذهبيّة للمختار، تنمُّ عمّا أجنَّته أضالعه من ولاء عترةالوحي، وما اندفع إليه منه في توثّبه على أعداء الله، ودونكها: ذكر الفقيه ابن نما في «ذوب النُّضار»: أنّه لمّا انكفأ عن ابن الزبير متوجّهاً إلى

---

(١) أَصِخْ: استَمِعْ وأَنْصِتْ.

الكوفة إذ لم يجد عنده ما يريد لقيه هاني بن أبي حيّة الوادعي فسأله عن أهلها، فقال: لو كان لهم رجل يجمعهم على شيء واحد لأكل الأرضَ بهم.

فقال المختار: **أنا والله أجمعهم على الحقّ، وأَلْقَى بهم رُكبانَ الباطل، وأَقتلُ بهم كُلَّ جبّارٍ عنيد إن شاء الله، ولا قُوَّة إلَّا باللّه.**

ثمّ سأله المختار عن سليمان بن صرد: هل توجّه لقتال المحلّين؟ قال: لا، ولكنّهم عازمون على ذلك.

ثمّ سار المختار حتّى انتهى إلى نهر الحيرة وهو يوم الجمعة، فنزل واغتسل ولبس ثيابه، وتقلّد سيفه، وركب فرسه، ودخل الكوفة نهاراً لا يمرّ بمساجد القبائل، ومجالس القوم، ومجتمع المحالّ إلَّا وقف وسلّم، وقال: **أَبْشِرُوا بالفرج، فقد جئتكم بما تحبّون، وأنا المُسَلَّط على الفاسقين، والطَّالبُ بدم أهل بيت نبيٍّ ربِّ العالمين**. ثمّ دخل الجامع وصلّى فيه، فرأى النَاسَ ينظرون إليه، ويقول بعضهم لبعض: هذا المختار ما قدم إلَّا لأمرٍ نرجو به الفرج.

والناظر إلى هذه الجُمَل يجدُ مقدار الرجل من أمر دينه وتضلّعه منه، يقول الوادعي: «لو كان لهم»... إلخ، يقول ذلك من وجهة السياسة الرائجة في طلب الملك وتسنّم عرش الإمارة، لكنّ المختار ـ إذ لم يكن له في ذلك بمجرَّده مطلب ـ أعرض عنه فيما قابله من الكلام، فقال: «أنا والله أجمعهم على الحقّ».. إلخ.

ولم يُبَشِّر شراذمَ الكوفيّين وزرافاتهم في مساجدهم وأنديتهم ومجتمعاتهم إلَّا بِشَرْوَى[1] ما أَسْمَعَهُ ابن أبي حيَّة ممّا انطوت عليه أحشاؤه، وتشرّب به فؤاده من

(١) شَرْوَى الشيء: مِثْلُهُ.

النزوع إلى نهضة كريمة خلّدت له صحيفةً بيضاء ما تعاقَبَ الملوان[١]، فهو صدوق فيما أنبأ عن المطويّ في ضميره من أنّه يجمعهم على الحقّ، وفي أحقيّة ما سمّاه حقّاً، وفيما بشّر به أهل الكوفة، وحسبُهُ ذلك من شرفٍ باذخٍ، ومجدٍ أثيلٍ.

وروى ابن نما أيضاً قوله وهو في سجن عبدالله بن يزيد الخطمي ـ عامل ابن الزبير على الكوفة، على حين أنّ التوّابين في أُهبة الخروج، أو أنّهم خارجون:

أَمَا ورَبِّ البِحار، والنَّخل والأشجار، والمهامِهِ والقِفار، والملائكةِ الأبرار، والمصطَفَين الأخيار، لأَقتلنَّ كلَّ جبّار، بكلِّ لَدْنٍ خَطّار، ومهنَّدٍ بتَّار، في جموع من الأنصار، ليسوا بِميلٍ ولا أَغْمار، ولا بِعُزْلٍ أَشرار، حتَّى إذا أقمتُ عمودَ الدِّين، ورَأَبْتُ صَدْعَ المسلمين، وأدركتُ ثار النّبيّين لم يكبر عَلَيَّ زوالُ الدُّنيا، ولم أَحْفِل بالموتِ إذا أَتَى[٢].

كان يقول هذه الجملة حين دخل عليه يحيى ابن أبي عيسى، وحميد بن مسلم الأزدي.

ورواها الطبري في «التاريخ»، وابن الأثير في «الكامل»، وفيهما بعد قوله: «صدع المسلمين»، قوله: «وشفيتُ غَلِيلَ صُدُورِ المؤمنين، وأدركتُ»... إلخ، وأنّه يكرّر عليهما هذا القول كلّما دخلا عليه حتّى خرج من السِّجن[٣].

ومَنْ رَمَقَ هذهِ الجُمَلَ ببصرٍ منه حديدٍ، يَجِد المتكلّم بها يُفْرِغُ عن كَبِدٍ

---

(١) المَلَوان: الليل والنهار.

(٢) ذوب النُّضار: ٨٠ ـ ٨١.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٤٥٠ ـ ٤٥١، تاريخ ابن الأثير ٤: ١٧٣.

مقروحة، وحشا معتلج بالجوى، وغضبٍ لآل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأنّه لم يكن يَدُورُ في خَلَدِهِ إلَّا المقصد الأسنى، واستئصال شَأْفة أعداء البيت العلوي، مَقْصُوراً قصده عليه، حتَّى أدركته السعادة بنيل الأُمنيَّة، فترك أَشياع آل أُميّة ممزّقة، فهو صادق في إخباره عن تلك النفسيّة المقدَّسة التي قلّما حَظِي بمثلها ابنُ أُنْثى.

ومن خطبة له رواها الفقيه ابن نما في «ذوب النُّضار»، والطبري في «التاريخ»، وابن الأثير في «الكامل»، خطبها لمّا دخل القصر بعد إخراج ابن مطيع منها، حيثُ صعد المنبر وخطب، فقال:

الحمدُ للّه الَّذي وَعَدَ وليَّهُ النَّصر، وعَدُوَّه الخُسْر، وجعله فيه إلى آخر الدَّهْر، وَعْداً مَفْعُولاً، وقَضاءً مقضيّاً، وقد خابَ مَنِ افترى.

أيُّها الناس، إنّه رُفِعَت لنا راية، ومُدَّت لنا غاية، فَقِيلَ لنا في الرّاية ارفَعُوها ولا تَضَعُوها، وفي الغاية أن اجرُوا إليها ولا تَعْدُوها، فسَمِعْنا دعوةَ الدَّاعي، ومقالةَ الواعي، فكَمْ من ناعٍ وناعِيَة، لقتلى في الواعيه، وبُعْداً لمن طَغَى، وأَدْبَرَ وعَصَى، وكذَّبَ وتَوَلَّى، ألافادخلوها أَيُّها الناس فبايعوا بيعةَ هُدَى، فلا والَّذي جعلَ السَّماء سقفاً مكفوفاً، والأرضَ فِجاجاً سُبُلاً، ما بايعتم بعدَ بيعةِ عليٍّ بن أبي طالب وآلِ عليٍّ أَهْدَى منها[1].

وفي رواية ابن نما:

أَلا فهَلُمُّوا عبادَ الله إلى بيعةِ الهُدَى، ومُجاهَدَةَ الأَعْداءِ، والذَّبِّ عن الضُّعفاءِ، من آلِ محمَّد المُصْطَفَى صلَّى الله عليه وآله وسلّم، وأنا المُسَلَّطُ على المحلِّين،

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٠٧ ـ ٥٠٨، تاريخ ابن الأثير ٤: ٢٢٥ ـ ٢٢٦، ذوب النُّضار: ١٠٧ ـ ١٠٨.

المُطالِبُ بدمِ ابن نبيٍّ ربّ العالمين. أما ومُنْشِئِ السِّحاب، الشَّديدِ العِقاب، لأَنْبُشَنَّ قبرَ ابنِ شهاب، المفتري الكذّاب، المجرمِ المرتاب، ولأَنفيَنَّ الأَحزاب، إلى بلادِ الأَعْراب. ثُمَّ وربِّ العالمين لأَقتُلَنَّ أَعوان الظّالمينَ، وبقايا القاسِطِين.

ثمّ قعد على المنبر، ووثب قائماً وقال:

أَمَا والَّذي جَعَلنِي بَصيراً، ونوَّر قلبي تَنويراً، لأُحْرِقَنَّ بالمصر دُورا، ولأَنْبُشَنَّ بها قُبُورا، ولأَشْفِيَنَّ بها صدورا، ولأقتلنّ بها جبّاراً كَفُوراً، ملعوناً غَدُورا، وعن قليلٍ وربِّ الحَرَم، والبيتِ المحرَّم، وحقِّ النُّون والقلم، ليُرْفَعَنَّ لي عَلَم، من الكوفة إلى إِضَم، إلى أَكناف ذي سلم، منَ العربِ والعَجَم، ولأَتَّخِذَنَّ من بني تميم[١] أَكْثَرَ الخدَم.

ثمّ نزل ودخل قصر الإمارة، وانعكف عليه الناس للبيعة، فلم يزل باسطاً يده حتّى بايعه خلق من العرب والسادات، والموالي[٢].

وفي رواية الطبري، وابن الأثير: إنّه دخل عليه أشراف الناس، فبَسطَ يده، وابتدره الناس فبايعوه، وجعل يقول: **تبايعوني على كتاب الله وسنّة نبيّه، والطَّلب بدماء أهل البيت، وجهادِ المحلّين، والدفعِ عن الضُّعفاء، وقتالِ مَن قاتلنا، وسِلْمِ مَن سالَمنا، والوفاءِ بربيعتنا، لا نقيلكم ولا نستقيلكم**، فإذا قال الرجل: نعم، بايَعَهُ[٣].

وانعقاد البيعة له على ما عرفت هو الذي رواه شيخ الطائفة في «أماليه»[٤] غير أنّه ليس فيه قوله: «وقتال من قاتلنا»... إلخ.

---

(١) سليم ـ خ ل.

(٢) ذوب النُّضار: ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٥٠٨، تاريخ ابن الأثير ٤: ٢٢٦.

(٤) انظر أمالي الطوسي: ٢٣٩/ح ٤٢٤.

هذا هو الصحيح من صفة البيعة التي رواها نَيَاقِدُ الفَنّ من الفريقين، فما في بعض المواضع من ذكر محمّد بن الحنفيّة وطاعته بصفة المهدويّة، فَمِنْ توسُّع بعض المُحْدِثِين في الرواية، الذي اختلط فيه الحابل بالنابل، فلا يؤْبَهُ به.

نعم يُشبِهُ أن يكون لاستثارةِ محمَّدٍ لأمر الثار مَدْخَلٌ في اتّباع الناس له كما أسلفنا الوجه فيه، وأين هذا من عقد البيعة على مهدويّته؟!

وفي هذه الجمل نفيُ الفريةِ عن نفسه بقوله: «وقد خاب من افترى»، وإشارةٌ إلى لزومِ مؤازرته من ناحيةٍ يجبُ امتثالُ أمرِها، وإلى إمدادٍ غيبيٍّ له عَلِمَهُ من البشائر بنهضته، إلى أضرابه ممّا كان يقوله بيقينٍ ثابتٍ عنده بقول المبشِّرِ به، وإخبات له، وذلك في قوله: «فقيل لنا في الرَّاية»... إلخ، حيث لم يكن هنالك قائل محسوسٌ يُسْمَعُ هتافُهُ. وقد دَلَّلَ المختار على أنَّ نهضته كانت لدرك تلكم الأوتار الموتورة، لا لنَهْمَةِ الإِمْرة، وجَشَعِ الحاكميّة بقوله: «والمطالب»... إلخ، وأنّ المولى سبحانه نوَّر قلبه لذلك، وبصّره في الأُمور، بقوله: «ونَوَّر قلبي»... إلخ.

وإنّ ممّا انعقد عليه ضميره الجريَ على كتاب الله وسنّة نبيّه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وذلك بالتزامه بتلك البيعة الشريفة.. إلى غير هذه من فضائل جمّة تطفح بها خطبته، وهو غيرُ مائنٍ في شيء منها بنصِّ الإمام عليه السلام السابق، وكلّها مجالٍ حسنة تنمُّ على أنَّ الرجل مندفع إلى أعماله بدافع دينيّ، مُتَحَلٍّ في حياته بتلك الخِلال الذَّهَبيّة.

ثمّ لمّا جهّز المختارُ إبراهيم بن الأشتر إلى قتال عبيدالله بن زياد، وحَشَّد له الجموع اثني عشر ألفاً، وَشيّعه ماشياً، قال له إبراهيم: اركب رحمك الله، فقال المختار: **إنِّي لأَحْتَسِبُ الأَجرَ في خُطاي معكَ، وأُحِبُّ أن تغبرَّ قدماي في نصر**

آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، والطَّلَبِ بدمِ الحُسينِ عليه السلام. ثمّ ودّعه وانصرف(١).

يوعز رحمه الله إلى ما روي عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أنّه قال: «مَنِ اغْبَرَّتْ قدماهُ في سبيل الله حَرَّمَهُما الله على النار»(٢).

وهذه كلمة لا يلفظها إلّا كُلُّ متفانٍ في الولاء، لم يَقُدْهُ إلى العمل نزعةٌ أهوائيّة، ونحن نصدّقُهُ فيما أنبأ به عن نفسه بتلك الفضيلة الرابية، وبذلك كان رحمه الله كلّما أُنْهِيَ إليه نبأُ قتيلٍ من واتري آل محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لاحَ عليه من المسرّة والفرح ما يكشف عن سريرتِهِ الطَّيِّبة، وحِسِّيَّاتِهِ الحُسْنَى.

(١) ذوب النُّضار: ١١٣. وانظر أمالي الطوسي: ٢٤٠/ح ٤٢٤.

(٢) مسند أحمد ٣: ٤٧٩.

[استجابة دعاء الإمام السجّاد عليه السلام على يديه]

روى شيخ الطائفة أبو جعفرالطوسي في «أماليه»: عن الشيخ المفيد، عن المظفّر بن محمّد البلخي، عن محمّد بن همّام، عن الحميري، عن داود بن عمر النهدي، عن ابن محبوب، عن عبدالله بن يونس، عن المنهال بن عمرو، قال: دخلتُ على عليّ بن الحسين عليهما السلام منصرفي من مكّة، فقال: يا منهال ما صنع حرملة بن كاهل الأسدي؟ فقلت: تركتُهُ حيّاً بالكوفة. قال: فرفع يديه جميعاً، ثمّ قال: اللَّهُمَّ أَذِقْهُ حرَّ الحديد. اللَّهُمَّ أَذِقْهُ حرَّ الحديد، اللَّهُمَّ أَذِقْهُ حَرَّ النَّار.

قال المنهال: فقدمت الكوفة، وقد ظهر المختارُ بن أبي عبيد الثقفي وكان لي صديقاً، فكنتُ في منزلي أيّاماً حتّى انقطع النّاس عنّي، وركبتُ إليه، فلقيته خارجاً من داره.

فقال: يا منهال، لم تأتنا في ولايتنا هذه، ولم تهنِّئنا بها، ولم تشركنا فيها؟ فأعلمته أنّي كنت بمكّة، وأنّي قد جئتكَ الآن. وسايرتُهُ ونحن نتحدّث حتَّى أَتى الكُناس، فوقف وقوفاً كأنّه ينتظر شيئاً، وقد كان أُخبِرَ بمكان حرملة بن كاهل فوجَّه في طلبه. فلم نلبث أن جاء قومٌ يركضون، وقوم يشتدُّون، حتّى قالوا: أيّها الأمير البشارة، قد أُخِذَ حرملة بن كاهل، فما لبثنا أن جيءَ به، فلمّا نظر إليه المختار قال لحرملة: الحمدُ للّه الّذي مكّنني منك. ثمّ قال: الجزّارَ الجزّارَ، فأُتي بجزّارٍ، فقال له: اقطَعْ يديه، فقُطِعَتا. ثمّ قال له: اقطع رجليه، فقُطِعَتا، ثمّ قال: النَّارَ النَّارَ، فأُتي بنارٍ وقَصَب، فأُلْقِيَ عليه فاشتعلت فيه النار.

فقلت: سبحان الله! فقال لي: يا منهال، إنّ التسبيح لَحَسنٌ، ففيم سَبَّحْتَ؟

فقلت: أيُّها الأمير، دخلتُ في سَفْرتي هذه منصرفي من مكّة على عليّ بن الحسين عليه السلام، فقال لي: يا منهال، ما فعل حرملة بن كاهل الأسدي، فقلت: تركتُهُ حيّاً بالكوفة، فرفع يديه جميعاً، فقال: اللّهُمَّ أَذِقْهُ حَرَّ الحَدِيد، اللّهُمَّ أَذِقْهُ حَرَّ الحَدِيدِ، اللّهُمَّ أَذِقْهُ حَرَّ النار.

فقال لي المختار: سمعتَ عليّ بن الحسين يقولُ هذا؟ فقلت: واللهِ لقد سمعتُهُ يقول هذا.

قال: فنزل عن دابّته وصلّى ركعتين، فأطال السجود، ثمّ قام فركب وقد احترق حرملة لعنه الله. وركبتُ معه وسرنا، فحاذيتُ داري فقلت: أيُّها الأمير، إنْ رأيتَ أن تشرّفني وتُكْرِمني وتنزل عندي، وتَحرَّم بطعامي[١].

فقال: **يا منهال، تُعْلِمُني أنَّ عليَّ بن الحسين دعا بأربع دعواتٍ[٢] فأجابه الله على يدي، ثمّ تأمرني أن آكل؟! هذا يومُ صومٍ شكراً للّه عزّ وجلّ على ما فعلتُهُ بتوفيقه.**

وحرملة هو الذي حمل رأس الحسين عليه السلام[٣].

ورواه الفقيه ابن نما في «ذوب النُّضار»[٤] والوزير السعيد الإربلي في «كشف الغمّة»[٥].

هذا بُخُوعُ الرجل لرابع أئمّته، ورضوخه لسؤدده، إذْ عَدَّ إجابةَ تلكم الدّعوات

---

(١) كناية عن الأكل من طعامه، فإنّه كان يُوجِبُ عند العرب حرمةً وذمّةً لا يَحِلُّ انتهاكها. (المؤلّف).

(٢) المذكور في الحديث ثلاث دعوات، ولعلّها كانت أربعاً وحذف النسّاخ الرابعة، أو أنّها ثلاث ولفظ أربع من سهو الكتبة. (المؤلّف).

(٣) أمالي الطوسي: ٢٣٨ ـ ٢٣٩/ح٤٢٣.

(٤) ذوب النُّضار: ١٢٠ ـ ١٢٢، وفيه: «دعا بدعوات».

(٥) كشف الغمّة ٢: ٣٢٤ ـ ٣٢٥، وفيه: «دعا بثلاث دعوات».

على يديه من أكبر نعم الله تعالى عليه، فقابلها بصومِ الشُّكْر، والصلاة، وإطالة السجود له[١].

وهذه القصّة أحَدُ الشواهد على صحّة عقيدة المختار، وسداد رأيه كما عرفته تفصيلاً، وإن غاظ ذلك الغِرَّ فتَاه في مزعمته بأنّ المختار كان يبغي بهذا الإمام بدلاً، وكأنّه في معزِلٍ عن هذه وأمثالها، وعمّا يأتي من قوله فيه: «إمام الهدى، والنّجيب المرتضى»[٢]، إلى غيره. ولذلك كان يجلبُ مرضاته باجتياح أُصول أعدائه، وقَلْع جذورهم، وصلته وذويه بالأموال، ولم يفتأ في ذلك خِدْنَ نشاطٍ لا يزايله.

---

(١) له: أي للشكر.

(٢) ذوب النُّضار: ٩٨.

[قتله لعمر بن سعد]

روى الطبري في «التاريخ»: عن أبي مخنف، عن موسى بن عامر أبي الأشعر: أنّ المختار قال ذات يوم وهو يحدّث جلساءه: **لأقتُلَنَّ غداً رجُلاً عظيمَ القَدَمين، غائرَ العينين، مُشْرِفَ الحاجِبَين، يَسُرُّ مقتلُهُ المؤمنين، والملائكةَ المقرَّبين.**

قال: وكان الهيثم بن الأسود النخعي عند المختار حين سمع هذه المقالة، فوقع في نفسه أنّ الذي يريد عُمَر بنَ سعد بن أبي وقّاص، فلمّا رجع إلى منزله دعا ابنه العُريان فقال: اِلْقَ ابن سعد اللَّيلةَ فخبِّرْهُ بكذا وكذا، وقل له: خُذْ حِذْرَكَ فإنّه لا يريد غيرك.

قال: فأتاه فاستخلاه، ثمّ حدّثه الحديث. فقال له عمر بن سعد: جَزَى الله أباك والإخاءَ خيراً، كيفَ يريد هذا بي بعد الذي أعطاني من العهود والمواثيق؟!

وكان المختار أَوَّلَ ما ظهر أحسنَ شيءٍ سيرةً، وتألُّفاً للناس، وكان عبدُالله بنُ جَعْدَة بن هُبَيْرة أَكرمَ خلق الله على المختار لقرابته بعليٍّ، فكلَّم عمرُ بنُ سعدٍ عبدَالله بنَ جعدة، وقال له: إنِّي لا آمَنُ هذا الرجل ـ يعني المختار ـ فخُذْ لي منه أماناً، ففعل.

قال: فأنا رأيت أمانَهُ وقرأته: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا أمانٌ من المختار ابن ابي عبيد لعمر بن سعد بن أبي وقّاص، إنَّك آمِنٌ بأمان الله على نفسك ومالك وأهلك، وأهل بيتك وولدك، لا تؤاخَذُ بحدثٍ كان منك قديماً ما سمعتَ وأطعتَ، ولزمتَ رَحْلَكَ وأهلَكَ ومِصْرك، فمن لَقِيَ عمرَ بن سعد من شرطةِ الله وشيعةِ آل محمّد ومن غيرهم مِنَ الناس فلا يعرض له إلَّا بخير»، شهد السائب بن

مالك، وأحمر بن شُمَيط، وعبدالله بن شدَّاد، وعبدالله بن كامل. وجعل المختار على نفسه عهد الله ليفينّ لعمر بن سعد بما أعطاه من الأمان، إلّا أن يُحْدِثَ حدَثاً، وأشهد الله على نفسه، وكفى باللّه شهيداً.

قال: فكان أبو جعفر محمّد بن عليّ [عليه السلام] يقول: أمّا أمانُ المختار لعمر بن سعد إلَّا أن يُحْدِثَ حَدَثاً، فإنّه كان يريدُ به إذا دَخَلَ الخلاءَ فأَحْدَثَ.

قال: فلمّا جاء العُريان بهذا خرج من تحت ليلته حتّى أَتى حمَّامَهُ، ثمّ قال في نفسه: أنزل داري، فرجع فعبر الرَّوْحاء، ثمَّ أتى داره غُدوةً وقد أتى حمَّامه، فأخبَرَ مولىً له بما كان من أمانِهِ، وبما أُريد به.

فقال له مولاه: وأيُّ حدث أعظم ممّا صنعتَ؟ إنّك تركتَ رحلكَ وأهلكَ وأقبلت إلى هاهنا، ارجع إلى رحلك، ولا تجعلنّ للرَّجُل عليك سبيلاً. فرجع إلى منزله، وأُتي المختار بانطلاقه، فقال: كلّا، إنَّ في عنقه سلسلة سَتَرُدُّهُ، لو جَهِدَ أن ينطلق ما استطاع.

قال: وأصبح المختار فبعث إليه أبا عمرة، وأمره أن يأتيه به، فجاءه حتَّى دخل عليه، فقال: أجبِ الأمير، فقام عمر، فعثر في جُبَّةٍ له، ويَضْرِبُهُ أبو عَمْرَة بسيفه فقتله، وجاء برأسه في أسفل قبائه حتَّى وضعه بين يدي المختار.

فقال المختار لابنه حفص بن عمر بن سعد وهو جالس عنده: أتعرف هذا الرأس؟ فاسترجع وقال: نعم، ولا خير في العيش بعده.

قال له: صدقتَ، فإنَّك لا تعيش بعده، فأَمَرَ به فقُتِلَ. وإذا رأسه مع رأسه أبيه.

ثمّ إنّ المختار قال: **هذا بحسينٍ، وهذا بعليٍّ بن الحسين، ولا سواء، والله لو قتلتُ به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أَنْمُلَةً من أَنامِلِهِ**... إلى أن قال: فلمّا قتَلَ المختارُ

عمرَ بنَ سعدٍ، وابنَهُ، بعث برأسيهما مع مسافر بن سعيد بن نمران النّاعطي، وظبيان بن عمارة التميمي، حتَّى قدما بهما على محمّد بن الحنفيّة، وكتب إلى ابن الحنفيّة في ذلك بكتاب[١].

قال أبو مخنف: وحدّثني موسى بن عامر، قال: إنّما كان هيَّج المختارَ على قتل عمر بن سعد أنَّ يزيد بن شراحيل الأنصاري أتى محمَّدَ بنَ الحنفيّة فسلّم عليه، فجرى الحديث إلى أن تذاكروا المختارَ وخروجه، وما يدعو إليه من الطلب بدماء أهل البيت.

فقال محمّد بن الحنفيّة: على أَهْوَنِ رَسْلِهِ، يزعم أنّه لنا شيعة، وقَتَلَةُ الحسين جلساؤه على الكراسي يحدّثونه!!

قال: فوعاها الآخر منه، فلمّا قدم الكوفة أتاه فسلّم عليه، فسأله المختار: هل لقيت المهدي؟ فقال له: نعم، فقال: ما قال لك، وما ذاكرك؟ قال: فخبّره الخبر. قال: فما لَبَّث المختارُ عمرَ بن سعد وابنَهُ أن قتلهما، ثمّ بعث برؤوسهما إلى ابن الحنفيّة مع الرسولين اللَّذَيْن سمّينا، وكتب معهما إلى ابن الحنفيّة ...[٢] إلخ.

ورواه ابن الأثير في «الكامل»[٣]، والفقيه ابن نما في «ذوب النُّضار»[٤]، وفي روايته اختلاف يسير، أو زيادة واختصار، فذكر أنّه: لمّا علم ابنُ سعد أنَّ المختار يريده بقوله، عزم على الخروج من الكوفة، فأحضرَ رجلاً من بني تيم اللّات، اسمه: مالك، وكان شجاعاً، وأعطاه أربعمائة دينار، وقال: هذه معك لحوائجنا،

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٣١ ـ ٥٣٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٣٣.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٤: ٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٤) ذوب النُّضار: ١٢٦ ـ ١٢٩.

وخرجا. فلمّا كان عند حمَّام عمر ـ أو نهر عبدالرحمن ـ وقف وقال: أتدري لم خرجت؟ قال: لا، قال: خفتُ المختار، قال: ابنُ دومَةَ ـ يعني المختار ـ أضيقُ آسْتاً من أن يقتلك، وإن هربتَ هدمَ دارك، وانتهبَ عيالك ومالك، وخرَّبَ ضياعكَ، وأنت أعزُّ العرب. فاغترّ بكلامه، فرجعا على الرَّوْحاءِ، فدخل الكوفةَ مع الغداة.

هذا قول المرزباني.

وقال غيره: إنّ المختار علم بخروجه من الكوفة، فقال: وَفَيْنَا له وغَدَرَ، وفي عنقه سلسلة لو جَهِدَ أن ينطلق ما استطاع.

فنام عمر على النَّاقة، فرجعت وهو لا يدري حتَّى ردَّته إلى الكوفة.

فأرسل عمرُ ابنَهُ إلى المختار، قال له: أين أبوك؟ قال: في المنزل. ولم يكونا يجتمعان عند المختار، وإذا حضر أحدهما غاب الآخر خوفاً أن يجتمعا فيقتلهما.

فقال حفص: أبي يقول: أَتَفِي لنا بالأمان؟ قال: اجْلِسْ. وطلب المختارُ أبا عمرة ـ وهو كيسان التمّار ـ فأَسَرَّ إليه أنِ اقْتُلْ عُمَرَ بن سعد، وإذا دخلتَ عليه ورأيته يقول: يا غلام عَلَيَّ بطيلساني، فإنّه يريد السيف فبادِرْهُ واقتله. فلم يلبث أن جاء ومعه رأسه.

فقال حفص: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون.

فقال له المختار: أتعرف هذا الرأس؟

قال: نَعَم، ولا خير في العيش بعده.

فقال: إنّكَ تعيش بعدَه؟! وأمر بقتله.

وقال المختار: عُمر بالحسين عليه السلام. وحفص بعليّ بن الحسين عليه السلام. ولا سواء، والله لأقتلنَّ سبعين ألفاً كما قُتِلَ بيحيى بن زكريّا. وقيل: إنّه قال: لو

قَتَلْتُ ثلاثة أرباع قريش لَمَا وَفَوا بأَنْمُلَة من أنامل الحسين عليه السلام[١].

وذكر حديثَ قتلِ عمر بن سعد شيخُ الطائفة الطوسي في «الأمالي»[٢]، وابنُ الطِّقطقي في «الآداب السلطانيّة»[٣]، وسبطُ ابنِ الجوزي في «التذكرة»[٤]، وغيرهم، لكنّا أثبتنا أبسطهم حديثاً.

لم يكن ما أعطاه من الأمان إلَّا للتَّوصُّل به إلى قتله بعد ظهوره إليه، واتّصاله به.

وعلى ظاهرِ الحال، والبعدِ عن الوصول، إلى خصوصيّات المقام، كان محمّد ابن الحنفيّة يعتب عليه، ثمّ لمَّا انكشف لديه جليَّة الأمر بـمُثُول الرأسين لديه أَعْتَبَهُ[٥] فيما سيأتي من كلامه إن شاء الله تعالى، وإلَّا فإنّ المختار لم يكن بالذي يَأْمَنُ بطشَهُ مثلُ ابنِ سعدٍ الذي كان المختارُ يعتقد أنّ قتله يَسُرُّ المؤمنين، والملائكةَ المقرّبين، ولذلك قَصَدَ من «الإحداث» دخولَ بيتِ الخلاء والإحداثَ فيه، لينتقض أمانه في أسرع وقت، فلا تبقى له ذمّة مجيرة، وإن هو إلَّا كنصب الشِّباك لاقتناصه لعنه الله، لو كان الأمان على حقيقته، وأن لا يكون قد آمَنَ كافراً.

وأمَّا إكرامُهُ الصُّورِيُّ وإدناءُ مجلسه أُويقاتاً يسيرةً، فلإلهائه وصَرْفه عن تحرِّي الغوائل دون مرامي المختار، لكي لا تشغله عن قصده فتنٌ داخليّة قد تؤول إلى احتدام جِلادٍ، واستمرار حروبٍ طاحنةٍ، وفي الأقلّ إلى كوارث تُقْلِقُ السلام، فتشغل بِفِتَنِها شطراً من القوى، كما وقع مثلُهُ مع زعماء الكوفة ممَّن شَرِكَ في دمِ

---

(١) ذوب النُّضار: ١٢٧ ـ ١٢٩.

(٢) انظر أمالي الطوسي: ٢٤٣/ ضمن الحديث ٤٢٤.

(٣) انظر الفخري في الآداب السلطانيّة: ١٢٠ ـ ١٢١.

(٤) انظر تذكرة الخواصّ: ٢٨٥، وفيه أنّ حفص بن عمر قال: أَقَتَلْتُمْ أبا حفص ؟! فقال المختار: أنت تطمع في الحياة بَعْدَهُ ؟! لا خير لك فيها، فضرب عنقه.

(٥) أَعْتَبَهُ: أعطاه العُتْبَى ورَجع إلى مَسَرَّته.

ابن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بعد ان تجهّز ابنُ الأشتر إلى قتال أهل الشام، لمَّا خافوا على أنفسهم من المختار وانصرمت مطامِعُهُم عن نائله، ولم تخمد تلك النائرة إلَّا باستعادة إبراهيم إلى المصر فَوطِئَها بأخمصه هو وجيشه اللُّهام، ثمّ توجَّهَ لسبيله.

وما كان ابنُ سعد ـ وهو ربيب الحروب، والتمرِّن على قيادة العساكر، وعقد الرايات، وله بين زبائنه وَجْهٌ وأُبَّهةٌ ـ ذلك الهيّن الذي تُؤمن بوادره، فما كان من الحزم والحالةُ هذه مكاشفةُ اللَّعين في أمره، فيعودُ عرقلةً في المسعى، وعائقاً عمَّا يجبُ المبادرة إليه، وعَمَّا تهشُّ إليه نفسُ مختار النَّزَّاعة.

كان المختار يرى أنّه لو قتل ثلاثة أرباع قريش لَمَا وَفَى ذلك بأَنْمُلَةٍ من أنامل الإمام الحسين عليه السلام، وهو صادق فيما يبديه من نظريّته بنَصِّ الخبر السابق، فكيف يُبْقي على أكبر قائد أَوْجَفَ بخيله ورَجْلِهِ على شظايا كبد المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأوّل من رمى آل الله، واستَشْهَدَ حَشْدَهُ الجهنَّميَّ على ذلك[1]، وحال بينهم وبين ماء الفرات، وقد كان تَلِغُ فيه الكلاب والذئاب، ولم يزل بهم حتّى اجتاح أُصولهم، ولم يُقْنِعْهُ ذلك حتَّى أوطأ الخيلَ صدرَ الحسين عليه السلام وظهره، وحمل الرؤوس المقدَّسة، وعقائلَ بيت الوحي إلى الكوفة، ثمّ الشام على أَنكى الحالات وأفظعها.

إلى طامّات كثيرة لا يحصيها عدٌّ، ولا وُقِفَ لها على حدّ. ولذلك لم يَدُرْ في خَلَدِ المختار إلَّا إعدامه، وقد أصحر به أوّلاً بقوله: «لأقتلنّ غداً رجلاً عظيم القدمين»... إلخ، أخذاً منه بالتدابير اللّازمة بين إرهاب وإغْفال.

---

(١) ففي الإرشاد ٢: ١٠١ ثمّ وضع [عمر بن سعد] سهمه في كبد قوسه ثمّ رمى، وقال: اشهدوا أنّي أوّل من رمى.

وأمّا قوله بعد قتل الرِّجْسَين: «عمر بالحسين عليه السلام»... إلخ، فلم يك اعتقاداً منه بتكافُؤ الثارين، فإنّ تفاني الرجل في ولاء أئمّة دينه وعرفانه بحقّهم، يأبيان عن أن يقرن ثار الله بدم الرِّجس النّجس، وإنّما كان ذلك تمهيداً صارَحَ به بقوله: «ولا سواء»، وقوله: «والله لو قتلت»... إلخ، وهذه إحدى نوايا المختار الشريفة، التي تنمّ عن طويَّة له طيّبة، قد خامرها الولاء لذوي القربى، فلا يُخمِدُ لَهَبَ استيائها شيءٌ، ولعلّ في القتل الذَّريع تسكيناً للقليل منه.

وصفوُ القول: أنّا نصدِّق المختار في كلِّ هذه الدعاوي والإخبار عن نفسيّاته بنفيِ الإمام عليه السلام الكذبَ عنه.

وقوله: «كلّا إنّ في عنقه سلسلة»... إلخ، لقد صدق رحمة الله عليه، والمؤمنُ ينظر بنور الله، وقد آلَ أمرُهُ إلى ما قال. وهذه السلسلة لم تبارحه حتّى بعد قتله، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «والله لقد أُتي بعمر سعد بعد ما قُتِلَ وإنّه لفي صورة قرد في عنقه سلسلة»(١).

وقد رآه الحدّاد الكوفي في المنام، قال: وإذا بعمر بن سعد أمير العساكر، وقوم لم أعرفهم، وإذا بعنقه سلسلة من حديد، والنارُ خارجةٌ من عينيه وأُذنيه(٢).

أقول: ولن تبارحه حتّى يصدر الأمر الإلهي في أمره: ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ**﴾(٣).

---

(١) رسائل الشريف المرتضى ١: ٣٥١ نقلاً عن النعماني في كتاب «التسلّي والتقوّي» بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٣٢٠.

(٣) الحاقّة: ٣٠ ـ ٣٢.

[انتقامه من أعداء الله]

ولمّا جيءَ إليه برأس شمر وزبانيته ـ لعنهم الله تعالى ـ خرَّ ساجداً شكراً لِما أَولاه المنعم سبحانه من الظفر بالدَّعيِّ ابن الدعيِّ. رواه ابن نما[١] وغيره[٢].

وبعثَ إليه ابن الأشتر رأسَ ابن زياد، ورؤوس الرؤساء من أهل الشام، وفي آذانهم رقاع أسمائهم، فقدموا عليه وهو يتغدّى، فحمد الله تعالى على الظّفر، فلمّا فرغ من الغداء قام فوطئَ وجهَ ابن زياد بنعله، ثمّ رمى بها إلى غلامه، وقال: اغسلها فإنّي وضعتها على وجه نجس كافر. رواهُ ابن نما[٣] وغيره[٤].

وإذا رَمَقْتَ هذهِ الأعمالَ بعينٍ لم يُقْذِها الشّنآن، وجَدْتَها تشفُّ عن قلبٍ مُولَعٍ بحبّ العترة الطاهرة، ولُبٍّ هائمٍ في وُدِّهم عليهم السلام.

وفي «تاريخ الطبري»، و«الكامل» لابن الأثير: عن أبي مخنف، عن النّضر بن صالح في حديث طويل فيه ما نصّه: وتجرّد المختارُ لقتلة الحسين [عليه السلام] فقال:

ما مِن ديننا تركُ قومٍ قتلوا الحُسَين، يمشونَ أحياءً في الدُّنيا آمِنين، بئس ناصرُ آل محمّد أنا إذَنْ في الدنيا، أنا إذَنِ الكذّابُ كما سَمَّوني، فإنّي باللّه أستعين عليهم. الحمد للّه الذي جعلني سَيْفاً ضَرَبَهُمْ به، ورُمحاً طَعَنَهُمْ به، وطالبَ وترهم، والقائمَ بحقّهم، إنّه كان حقّاً على الله أن يقتل مَنْ قتلهم، وأَنْ يذلّ من جَهِلَ حقّهم، فسَمُّوهم لي، ثمّ اتّبِعوهم حتّى تُفْنُوهم[٥].

---

(١) انظر ذوب النُّضار: ١١٧ ـ ١١٨.

(٢) رواه ابن أعثم في الفتوح ٦: ٢٦٧.

(٣) ذوب النُّضار: ١٤٢.

(٤) رواه الطوسي في الأمالي: ٢٤٢/ ضمن الحديث ٤٢٤.

(٥) تاريخ الطبري: ٤: ٥٢٨ ـ ٥٢٩، تاريخ ابن الأثير ٤: ٢٣٩.

قال أبو مخنف: فحدّثني موسى بن عامر: أنّ المختار قال لهم: **اطلبوا لي قتلة الحسين [عليه السلام]، فإنّه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتّى أُطهِّر الأرض منهم، وأُنقِّي المصر منهم**(١)، انتهى.

وهل تجد مأثرةً للنفسيّات أجملَ من هذه؟ واستمساكاً بالهدى أوثقَ منها؟ فهو ناصر آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وطالبُ وترهم، والقائمُ بحقّهم، وقد شهره الله سيفاً للانتقام، وأشرعه رمحاً يطعن به أعداءه، فلم يستسغ دون ما قُيِّضَ له طعاماً، ولا شَراباً، كما يقول كُلَّ ذلك عن نفسه، وهو صدوق في لهجته، وفي كلِّ ما يقول.

(١) تاريخ الطبري: ٤: ٥٢٩، تاريخ ابن الأثير ٤: ٢٣٩.

[عزلُهُ شريحاً عن القضاء]

ولمَّا استتبَّ للمختار أمره، وفرَّق عمّاله إلى البلاد، كان يتولّى هو أمر القضاء، حتَّى إذا شغلته الأُمور ولَّى شريحاً قاضياً، ثمّ أُنْهِيَ إليه أنَّ أميرالمؤمنين عليه السلام عزله، فأراد عزله، فتمارض شريح، فعزله. رواه ابن نما(١).

وفي «المجالس» للقاضي التستري: إنّه ولَّى بعد ذلك للقضاء رجلاً من فقهاء الشيعة(٢).

هذا إلى لداته ممّا يدلّ على شدّة التزام المختار باقتصاص آثار الأئمّة عليهم السلام، وجَلْبِ مراضيهم، وانقطاعِهِ إليهم، وفناءِ رأيه دون آرائِهم، واتّباعِهِ لهم اتِّباعَ الظِّلّ لِذِيهِ(٣). حتّى إنّه لم يَرُقْهُ نَصْبُ مَنْ عَزَلَهُ إمامُهُ.

ولو كانت له غاية غير ما ذكرنا لوسعه أن يقول: «ذلك يوم، وهذا يوم، والسياسة الوقتيّة تقتضي إبقاءه، كما أنَّ أميرالمؤمنين عليه السلام أقرَّه على القضاء في بدء أمره، ولمَّا فَصَلَهُ ارتفعت عقيرة القوم: «وا عمراه»(٤)، فأنا أولى بالعُذْر»، واحتنك المختار بذلك أفئدةَ النَّاس وعقولهم، ولعلَّ نصبه كان أَدْعَى لاستقرار عرش الملك له كما لا يخفى على الواقف على تاريخ ذلك العهد من كثب.

لم يبرح المختار في حُللٍ من مودّة ذوي القربى قشيبة قبل إمرته، وبعد إمرته، يسترسل ويترسّل في خُطَبه وكُتُبه، ويتجاهر ويتظاهر بفمه وقلمه، ويدحض

(١) ذوب النُّضار: ١١٠.

(٢) مجالس المؤمنين ٢: ٢٤٦.

(٣) أي اتّباع الظِّلّ لصاحبه، أي اتّباع الظّلِ لصاحِبِ الظِّلّ.

(٤) انظر كشف الغمّة ١: ١٣٤، وتنقيح المقال ٣٤: ٤٠٤ ـ ٤٠٥/ الترجمة ١٠٧٣٨.

ويرحض عنهم بسنانه ولسانه، ويحامي عن حقوقهم، ويدرك تـراتـهم مـنقطعاً إليهم لا يظهر منه خلال أعماله، وفي غضون أقواله إلّا ما تمرّن عليه منذ نعومة أظفاره، منذ كان أميرالمؤمنين عليه السلام يحنو ويعطف عليه ويجلسه في حجره، ويمسح على رأسه، ويتوسّم فيه الخير كلّه، فيقول: يا كيِّس، يا كيِّس. ومنذ قتل أبوه فانقطع إلى بني هاشم، واختارهم عن أهله أهلاً، وعن عشيرته عشيرة.

[بعض أدواره المُشَرِّفة]

لم يك هذا التزلّف من المختار إيجاباً من قِبَلِهِ فحَسْبُ، فقد قورن ذلك بقبول من أئمّة الدين عليهم السلام، فهم بين داعٍ له، ومترحِّمٍ عليه، ومُجَزٍّ إيَّاه خيراً، ومؤبِّنٍ له، وعادٍّ لمآثِرِه، وشاكرٍ لأياديه، وذابٍّ عنه، وعارفٍ حقوقَهُ، بلَغَ من ذلك أنّ الإمامَ أبا جعفر الباقر عليه السلام عامَلَ الحكم بن المختار بما عرفته من إكبار مقامه، وتعظيمِ موقفه، وإدناء مجلسه، حتَّى كاد أن يُجْلِسه في حِجْرِه، كُلُّ ذلك لمحض انتمائه إلى أبيه، ثمَّ طفق يدافع عنه، ويفنِّد نسبة الكِذْب إليه، نَهى عن سبّه، وأخذ يَعُدُّ مزاياه في الحديث الآخر الذي عرفت بيانه.

ومن ولائد هذه الزُّلفة: أنَّ مسلم بنَ عقيل رسولَ الحسين عليه السلام لمَّا ورد الكوفة أنزله داره وبايعه، وكانت الشيعة تختلف إليه فيها، وتلقَّاه هو بكلِّ بِشْرٍ وحفاوة وإكرام لوفادته. ولم يخرج منها إلى هاني بن عروة ـ عند قدوم ابن زياد ـ لعنه الله ـ الكوفةَ لأمرٍ نَقِمَهُ عليه، أو كراهةٍ لمكانه، وسآمةٍ شاهدها، غير أنَّه عرف وجه المصلحة في التَّحَوُّل.

وقال الطبري: كانت الشيعة تشتمُ المختار وتعتبه لِما كان منه في أمر الحسن بن عليّ يوم طُعِنَ في مظلم ساباط فحُمِلَ إلى أبيض المدائن، حتَّى إذا كان زمن الحسين [عليه السلام] وبَعَثَ الحسينُ مسلم بن عقيل إلى الكوفة نزلَ دار المختار، وهي اليوم دار سلم بن المسيّب، فبايعه المختارُ بن أبي عبيد فيمن بايعه من أهل الكوفة، وناصحه ودعا إليه مَن أطاعه، حتّى خرج ابن عقيل يوم خرج

والمختارُ في قريةٍ له بخُطَرْنِيَة[١] تُدْعَى لقفا.

فجاء خبرُ ابن عقيل عند الظهر أنّه قد ظهر بالكوفة، فلم يكن خروجُهُ يومَ خرجَ على ميعاد من أصحابه، إنّما خرج حين قيل له: إنّ هاني بن عروة المراديّ قد ضُرِبَ وحُبِس، فأقبل المختارُ في مَوالٍ له، حتّى انتهى إلى باب الفيل بعد المغرب، وقد عقد عبيدُالله بنُ زياد لعمرو بن حريث رايةً على جميع الناس، وأَمَرَهُ أن يقعد لهم في المسجد[٢]... إلخ، وذكر الحديث، ولعلّنا نأتي بالبقيّة فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

وروى صاحب «روضة الصفا» المؤرّخ: أنّه لذلك، ولحُسْنِ خدمته لمسلم رضيت عنه الشيعة، واعتذرت إليه عن نيلها منه منذ عهد يوم المدائن، واعترفت بخطأ ظنونهم[٣].

قلت: قد شرحنا لك حديثَ يوم المدائن بما لا مزيد عليه، وأنّه كان سوء فهم تاهت فيه الهواجس، وخبطت فيه المخايل.

وروى صاحب كتاب «روضة الصفا» أيضاً: أنّ الحسين عليه السلام لمّا أرسل مسلماً أميناً له، وثقة من عنده، يأخذ البيعة، ويتعرّف الحال، قَدَّمَ إليه بنزوله عند رجلٍ صُلْبٍ في إيمانه بأهل البيت، متثبّتٍ فيه[٤].

فمسلم إمّا أن يكون عرف بالقرائن الحاليّة قصد الإمام عليه السلام للمختار

---

(١) خُطَرْنِيَةُ: ناحية من نواحي بابل العراق.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٤٠ ـ ٤٤١.

(٣) روضة الصفا ٢: ٣٠٠.

(٤) روضة الصفا ٢: ٢٨٩.

فامتثل أمره بنزوله عنده، أو أنّه وجد الوصف متحقّقاً فيه فطبَّقَ قوله به، وفي كلٍّ منهما للرَّجُل من الحسنى ما لا مزيد عليه.

ولمَّا قتل مسلم بن عقيل سلام الله عليه وُشِيَ بالمختار إلى ابن زياد فاستحضره، وقال له: يا ابن أبي عبيد أنت المبايع لأعدائنا[١]؟ وفي رواية الطبري: أنت المُقْبِلُ في الجموع لتنصر ابن عقيل؟ فأنكر المختار ذلك، وشهد له عمرو بن حريث، فرفع ابنُ زيادٍ القضيبَ فاعترض به وَجْهَ المختار فخبَطَ به عينَهُ فشترها، وقال: أَوْلَى لك، أما واللهِ لولا شهادةُ عمرو لك لضربت عنقك، انطلقوا به إلى السجن، فسُجِنَ حتَّى كان من حديث إطلاقه ما ستقف عليه إنْ شاء الله تعالى[٢].

وما كانَ يستهينُ ما يصيبه ـ من الهتك، والضرب، والحبس ـ ويستسهل هاتيك المتاعب إلَّا لما أَخْبَتَ به من وجوبِ مُؤازرة أهل البيت النبوي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ والأَخْذِ بناصرهم، والتَّهالُك دونهم. وإلَّا فما الذي كان يدعوه إلى بيعة مسلم عليه السلام ومناصحته، والدّعوة إليه، ودخوله المصر لمَّا بلغه خبر ظهوره حتَّى كان من أمره مع عمرو بن حريث في المسجد وابن زياد ما كان؟! فراجع الطبري، وابن الأثير، ورسالة الفقيه ابن نما.

لم يزل المختار يرزح تحت نِيْرِ الاضطهاد، لِما كان يَظْهرُ عليه من إحساساته المخالجة قلبَهُ، القَلْبَ المتشرِّبَ خالص الولاء، فيبهظُ ذلك الأهواءَ والنَّزعات السائدة، فتتغلَّظ عليه الحُقودُ، وتغلي عليه المراجل، فإذا بصروا به:

---

(١) ذوب النُّضار: ٦٨.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤: ٤٤١ ـ ٤٤٢.

[من الكامل]

نَـظَرُوا إِلَـيْهِ بِأَعْـيُنٍ مُـحْمَرَّةٍ نَظَرَ الذَّلِيلِ إِلى العَزِيزِ القاهِرِ[١]

ومن جرَّاءِ ذلك كان يُزَجُّ في أعماق السجون تارةً، ويتقاذف به الحِلُّ والتَّرحال أُخرى. وبالرغم من تلكم الكوارث لم يبرح هو رافعاً عقيرته ـ في غَيابَةِ الجُبِّ طوراً، وعلى ظهر الناقة طَوْراً آخر، وإذا ضَمَّه صدرُ النَّدِيِّ مرَّةً [ثالثة] ـ بالدَّعوة إلى أمر الثار، والتَّوثُّب على زُمَر الإلحاد والبغي، حتَّى إذا هتف به هاتفُ النَّصر قام له على قدم وساق، وضَرَبَ ثَبَجَ[٢] الكُفْر بيد من حديد، ولم يَبْدُ منه خلالَ تلك الأعمال النّاجعة إلّا ما يؤكّد ما يُؤْثَرُ عنه من اندفاعه إلى أعماله بدافع ديني، ولا محالة أنّ سِرَّ المرءِ يبدو على فلتات لسانه؛ قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «المرء مخبوء تحت لسانه»[٣]، لا طيلسانه، والله سبحانه يظهر الحسنات، وإن جهد الإنسان في إخفائه:

[من الطويل]

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ آمْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِن خالَها تَخْفَى عَلَى النّاسِ تُعْلَمِ[٤]

فما يلفظه الإنسان هو الذي يشفّ عمّا انحنت عليه أضالعه، وهو أكبر مُمَثِّلٍ

---

(١) البيت من جملة أبيات لعليّ بن عبدالله بن عبّاس، حين سمعَ ابنُ عبّاسٍ قوماً يعيبون عليّاً فحاججهم وأخزاهم، ثمّ قال لولده عليّ وكان قائدهُ: كيف رأيتهم يا ولدي؟ وكان ابن عبّاس إذ ذاك أعمى، فقال ولدُهُ:

نظروا إليك بأعين محمرّة نظر الذليل إلى العزيز القاهرِ

وانظر القضيّة كاملة في أمالي الصدوق: ١٥٧/ح ١٥١، والمناقب للخوارزمي: ١٣٧.

(٢) الثَّبَج: أعلى الكاهل.

(٣) نهج البلاغة ٤: ٣٨/ الرقم ١٤٨.

(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى من معلّقته. انظر شرح ديوانه: ٣٣.

لشعوره، وأجملُ مثالٍ لحقيقته، وإلّا فهو كملفُوفَةٍ لا يُدرى أَدُرَّةٌ هي أم بَعْرَة.

وممّا يُثْبِتُ هذا الباب في المختار علاوةً على ما قدّمناه ما رواه عبدالقاهر البغدادي في «الفَرْق بين الفِرَق»: من أنّه باشر قتال مصعب بن الزبير بنفسه بالمذار[١] من ناحية الكوفة، وقَتَلَ في تلك الواقعة محمَّدَ بن الأشعث الكندي، فقال المختار: **طابت نَفْسِي بقتله أَنْ لم يكن قد بَقِيَ من قَتَلَةِ الحسين عليه السلام غيرُهُ، ولا أُبالي بالموت بعد هذا**[٢]، انتهى.

فهو يصارح في هذه الكلمة بحصر مقصده في اصطلام قَتَلَةِ الإمام عليه السلام حتَّى في تلك الساعة الحرجة الّتي كادت الدَّوائر تدورُ عليه فيها، فتراه أنّه لم تَطِبْ نفسُهُ بقتل مَنْ قُتِلَ فيها، وكُلُّهم أعداؤه، لكنَّها طابت بقتل الملحد الكافِرِ المرجِفِ على ريحانة الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ونَحْنُ لا نُدْحَةَ لنا من تصديقه لِما سلف من تصديق الإمام الباقر عليه السلام إيَّاه.

وبمناسبة هذا الفصل قلت[٣]:

لَم يَعْدُ ما قَد قالَهُ الشَّيخُ التَّقِيْ
أَصالَةَ الرَّأْي وصِدْقَ المَنْطِقِ
لِما رَوَوا عَنِ الإمامِ الباقِرِ
فِيما يَقُولُهُ بِنَصٍّ ظاهِرِ

---

(١) كذا ورد في الأصل وهو اشتباه لأنّ المذار: هو فيما يقرب اليوم من موضع «قلعة صالح» التابعة لمحافظة ميسان «العمارة» وفيها قبر عبدالله بن عليّ الذي قتل تحت راية مصعب بن الزبير. راجع مادّة «المذار» من معجم البلدان لياقوت الحموي.

(٢) الفَرْق بين الفِرَق: ٥٢.

(٣) من أُرجوزة للمؤلّف ـ قدّس سرّه ـ في أحوال المختار.

فَـــحَسْبُهُ مِـــنهُ فِـصاحُ الكَـلِمِ
تَزْهُو عُقُوداً في حَدِيثِ الحَكَمِ[١]
فَكُـــلُّ مـا أَبْـداهُ مِـن مُـعْتَقَدِ
فَـــهْوَ لُـــبابُ رَأْيِـــهِ المُسَـدَّدِ
ونَـــحْنُ لم نُـــلْفِ بِـحَقٍّ قـالَهُ
مـــا نـــاقَضَ الأُولى بِـــهِ مَآلَـهُ
لٰكِـــنَّما قَـد صَـدَّقَ الخُبْرُ الخَـبَرْ
والعَينُ إن طابَتْ فَفي الإِثْـرِ الأَثَـرْ
وإِنَّـــما سِـــرُّ الفَـتَى فـي قِـيلِهِ
لا بِـــزَّةٍ[٢] تَـــحْوِيهِ أو مَـقِيلِهِ

❊ ❊ ❊

(١) هو أبو محمّد الحَكَم بن المختار الثقفي.
(٢) البِزَّة: الأثواب، والهيئةُ والحالةُ.

دعوات مجابة للمختار

تكرّر منّا في هذه الرسالة ذكرُ دُعاءِ أئمَّة الدِّين ـ عليهم السلام ـ للمختار، وشكرهم مساعيه، وعدّهم لمزاياه، إلى شَرْوَى هذه من فضائل جمّة هي براهين على استقامته في أمر دينه، وانتزاحه عن أيِّ دعوة مُضِلَّة، وطهارته عن أيِّ شِيَةٍ ومَنْقَصَةٍ.

وقد عرفتَ من تلك الفضائل حديثين، روينا أحدهما تحت عنوان «المختار صدوق في لهجته» وهو حديث الحكم بن المختار.

والآخر تحت عنوان «المختار والوقيعة فيه» وهو قوله عليه السلام: «لا تسبّوا المختار»... إلخ، وإن استزدتَ من ذلك، فإليك المزيد:

روى الكشّي في «رجاله»، عن محمّد بن مسعود، عن عليّ بن أبي عليّ الخزاعي، عن خالد بن يزيد، عن الحسين بن زيد، عن عمر بن عليّ بن الحسين: أنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام لمّا أُتي برأسِ عبيدالله بن زياد، ورأسِ عمر بن سعد، خرّ ساجداً، وقال: «الحمد للّه الذي أدرك لي ثاري من أعدائي، وجزى المختار خيراً»[1].

---

(١) رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال) ١: ٣٤١/ح٢٠٣. وفيه «وجزى الله المختار خيراً»، لكن في البحار ٤٥: ٣٤٤/ح١٢ عن الكشّي كمتن المؤلّف «وجزى الله المختار خيراً».

ورواياه الفقيه ابن نما في «ذوب النُّضار»، وفي لفظه: «وجزى الله المختار خيراً»[١]. واعتمد عليه ابن داود في «رجاله» عند الدفاع عن المختار[٢].

وقد عرفت دعاء الإمام الباقر عليه السلام له في حديث الحكم بن المختار، والترحُّم عليه مرّتين أو ثلاثاً.

وروى آية الله العلّامة في «الخلاصة» عن ابن عقدة: أنّ الإمام الصادق عليه السلام ترحّم على المختار[٣].

وذكر الفقيه ابن نما في رسالته اختفاء عمر بن سعد ـ لعنه الله ـ عن المختار، وإعطاءَه الأمان له ما لم يُحْدِث حدثاً، ليميط عنه سِتارَ الخفاء، فيتمكّن من قتله، من دون مؤُونة زائدة، فكان يدنيه ويجالسه ليغرّه بذلك، فلا يبغي الغوائل دون مقصد المختار المقدّس على تفصيل أسلفناه قبل هذا، وبعد أن أُتيح له قتلُ الرِّجسِ وجَرْوِهِ حَفْصٍ حمل الرأسين إلى مكّة مع مسافر بن سعد الهمداني، وظبيان بن عمارة التميمي، فبينا محمّد بن الحنفيّة جالسٌ في نفر من الشيعة يعتب على المختار، فما تمَّ كلامه إلّا والرأسان عنده، فخرَّ ساجداً، وبسط كفّيه وقال: اللهمّ لا تَنْسَ هذا اليوم للمختار، واجْزِهِ عن أهل بيت نبيّك خير الجزاء، فوالله ما على المختار بعد هذا من عَتْب[٤].

وفي «روضة الصفا»: أنّ المختار أرسل إلى محمَّد مع الرأسين شيئاً من المال[٥].

---

(١) انظر ذوب النُّضار: ١٤٣.

(٢) انظر رجال ابن داود: ٢٧٧/ الترجمة ٤٩٣.

(٣) خلاصة الأقوال: ٢٧٦/ الترجمة ٢ من الباب ٨.

(٤) انظر ذوب النُّضار: ١٢٩.

(٥) روضة الصفا ٢: ٢٩٠.

وفي آخر رسالة ابن نما الفقيه: أنّه لمّا بعث المختارُ رأسَ ابن زياد، ورؤوسَ القوّاد إلى مكّة مع عبدالرحمن بن أبي عمير الثقفي، وعبدالرحمن بن شدّاد الجشمي، وأنس بن مالك الأشعري ـ وقيل: السّائب بن مالك ـ ومعها ثلاثون ألف دينار إلى محمّد بن الحنفيّة، وكتب معهم: «**إنّي بعثتُ أنصاركم وشيعتكم إلى عدوّكم، فخرجوا محتسبين أَسِفِينَ، فقتلوهم، فالحمد للّه الّذي أدرك لكم الثار، وأهلكهم في كلّ فجّ عميق، وأغرقهم في كلّ بحر عميق، وشفى الله صدور قوم مؤمنين**»، فقدموا بالكتاب والرؤوس عليه، فلمَّا رآها خرّ ساجداً، ودعا للمختار، وقال: جزاه الله خير الجزاء، فقد أدرك لنا ثارنا، ووجب حقّه على كلِّ مَنْ وَلَدَهُ عبدالمطّلب بن هاشم. اللهمّ واحفظ لإبراهيم بن الأشتر، وانصره على الأعداء، ووفّقه لِما تحبُّ وترضى، واغفر له في الآخرة والأُولى.

فبعث رأس عبيدالله بن زياد إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام، فأُدخل عليه وهو يتغدّى، فسجد شكراً للّه تعالى، وقال: «الحمدُ للّه الذي أدرك لي ثاري من عدوّي، وجزى الله المختارَ خيراً. أُدخِلْتُ على عبيدالله بن زياد وهو يتغدّى، ورأسُ أبي بين يديه، فقلت: اللّهمَّ لا تُمِتْني حتَّى تريني رأسَ عبيدالله بن زياد».

وقسّم محمّدٌ المالَ في أهله وشيعته بمكّة والمدينة وعلى أولاد المهاجرين والأنصار(١).

وفي «تظلّم الزهراء» للعالم البارع آقا رضي القزويني، ما لفظه: وفي رواية أُخرى: فلمّا نظر يعني الإمام زين العابدين عليه السلام إلى رأس ابن زياد خرّ ساجداً وقال: «الحمد للّه الذي أخذ بثاري منك، وقتلك يا عدوّ الله. لقد أُدخل

(١) ذوب النُّضار: ١٤٣ ـ ١٤٤.

رأس أبي على هذا الملعون وهو يتغدّى، وهذا رأسُهُ بين يدي وأنا أتغدّى، جزاك الله يا مختار خيراً، ودعا لابن الأشتر»[١]، انتهى.

والأوفق بالصّحّة هو ما فيهذه الأحاديث من بَعْثِ رأس ابن سميّة، وابن سعد، ورؤوس القوّاد، إلى محمّد بن الحنفيّة، ثمّ بلوغها إلى الإمام السّجّاد عليه السلام.

وبمقربة منه ما في «شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي: من أنّ المختار بعث رأس ابن زياد إلى المدينة في نحو سبعين ألف رأس، وشاهدهم نساءُ أهل البيت الكرام، وبقي الوقوف بين يدي الملك العلّام[٢]، انتهى.

ومجموع هذه النقول هو الذي يساعده الاعتبار، ويعضده التاريخ، فما في «مروج الذهب»: من أنَّ المختار بعث رأس ابن زياد وغيره إلى ابن الزبير[٣]... إلخ، بعيدٌ غاية البعد، وفي مكان من الوَهْنِ.

وقد وقفت على شيءٍ من السَّوابق المظلمة بين الرجلين، وتَنَمُّرِ المختار لابن الزبير في إمرته، ولم يبرح على ذلك حتّى استُشْهِد على يد مصعب بن الزبير. فليس من المعقول والحالة هذه أن يبعث بالرؤوس إليه، فإنّ أيَّ فاتح لا يفعل مثل ذلك إلّا مع من يعنو له في دينه، أو سياسته، ولم يكن المختار يرى لابن الزبير شيئاً من أمر الخلافة، وكان يعاكسه في أمر السياسة وإنْ وادَعَهُ رَدْحاً استكفاءَ شَرِّه حتَّى انقطعت بينهما الوسائل، ولم يكن ابن الزبير صاحب ثار الحسين عليه السلام، وإن كان قد يتظاهر به إبّان حياة يزيد لاستثارة العواطف عليه، لكنّه سكت

(١) تظلّم الزهراء: ٢٢٠.

(٢) شذرات الذهب ١: ٧٤.

(٣) مروج الذهب ٣: ١٠٥ وفيه: وحمل إبراهيم بن الأشتر رأس ابن زياد وغيره إلى المختار، فبعث به المختار إلى عبدالله بن الزبير بمكّة.

عنه بعد هلاكه، وشَفَعَهُ بأعمال كشفت عن أنّها كانت مكيدة من مكائده في طلب الملك.

وإنّما كان صاحب الثار هو الإمام زين العابدين ابن شهيد الطّف، ثمّ محمَّدٌ أَخُوهُ.

وقد سبق منّا البيان الوافي لعدم تظاهر الإمام عليه السلام، وعدم إسناد شيء من تلك النهضة الكريمة إليه، وتَقَدُّم محمَّدٍ بها، وتَهيُّج الملأ الشيعي لها، ولذلك كان المختار يبعث بالرؤوس إليه، وبواسطته كانت تصل إلى الإمام عليه السلام.

وقال المحقّق الأردبيلي في «حديقة الشيعة» في كلام له يذبّ به عن المختار: «وعدّه العلّامة من المقبولين، ومنع الإمامُ الباقر عليه السلام أُناساً كانوا ينالون منه، وترحَّم عليه الإمام الصادق عليه السلام، ودعا له الإمام السجّاد عليه السلام»(١)... إلخ.

ولقطب الدين الإشكوري في «محبوب القلوب» كلام يُشبه هذا، أو أنَّه أبلغ منه. ونقل القاضي التستري عن الشيخ الأجل عبدالجليل الرازي في «نقض الفضائح» بعد ذكر ما بَهَتُوا به المختار في قصّة الإمام المجتبى عليه السلام بالمدائن ـ وقد أسلفنا الحقيقة الراهنة فيه ـ أنّه قال: كيف يُنْسَبُ إليه مثل ذلك، وقد دعا له أميرالمؤمنين عليه السلام على عهد الطفولة، وأثنى عليه، ووعده النَّصر، وعلى صِحَّةِ مقالِهِ عليه السلام قتل مائة ألف خارجيٍّ وباغٍ من أعداء آل المصطفى ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ حتّى بادر إلى جِنانِ الخُلْدِ سَعِيداً(٢)... إلخ.

---

(١) حديقة الشيعة: ١١٣.

(٢) مجالس المؤمنين ٢: ٢٥٠.

قال الفقيه ابن نما في «ذوب النُّضار»: اعلم أنّ كثيراً من العلماء لا يحصل لهم التوفيق بفطنةٍ تُوقِفُهُم على معاني الألفاظ، ولا رويَّةٍ تنقلهم من رقدة الغفلة إلى الاستيقاظ، ولو تدبَّروا أقوال الأئمّة عليهم السلام في مدح المختار، لعلموا أنَّه من السابقين المجاهدين الذين مدحهم الله سبحانه جلّ جلاله في كتابه المبين، ودعاءُ زين العابدين عليه السلام للمختار دليلٌ واضح، وبرهان لائحٌ على أنّه عنده من المصطفين الأخيار. ولو كان على غير الطريقة المشكورة، ويعلم أنّه مخالف في اعتقاده، لَما كان يدعو له دعاءً لا يُستجاب، ويقول فيه قولاً لا يُستطاب، وكان دعاؤه له عبثاً، والإمام منزّه عن ذلك[١].

وقال الشيخ أبو علي في «منتهى المقال»: وأمّا قبول روايته على فرض تحقُّقها، فأنت خبير بأنّ ترحُّم عالمٍ من علمائنا على الراوي يقتضي حُسْنَهُ، وقبولَ قوله، فكيف بترحُّم الإمام الصادق عليه السلام على ما مرّ عن ابن عقدة[٢]... إلخ.

وكيفَ؟ والإمامُ الباقر عليه السلام كرّر التَّرحُّم عليه مرّتين أو ثلاثاً، والإمام زين العابدين عليه السلام جزّاه خيراً، ودعاءُ ابنِ الحنفيّة بعد ذلك كلّه لا يقصر عن دعاء أيِّ عالم كبيرٍ من علمائنا، وهو أحد المحامدة الذين قال فيهم أبوه أميرالمؤمنين عليه السلام: «إنّ المحامدة تأبى أن يُعصى الله»[٣].

وقال بعض الأعلام في ترجمة المختار: إنّ ورود الذَّمِّ له مُعارَضٌ بما هو أَصحُّ منه سنداً؛ من ترحُّمِ الصَّادق عليه السلام[٤]... إلخ.

---

(١) ذوب النُّضار: ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٢) منتهى المقال ٦: ٢٤٤/الترجمة ٢٩٥٢.

(٣) رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال) ١: ٢٨٦/ح ١٢٥.

(٤) انظر منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للسيّد حبيب الله الخوئي ٢: ٢٦٧.

وفي «تظلّم الزهراء عليها السلام» للعالم البارع آقا رضي القزويني: قال أحمد ابن محمّد الحدَّاد: فانظر أيّها السامع نظر المُنْصِفِين، واعْدِلْ عن مقالة المعاندين، هل يكون المختار ـ مع دعاء زين العابدين، وأولاده أئمّة الدين، وأقاربه الأولياء المقرّبين إلّا من رجال الله المصطفين الأخيار؟! وهل يحسن أن يُعامَل بالقطيعة، وأن لا يُوفَّى حقّه؟![١] ... إلخ.

وعدّه أبوبكر الخوارزمي ـ في كتابه إلى جماعة الشيعة بنيسابور ص٧٨ من كتاب رسائله ط سنة ١٣١٦ المطبعة العثمانيّة ـ: من شهداء الشيعة المظلومين المضطهدين: كعمرو بن الحمق الخزاعي، وحجر بن عدي الكندي، وشهداء الطف المقدّسين، وقال: ثمّ تسلّط ابن الزبير على الحجاز والعراق فقتل المختار بعد أن شفى الأوتار، وأدرك الثار، وأفنى الأشرار، وطلب بدم المظلوم الغريب، فقتل قاتله، ونفى خاذِلَهُ، واتّبعوه أبا عمرة بن كيسان، وأحمر بن شميط، ورفاعة ابن يزيد، والسائب بن مالك، وعبدالله بن كامل، وتلقَّطُوا بقايا الشيعة يمثّلون بهم كُلَّ مُثْلَة، ويقتلونهم شَرَّ قِتْلَة، حتّى طهّر الله من عبدِالله بن الزبير البلادَ، وأراح من أخيه مصعبٍ العبادَ... إلخ.

ومن الأراجيز المناسبة لهذا الباب ما قلته[٢]:

دَعـا لَـهُ مِـن سَـرَواتِ المَـجْدِ   أَرْبَــعَـةٌ كُــلٌّ بِــقَوْلٍ مُــجْدِي
جَــزَّاهُ خَـيْراً الإِمـامُ الرَّابِـعُ   وَإِن تَعامَى عَنْهُ طَرْفٌ هاجِعُ
وكَـــرَّرَ البـــاقِرُ لِلـــتَّرَحُّمِ   في قَولِهِ عِنْدَ سُؤالِ الحَكَمِ

(١) تظلّم الزهراء: ٢٢١.
(٢) من أُرجوزة لشيخنا المؤلّف قدّس سرّه في أحوال المختار.

قَـفاهُما فـيهِ الإمـامُ السَّـادِسُ فَانْهارَ عَـن مُـخْتارٍ الوَسـاوِسُ
وعَــن أَمِــيرِالمُــؤْمِنِينَ يُــؤْثَرُ لَــهُ دُعــاءٌ جَـلَّ فـيهِ المَـفْخَرُ
وَالأَوَّلانِ فَــضْلَهُ قَــد سَــرَدا وَنَشَــرا لَــهُ فَـخاراً أَتْـلَدا
وَذَبَّ عَــنهُ البـاقِرُ الوَقِـيعَهْ فَعَدَّ فَضْلاً قَـد حَـوَى جَـمِيعَهْ
لٰكِـنَّما الوَصِـيُّ شَـفَّعَ الدُّعـا بِمِدْحَةٍ يَعْرِفُها مَـن قَـد وَعَـى
وَقَـدْ تَـلَتْها مِـدْحَةُ ابـنِ خَـوْلَهْ يَـومَ قَـفا الدُّعـاءُ فـيهِ قَـوْلَهْ
فَقالَ فـي ذِكْـرٍ لَـهُ قَـد بَـجَّلَهْ: لا تَنْسَ هٰذا اليومَ يا ذا المَنِّ لَهْ
فَـيا سَـقَى الوَسْـمِيُّ لِـلْمُخْتارِ مَـرْقَدَ قُـدْسٍ حُـفَّ بِـالأَنْوارِ

❊ ❊ ❊

تقديرات لمساعي المختار وشكره عليها

إنَّ الشُّكْر من أيٍّ أحد على أيٍّ من الأعمال ينمُّ عن تقدير له، ورضاه به، وابتهاجه لموقعه، فإذا رأينا شاكراً ليدِ آخرَ وصَنِيعِهِ، فلا محالةَ من أن نُذْعِنَ بأنَّ العمل المشكور أخذَ مأخَذَهُ من مرضاة مَنْ أُسْدِيَ إليه ذلك الصَّنيع، وإذا رأيناه يُكْبِرُهُ في موطنِ الذَّبِّ عنه، أو عند إطرائه له، فلابُدَّ من أن نعدَّهُ شُكْراً منه وتقديراً للعمل.

وأنت متى راجعت حديثَ الحَكَمِ بن المختار ـ السابق ـ ووجدتَ الإمام الباقر عليه السلام يقول ـ في تفنيد قول من يقول: إنّه كذّاب ـ: «سبحان الله، أخبرني أبي والله أنَّ مَهْرَ أُمّي كان ممّا بعث به المختار، أَوَ لَم يَبْنِ دورنا؟ وقتل قاتلينا؟ وطلب بدمائنا؟ فرحمه الله. وأخبرني والله أبي أنّه كان لَيَسْمُرُ عند فاطمة بنت عليّ عليه السلام ويمهّد لها الفراش، ويثني لها الوسائد، ومنها أصاب الحديث، رَحِمَ الله أَباك، رَحِمَ الله أَباك، ما ترك لنا حقّاً عند أحد إلّا طلبه، قتل قتلتنا، وطلب بدمائنا»[(١)].

ووجدتَهُ يقول في حديث الآخر السالف ذكره بعد النَّهْيِ عن سبّه ما نصّه: «فإنّه

---

(١) رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال) ١: ٣٤٠ ـ ٣٤١/ح١٩٩، ذوب النُّضار: ٦٢.

قتل قَتَلَتنا، وطلب بثارنا، وزوّج أراملنا، وقسّم فينا المال على العسرة»[١].

ووجدتَ الإمام الصادق عليه السلام فيما رواه الكشّي، عن إبراهيم بن محمّد، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد، عن الحسن بن عليّ، عن العبّاس بن عامر، عن سيف بن عميرة، عن جارود بن المنذر، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «ما امتشطت فينا هاشميّة، ولا اختضبت، حتّى بَعَثَ إلينا المختارُ برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام»[٢].

واعتمد عليه ابن داود في «رجاله» فيما استدلّ به على حُسْنِ حال المختار[٣].

وروى الفقيه ابن نما في «ذوب النُّضار»: عن المرزباني بإسناده عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، أنّه قال: «ما اكتحلت هاشميّة، ولا اختضبت، ولا رُئِيَ في دار هاشميّ دخانٌ خمسَ حجج، حتّى قُتِلَ عبيدالله بن زياد»[٤].

وعن عبدالله بن محمّد بن أبي سعيد، عن أبي العيناء، عن يحيى بن أبي راشد، قال: قالت فاطمة بنت عليّ عليه السلام: ما تَحنَّأَتِ امرأةٌ منّا، ولا أجالت في عينها مروداً، ولا امتشطت، حتّى بعثَ المختارُ رأسَ عبيدالله بن زياد[٥].

وفي «تاريخ اليعقوبي»: «وروى بعضُهم أنَّ عليّ بن الحسين [عليه السلام] لم يُرَ ضاحكاً قطّ منذ قُتِلَ أبوه إلّا في ذلك اليوم [يوم وصول رأس ابن زياد إليه]... إلى قوله: وامتشطت نساء آل الرسول [صلّى الله عليه وآله وسلّم] واختضبن،

---

(١) رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال) ١: ٣٤٠/ح١٩٧، ذوب النُّضار: ٦١.

(٢) رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال) ١: ٣٤١/ح٢٠٢.

(٣) انظر رجال ابن داود: ٢٧٧/ الترجمة ٤٩٣.

(٤) ذوب النُّضار: ١٤٤.

(٥) ذوب النُّضار: ١٤٤ ـ ١٤٥.

وما امتشطت امرأة، ولا اختضبت منذ قُتِلَ الحسين بن عليّ [عليه السلام][(١)].

وإذا رأيتَ الإمام السّجّاد صلوات الله عليه يقابل ما أُسدِيَ إليه من جميل جَمٍّ بالدعاء، ومحمّد بن الحنفيّة يقول: «وجب حقّه على كلِّ مَن وَلَدَهُ عبدُالمطّلب»[(٢)]، ويقول: «اللّهمّ لا تَنْسَى هذا اليوم للمختار»[(٣)]... إلخ، فإنّك متى راجعت هذه الأحاديث، وما يجري مجراها، لا تجد بُدّاً من أن تعتقد أنّ ذلك الجميل المتواصل، والبِرَّ المتوافر المُسْدَى إلى آل محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وقَعَ منهم موقعَ الرِّضا والقبول، وقابلوه بكُلِّ بِشْرٍ وانبساط، ونَشْرٍ لفضلِ المختار، وبيانٍ لصدقه، وهتافٍ بأَمره، وتعريفٍ بمقامه، وإشهار لأمره، وأَذانٍ بنفسيّته الطيّبة، وإذاعةٍ لموقفه عندهم، وزُلْفَتِهِ لديهم، وقُرْبِهِ منهم، واختصاصِهِ فيهم، ومَنْعِ النّاس عن القول السَّيِّئ فيه، ومَسِّ كرامته، وخدش عاطفته، ودحض كُلِّ فرية عنه.

وما ظنُّك برجل ناءَ بعبءِ الدعاية إلى آل محمّد صلّى الله عليه وعليهم، والطَّلب بحقوقهم، وأخذِ ثاراتهم، وإثْلاج صدورهم، وبناءِ دورهم، حتَّى سَدَّ لهم الثَّغْر، وأَلَّفَ الشَّمْلَ، وأزاحَ عنهم المَثُلات، وكايلَ أعداءهم صاعاً بصاع وإن كان ثار الله لا تَزِنُهُ العوالمُ بأَسْرها، لكنَّ المختار أطفأ في الظَّاهر وَهَجَ تلك القلوب الطاهرة، وشَفَى غليلها، حتَّى اكتحلت الهاشميّات، واختضبت وامتشطت، وتهنَّأَت بالطعام، ولم تك فعلت شيئاً منها مُنذُ مشهد يوم الطَّفِّ إلى غاية خَمْسِ

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥٩.
(٢) ذوب النُّضار: ١٤٣.
(٣) ذوب النُّضار: ١٢٩، الفتول لابن أعثم ٦: ٢٤٧.

حِجَجٍ، وسُرَّ الإمام عليه السلام إذ أُدْخِلَ عليه رأسُ ابني سعدٍ وسميَّة، وزبانيتهما اللُّعناء، وهو يتغدّى، مكافأةً لما فعله ابنُ الزَّانية برأسِ الحسين عليه السلام إذ أُدْخِلَ عليه وهو يتغدَّى.

أضف إلى ذلك ما فعله بالكوفة من تشتيت شمل الإلحاد، وجَرِّ الويلات على كلِّ أُمويٍّ في نزعته وهواه، حتَّى أَتَى على بُنْيانهم، ﴿ **فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيثُ لاَ يَشْعُرُونَ** ﴾[١]، وزلزل عليهم ﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴾[٢]، وفرَّقَ القومَ أَيْدِي سبا، وتركهم أَشْلاءً ممزَّقة، تنهشُهُم الوُحُوشُ الكواسر، وتنالُ منهم الطُّيور الجوارحُ. هذا ﴿ **وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ** ﴾[٣].

إنَّك إذا نظرتَ إلى هذه بنظرة منك عميقة، ثمّ إلى ما لأئمّة الدين عليهم السلام إزاءها من ذِكْرٍ وشُكْر ـ وثناء، ومدح، وتقدير، وتقديس، ودعاء، وترحّم ـ فإنّ تحرِّيَ الحقيقة ورعايةَ المنطق لا يدعان لك مُلْتَحَداً عن أن تقول بكلّ صراحة: إنّ المختار رجلُ الحقيقة، ورايةُ الصلاح، وشارةُ المجد، ووسامُ الشَّرف، وحاميةُ الدِّين، ومِنْ عُمُدِ المسلمين.

قال المحقّق الأردبيلي في «حديقة الشيعة» ما مفاده: إذا ثبت أنَّ آلافاً مؤلَّفة يدخلون الجنّة لمحضِ البكاء على شهيد الطفّ سلام الله عليه، أو لمجرَّد ما يدور في مخيلتهم من تمنّي مؤازرة السبط الشهيد، والكون معه، والشَّهادة بين يديه،

---

(١) النحل: ٢٦.

(٢) الأعراف: ٧٨.

(٣) طه: ١٢٧.

فليس من البِدْعِ أن يدخلها المختارُ الذي قتل مثلَ ابن سعدٍ، والشّمرِ، وخوليّ، ابنِ الأشعث بن قيس الكندي.

وجاء في التواريخ المعتبرة: أنَّ عمرو بن الليث عرض عليه جيوشه، فأمر أن يعطي لِكُلِّ من ينضَمُّ إليه ألفُ مقاتل من أُمراء الجيش عموداً من ذهب، فأُحصيت عليه مائة وعشرون عموداً، وإذ قرع سمعه ذكر مائة وعشرين ألف دارع ألقى نفسه من صهوة السرج، وسجد وعفّر خدّه وبكى بكاءً طويلاً حتّى أُغمِيَ عليه. فلمّا أفاق قيل له في ذلك، فقال: لَمَّا أُنْهِيَ إليَّ عددُ الجيش ذكرتُ فاجعة الطّفّ، فتمنَّيت إدراك ذلك اليوم مع هذا الحشد اللُّهام، ومقاتلة أعداء الإمام الشهيد عليه السلام، والمفاداة دونه بالنفس. قال: فلمَّا أَدْرَكَتْ عَمْراً الوفاةُ رُئي في المنام مُمَنْطَقاً متوّجاً بتاج، وأَمامه الحورُ، وبجنبه الغلمان، فسأله سائل عن حاله، فقال: إنَّ المولى سبحانه أرضى عَنِّي خُصَمائي، وغفر لي لذلك التّمنِّي عند عرض الجيش.

قال المحقّق الأردبيلي قدّس سرّه: فلو كان الإنسان ينجو بمثل هذا التّمنّي، فمِنَ المتيقَّن أنّ مثل المختار يكون من ذَوي الدرجات الرفيعة، والمراتب السّنيّة[1].

وقال الفقيه ابن نما في الرسالة ـ عند ذكر مساعي المختار وشكره عليها ـ ما لفظه: وأظهرتُ ما كان في ضميري، وجعلتُ نشر فضله أنيسي وسميري، لأنّه به خَبَتْ نارُ وَجْدِ سيِّد المرسلين، صلَّى الله عليه وآله وسلّم، وقَرَّتْ عينُ زين العابدين عليه السلام[2]... إلخ.

---

(١) انظر حديقة الشيعة: ١١٤.

(٢) ذوب النُّضار: ٥٠.

وكان الوالد العلّامة قدّس سرّه[١] لا يضع المختار إلّا حيث منصّة الشرف المعلّى، والمجد الأثيل، ولا يقول فيه إلّا كلّ جميل، ولا يرجو له إلّا الخير كلّه، لِما أَسْدى إلى العترة الطاهرة من جميله الوافر، وبرّه المتكاثر، ولا يأبه بشيء ممّا جاء في ذمّه، وَيَذَرُهُ في مدحرةِ الضَّعْف والهوان، معتمِداً على الأحاديث الواردة في الثَّناء عليه، وما شَحَنَ به صحيفَتَهُ البيضاء، من فضائل جمَّة، ومَلَأَ عِيابِ[٢] مَجْدِهِ من الخيرِ الكثير المشفوع بحُسن النِّيَّة، وخلوصِ القَصْدِ.

هذا ما تسنَّى لي من الإعرابِ عن نظريّة شيخنا الوالد ـ قدّس سرّه ـ على ما كُنتُ أَسمعه منه إبَّان حياته، وهي لا تعدو أيَّ عالم ضليع، وفي مفادها نظمتُ هذه الأُرجوزة[٣]:

لَـو كـانَ يَأْتـي مِـنْهُ أَمْرٌ إِمْرا[٤] ... لَـم يُـولِهِ آلُ النَّـبِيِّ شُكْـرا
وَلا زووا عَـنْهُ السِّـبابَ المُـقْذِعا ... لأَنَّـهُ حَـمَى المَعالي وَوَعَـى
وَأَدْرَكَ الثَّـارَ لِأَبـناءِ الهُـدَى ... وَبَسَـطَ الوَفْـرَ عَـلَيْهِمْ والنَّـدَى
ولم يَـدَعْ حَـقّاً لآلِ المُـصْطَفَى ... يَمْضِي كَما هَوَتْ بَنُو صَخْرٍ جُفا[٥]
وَمـا دَحَـوا عَنْهُ ارتـجافَ القـائِلِ ... بِكِـذْبِهِ إلَّا لأَمْـرَ طـائِلِ
إذ مَـحَضَ الوَلاءَ فِـيهِمْ مَـحْضا ... غَـداةَ أَصْـفَى فـي الوَلاءِ المَحْضا

---

(١) هو آية الله الشيخ أبوالقاسم، صاحب المؤلّفات الكثيرة في الفقه وأُصوله وفي التفسير والعقائد ـ راجع الكنى والألقاب ٢: ٢٠ ـ ٢١/ الأُردبادي، وترجمته في باب المجاميع من هذه الموسوعة.

(٢) العِياب: جمع العَيْبَة، وهي الوعاء الذي يكون فيه المتاع.

(٣) مِنْ أُرجوزة للمؤلّف ـ رحمه الله ـ في أحوال المختار.

(٤) الإِمْرُ: العجيب، المنكر، ونصبه هنا على الحاليّة.

(٥) يقال: ذهبَ الحقُّ جُفاءً، أي باطلاً.

وَلَيْسَ قَوْلُهُم: لَهُ حَقٌّ وَجَبْ عَلَى الَّذي نَماهُ عَبدُالمُطَّلِبْ
إلّا لِتَقْدِيرِ أيادٍ واجِبَهْ لَهُ عَلَى آلِ النَّبيِّ قاطِبَهْ
وَلَو أَتَى مُقْتَرِفاً ذُنُوبا لَكانَ إطْراهُ الأَثِيمِ حُوبا
وَإنْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ طَرْفٌ رامِقُ لِلحَقِّ تَبْدُو عِنْدَهُ الحَقائِقُ
وعَرفَ المَغْزَى بِقَوْلِ الصَّادِقِ: ما اكْتَحَلَتْ[١]، بِرَأيِ ثَبْتٍ حاذِقِ
فَلَمْ يُرِدْ فِيهِ سِوَى الإصْحارِ[٢] بِما لَهُ مِن فَضْلِهِ الكُثارِ
وأنَّهُ عَزَّى بَناتِ أَحْمَدا إذ ساقَ لِلأَعْداءِ طارِقَ الرَّدَى
فَامْرَحْ بِباحاتِ العُلَى يا ابنَ أَبي عُبَيْدَ[٣] في حِزْبِ الهُدَى آلِ النَّبِي

لا يعرف حقَّ النعمة إلَّا من استَكْنَهها، وبذلك لا يعرف حقّ الانتقال والتعزية إلَّا الموتور، فليست المُسْتَأْجَرةُ كالثَّكْلَى[٤]، فآلُ محمّدٍ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ الموتورون بضحايا مشهد الطفّ ـ صلّى الله عليهم ـ هم أدرى الناس بمقدار ما جاء به المختار من الصنيع لهم، وأحقُّ بتقديره وشُكْرِهِ من غيرهم، لِما علموا من أنّه كيف أخمد مُعْتَلِجَ الوجدِ الكمين في صدورهم، وأطفأ وَهَجَ الحزن الدَّفين بين حنايا أضالعهم، وأحقُّ أهل العالَم كُلِّه بالاتِّباع لأُولئك الأئـمّةِ الميامينِ العلماءُ المحقِّقونَ، فلهم بعد السادة الأوصياء سلام الله عليهم القسط الأوفر من المعرفة

(١) هو قول الإمام الصادق عليه السلام: ما اكتحلت هاشميّة ولا اختضبت، ولا رُئي في دار هاشميّ دخانٌ خمس حجج حتّى قُتل عبيدالله بن زياد.
(٢) أَصْحَرَ: خرج إلى الصحراء، وأَصْحَرَ بالأمر: أظهره؛ مأخوذ من الخروج للصحراء.
(٣) منعه من الصرف ضرورة.
(٤) مَثَل من أمثال العرب، يضرب للفَرْق بين من حُزْنُهُ وبكاؤه حقيقي ومن يتصنّع البكاء. انظر مجمع الأمثال ٢: ٢٠٠/المثل ٣٤٠٨ «ليست النائحة الثكلى كالمستأجرة».

بمواهب أئمّة الدين عليهم السلام، والأهميّة الكبرى لمنصّاتهم، فمبلغُ تقديرهم لها بمقدار معرفتهم، وبذلك يكون استياؤهم عندما تصيبهم النَّوائب والمحن على قدر ذلك التقدير، وبطبع الحال إنّ من يثور لهم، وينتقم من أعدائهم وواتريهم، ويسلّيهم عن المصاب، يَحُوزُ عند العلماء أهميّة كبرى، لا يحوزها أيُّ أحد، وقد ورد ذلك في كلمات كثيرة منقولة عنهم في رسالتنا هذه، كما أنّك ستقف على جملةٍ أُخرى منها فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

المختار ونهضته الكريمة

لا أحسب أَنَّ أيَّ متهوِّرٍ في القضاء تحدوه الهواجس والظنون إلى أَنْ يزعم أنَّ نهضة المختار الكريمة لم تقع موقع الرضا من آل محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وهو يرى فيما أسلفناه من الكتاب: أنَّ الإمامَ السجّاد عليه السلام كان يشكره على نهضته، ويجزّيه خيراً[(١)]. والإمامَ الباقر عليه السلام يقول فيما يعدُّ من أياديه المشكورة: «فإنّه قد قتل قَتَلَتَنا، وطلب بثأرنا»[(٢)]... إلخ. ويقول في حديث الحكم بن المختار: «أوَلَمْ يَبْنِ دورنا، وقتل قاتلينا، وطلب بدمائنا»؟ ويقول في نفس هذا الحديث: «ما ترك لنا حقّاً عند أحد إلّا طلبه، قتل قتلتنا، وطلب بدمائِنا»[(٣)]. وأنَّ محمّد بن الحنفيّة يقول: «فقد أدرك ثأرنا، ووجب حقّه على كُلِّ مَن ولَدَهُ عبدالمطّلب بن هاشم»[(٤)]، إلى غير هذه من كلماتٍ، دُرّيَّةٍ تَشفُّ عن ابتهاجهم عليهم السلام بما فعل، فضلاً عن الرضا بها.

---

(١) انظر رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال) ١: ٣٤١/ح٢٠٣، وبحار الأنوار ٤٥: ٣٤٤/ح١٢، وذوب النُّضار: ١٤٣.

(٢) رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال) ١: ٣٤٠/ح١٩٧، ذوب النُّضار: ٦٢.

(٣) رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال) ١: ٣٤٠/ح١٩٩، ذوب النُّضار: ٦٢.

(٤) ذوب النُّضار: ١٤٣.

وروى الفقيه ابن نما في «ذوب النُّضار»: أنّ رُسُلَ الكوفة لمّا أَتَوا محمَّد بن الحنفيّة يستحفون رأيه في أمر المختار والخروج معه، قال لهم: قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم عليّ بن الحسين عليه السلام، فلمّا دخل ودخلوا عليه أخبره خبرهم الذي جاءُوا لأجله، قال: «يا عمّ، لو أنّ زنجيّاً تعصَّبَ لنا لَوَجَبَ على الناس مؤازرته، وقد ولَّيتك هذا الأمر، فاصنع ما شئت»، فخرجوا وقد سمعوا كلامه، وهم يقولون: أَذِنَ لنا زينُ العابدين، ومحمّد بن الحنفيّة.

وكان المختارُ علم بخروجهم إلى محمّد بن الحنفيّة، وكان يريد النهوض بجماعة الشيعة قبل قدومهم، فلم يتهيَّأ ذلك له، وكان يقول: إنّ نفراً منكم تحيّروا وارتابوا، فإن هم أصابوا أقبلوا وأنابوا وإن هُمْ كَبَوا وهابُوا، واعترضوا وانجابوا، فقد خسروا وخابوا.

فدخل القادمون من عند محمّد بن الحنفيّة، فقال: ما وراءكم فقد فُتِنْتُم وارتبتم؟ فقالوا: قد أُمِرْنا بنصرتك. فقال: أَنا أبو إسحاق، أجمعوا ليَ الشيعة، فجُمِعَ من كان قريباً. فقال: **يا معشر الشيعة، إنَّ نفراً أَحَبُّوا أن يعلموا مصداق ما جئت به، فخرجوا إلى إمام الهدى، والنَّجيب المرتضى، وابن المصطفى، فعرَّفهم أنّي ظهيره ورسوله**(١)**، وأَمَرَكُم باتِّباعي وطاعتي.**

وقال كلاماً يرغّبهم إلى الطاعة والاستنفار معه، وأن يُعْلِمَ الحاضرُ الغائبَ. وعَرَّفَهُ قومٌ أنَّ جماعةً من أشراف الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع، ومتى جاء معنا إبراهيم بن الأشتر رجونا بإذن الله تعالى القوّة على عَدُوِّنا، فله عشيرة.

---

(١) ووزيره ـ خ ل.

فقال: القَوْمُ فعرِّفوه الإذن لنا في الطَّلب بدم الحسين عليه السلام وأهل بيته.

فقال: قد أجبتُكُم على أَنْ تولُّوني الأمر.

فقالوا: أنت له أهل، ولكنْ ليس إليه سبيل، فهذا المختار قد جاءَنا من قِبَل إمام الهدى [عليه السلام] ومن نائبه محمّد بن الحنفيّة، وهو المأذون له في القتال(١)... إلخ.

وبعد هذا كلّه، فانظر بماذا تَزِنُ قولَ القائل بأنّه لم يكن كاملَ الإيمان واليقين، ولا مأذوناً فيما فعله صريحاً من أئمّة الدين، لكنْ لَمَّا جرت عليه يديه الخيرات الكثيرة، وشفى بها صدورَ قوم مؤمنين، كانت عاقبة أمره آيلةً إلى النَّجاة، فدخَلَ بذلك تحت قوله سبحانه: ﴿ **وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ** ﴾(٢)!!(٣)

ولا أزال أقضي العجب من هذا القائل العظيم! وغضّه الطَّرْفَ عن مثل هذه المصارحة في الإذن في مقام الحاجة والسؤال، وموقف العمل والنّضال، من قول الإمام زين العابدين عليه السلام: «لو أنّ عبداً زنجيّاً..»، وقوله عليه السلام لعمّه: «وقد ولّيتك..»، والموقف فيه مهراق الدماء، ومزاهق للنفوس، علاوةً على ما أوعزنا إليه من دعائه عليه السلام للمختار، وكِلا ولديه الإمامين الصادِقَيْن عليهما السلام، مع روايته للجميع في كتابه!

قال الفقيه ابن نما في الرسالة: وكان محمّد بن الحنفيّة أكبر من زين العابدين

(١) ذوب النُّضار: ٩٦ ـ ٩٨.

(٢) التوبة: ١٠٢.

(٣) قائل هذا هو العلّامة المجلسي رحمه الله، انظره في بحار الأنوار ٤٥: ٣٣٩.

عليه السلام سنّاً، ويرى تقديمه عليه فرضاً وديناً، ولا يتحرّك حركة إلّا بما يهواه، ولا ينطق إلّا عن رضاه. ويأتَمِرُ له ائتمارَ الرّعيّة للوالي، ويفضّله تفضيل السيّد على الخادم والموالي، وتقلّد محمَّدٍ رحمه الله أمر الثار إراحةً لخاطره الشريف، من تحمّل الأثقال، والشدّ والتّرحال[١]... إلخ.

ثمّ سَرَدَ أخباراً في فضل محمَّد وبخوعه لابن أخيه الإمام عليه السلام، فقال: وإذا كان ذلك رأيه، فكيف يخرج عن طاعته؟ ويعدل عن الإسلام بمخالفته؟ مع علم محمَّد أنّ زين العابدين عليه السلام وليّ الدّم، وصاحب الثار، والمطالب بدماء الأبرار، فنهض المختار نهوض الملك المطاع، ومَدَّ إلى أعداء الله يداً طويلة الباع، فهشَمَ عِظاماً تغذَّت بالفجور، وقَطَع أعضاءً نشأَت على الخمور، وحاز فضيلةً لم يَرْقَ إلى شِعافِ[٢] شرفها عربيٌّ ولا عجميٌّ، وأحرز منقبةً لم يسبقه إليها الهاشمي[٣]، انتهى.

فذلكة المقام: أنّ تلك النهضة الكريمة لم تكن إلّا عن إذن ورضاً من أئمّة الدين، وإنَّ ما فعله المختار منها كان عن نيّة صادقة، وقد اندفع إليه بإيمان خالص غير ممزوج بشيءٍ من عوامل التُّهمة والشَّرَه، ولا مَشُوبٍ بحُبِّ الأَثَـرَةِ والجاه، ولذلك قال ابن نما في الرسالة: إنّه جاهد في الله حقّ الجهاد، وبلغ من رضا زين العابدين عليه السلام غاية المراد[٤].

هذا كلّه على تقدير المسالمة مع من يبغي الخلاف لنا، لكنَّ الحقيقة النَّاصعة أنّا

---

(١) ذوب النُّضار: ٥١.

(٢) شِعاف الجبال: أعاليها.

(٣) ذوب النُّضار: ٥٧.

(٤) ذوب النُّضار: ٥١.

لا نشترط الإذن في اجتياح جذوم الظلمةِ قَتَلَةِ سبط المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم، لاسيّما أُولئك الحضور في مشهد يوم الطّف، وفيهم من حَزَّ منحرَهُ الشَّريف، ومُوطِئُ الخيلَ صدرَهُ وظهرَهُ، والطّاعن له بالرُّمح، والضّارب إيَّاه بالسيف، وراميه بالسَّهم والحجارة، ومَنْ حال بينه وبين الماء، أو وَخَزَهُ بلسانِهِ المقطوع: «إنَّ صلاتك لا تقبل»[١] «لن تذوقه حتَّى تَرِدَ الحامية»[٢]، إلى غيرها ممَّا هم أولى به.

كان كلٌّ منهم يتقرّب إلى الله بدمه الأقدس، فلم يزالوا على ذلك حتّى أتوا على أهل بيت الوحي، فلم يُبْقُوا منهم نافخَ ضَرَمَة[٣]، سوى العليلِ، والصِّبْيَة، وفتيات الرسالة، فاستاقوهم من بلد إلى بلد، تتقاذفُ بهم المفاوز والحُزُوم[٤]. فاللَّعينُ من لم يُكَفِّرْ محاربي رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فيهم بذلك المشهد الفظيع، فليسوا هم بأخفَّ جُرْماً من سابِّ النَّبيِّ والأئمّة عليهم السلام، ومن المسلَّم وجوبُ قتلِهِ بلا إذْنٍ، فكيف وهم شَفَعُوا السِّبابَ المُقذِعِ بالقَتْل الذَّرِيعِ، وأَردفوا الظُّلم القاسي بالكُفرِ الصَّريح. وفي هذا الباب قلتُ[٥]:

وعَن رِضا آلِ الهُدَى حِلْفُ الإبا   فَرَّقَ أَعْداءَ الهُدَى أَيْدِي سَبا

---

(١) قال ذلك الحصين بن نمير لعنه الله. انظر ينابيع المودّة ٣: ٧٠ ـ ٧١، وتاريخ الطبري ٤: ٣٣٤، وتاريخ ابن الأثير ٤: ٧٠.

(٢) قال ذلك رجل من جيش عمر بن سعد. انظر اللهوف: ٧٥، ومثير الأحزان: ٥٧.

(٣) الضَّرَمَة: النار، أو الجمرة، أو ما دقَّ من الحطب تثقب به النار.

(٤) الحُزُوم: جمع الحَزْم، وهو ما غَلُظَ من الأرض وكثرت حجارته.

(٥) من أُرجوزة للمؤلِّف ـ رحمه الله ـ في أحوال المختار.

غَـداةَ أَوْجَبَ الإمـامُ[١] نَـصْرَهُ وشَـــدَّ عَــمُّهُ[٢] الهُـمام أَزْرَهُ
فَـمُلْقِحُ الوَغَـى الإمـامُ السَّـاجِدُ وَاسْـتَنْتَجَتْها الأُسُـدُ اللَّـوابِـدُ[٣]
وَلَـيسَ فـي الأَمْرِ أَبُـو إِسحاقِ إلّا كَكَأْسٍ فـي يَـمِينِ السَّـاقي
وإِنَّهُ فـي الرَّوْعِ مَشْـحُوذُ الظُّبَى نَـضاهُ لِـلْحَرْبِ الإمـامُ المُـجْتَبَى
وهَـلْ عَـلَى مُـمْتَثِلِ الأَمْرِ إذا قامَ بـهِ ما نـالَ مِـنْهُ مَـنْ هَـذَى
وَإِنَّ مَــن أَوْدَى بِسِــبْطِ أَحْـمَدا يُـسْقَى بِـلا إِذْنٍ بِـهِ كَأْسُ الرَّدَى
وقَـتْلُ مَـن سَبَّ الإمـامَ واجِبُ مِــثْلُ النَّـبِيِّ والطَّـرِيقُ لاحِبُ
لٰكِـنَّ مَـن قَـفَّى البَـذا[٤] بـالقَتْلِ يُــطَلُّ مـا لَـدَيْهِمُ مِـن ذَحْـلِ!!
فَــإِنَّ هٰــذا العَـجَبُ العُـجابُ تَــدْفَعُهُ السُّــنَّةُ والكِــتابُ
وَهَــل تَـرَى فـي رَأيِكَ المُـعْتَلِّ لابنِ الخَـنا وحِـزْبِهِ مِـن إِلٍّ[٥]؟!
وتَسْــتَبِيحُ قَــتْلَهُمْ بــالإِذْنِ وَتَــتْرُكَ الأَمْـرَ مَـناطَ الوَهْـنِ
وَإِن تَـرُمْ تَـصْوِيباً أَوْ تَـصْعِيدا فَــلَنْ تَـرُوعَ بـاحِثاً تَـرْعِيدا
فَلا نَـرَى إِلّا المَـواضِـي حَكَـما فـي أَمْـرِهِمْ غَـداةَ مُـهْراقِ الدِّمـا
يَـهْنِيكَ فـي الخُـلْدِ أَبـا إِسْـحاقِ مـا تَـحْتَسِي مِـن كَأسِـهِ الدِّهـاقِ

ولِمَ لا يكونُ سبيلُ المختار في قيامه سَبيلَ من مضى قبله من التَّوّابين الَّذين ثاروا غضباً للّه ولرسوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ طالبين ثارات الحسين عليه

---

(١) المراد هو الإمام السجّاد عليه السلام.
(٢) هو محمّد بن الحنفيّة رحمه الله.
(٣) اللّوابدُ: ذوات اللُّبُود، جمع لُبْدَة وهي الشعر المجتمع بين كتفي الأسد.
(٤) مخفّفة البَذاء، وهو الفُحْش. والمراد هنا هو سَبُّ المعصوم عليه السلام.
(٥) الإلّ: العهد والحُرمة.

السلام؟! فقاتلوا وقُتِلوا، وتفرّق البقيّة منهم، ثمّ التحقوا بالمُختار، وفيهم سليمان ابن صُرَد الخزاعي الصحابيّ؛ والمسيّب بن نجبة الفزاري من خيار أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام، وعبدالله بن سعد بن نُفَيل الأزدي، وعبدالله بن وَأْلٍ التّميمي، ورِفاعة بن شدّاد البجلي؛ شيوخ الشيعة بالكوفة ورؤساؤهم، وثقاتهم، ومعهم خلق من خيار الشيعة ووجوههم.

وهؤلاء ما ادَّعوا ولا ادُّعي لهم أيُّ إذنٍ ممّن يُسْتَأْذَنُ منه عادة، وهذه خُطَبُهُم وكتبهم مذكورة في تاريخ الطبري، وابن الأثير وغيرهما، وليس فيها إلّا التّحسّر على ما فاتهم، والنَّدم على تفريط المفرِّط منهم في أمر الحسين عليه السلام، والتوبة عن ذلك كُلِّه، ثمّ الهِياج على أعدائه وقتلته من غير أيِّ إيعازٍ منهم إلى أنَّ نهضتهم كانت بإذْنٍ أو إشارةٍ من حُجَّةِ العصر، وإمام الزَّمَنِ، ولا نَقِمَ ذلك منهم أحدٌ من الأُمّة يُؤْبَهُ به، وإنَّما حازوا بعملهم ثقةَ الجميع ومدحَهُم، وخَلَّدُوا لهم ذكرى لا تَفْنَى ولا تُنْسَى، وكُتُب السِّيَر والرِّجال طافحةٌ بالثَّناء عليهم وذكر مآثرهم، وما ذلك إلّا أنَّ من ثاروا في وجهه ويمَّموا استئصاله، لم تُقِم الجامعة البشريّة لهم وزناً، ولا حَفِظَ الدِّين الإلَهيُّ لهم إلّاً(١) ولا ذِمَّة.

وإذا أَهْدَرَتِ الشَّريعةُ الطاهرةُ دماً فأَيُّ امرئٍ أراقَهُ فهو مشكور على عمله، ممدوحٌ بما جاء به، وهذا بعينه هو سَبِيلُ المختار، ومن لاثَ به في نهوضه، لولا أنَّ الضَّغائن والأحقاد تعمل لهذا دونَهُمْ، لأَنَّ أُولئك لم تمتدّ لهم سلطة، ولا دام لهم أمر، وإنَّما أُبيدوا في أسرع زمان، وشُتِّتَ شملهم، وما فَسَحَتْ لهم المقاديرُ اجتياحَ جُذُوم الكفر، حتَّى تحتدم عليهم الإحن من زبانئه، لكنَّ المختار أُتيحت

(١) الإلّ: العهد، والحُرْمة.

له الفُرَصُ رَدْحاً من الزّمن حتَّى شنَّها غارةً شعواءَ في المجتمع الأمويّ، فكان ممَّن أودى به في وقعة خازر سَبْعُون ألفاً.

روى ابن نما في الرسالة: عن عمر بن شبَّة، عن أبي أحمد الزبيري، عن عمّه، قال: قال أبو عمر البزّار: كنتُ مع إبراهيم بن الأشتر لَمّا لَقِيَ عبيدَالله بن زياد بالخازر، فعددنا القتلى بالقصب لكثرتهم، قيل: كانوا سبعين ألفاً. وصلَبَ إبراهيمُ ابنَ زيادٍ منكّساً، فكأنّي أنظر إلى خصييه كأنّهما جُعَلانِ.

وعن الشعبي: أنّه لم يُقْتَلْ قَطُّ من أهل الشّام بعد صفّين مثلُ هذه الوقعة بالخازر. قال الشعبي: كانت يوم عاشوراء سنة سبع وستّين(١).

وروى المسعودي في «إثبات الوصيَّة»: أنّ الدَّم [يعني دمَ الحسين، وفورةَ مصابه في القلوب] لم يسكن حتّى خرج المختار بن أبي عبيد فقتل به سبعين ألفاً، وأنّ المختار قال: قتلتُ بالحسين سبعينَ ألفاً، واللهِ لو قتلتُ أهل الأرض جميعاً لَما وَفَوا بقُلامَةِ ظُفْرِهِ(٢).

ووافقه على هذا العدد من القتلى عبدالقاهر البغدادي في «الفَرْقِ بينَ الفِرَق»(٣) لكنّ ابن العماد الحنبلي ذكر في «شذرات الذهب»: أنّه اصطلم هذا العسكر، وهم أربعون ألفاً(٤). والأصحُّ ما ذكرناه.

هؤلاء غير من أَزهقهم في وقعة ابن مطيع أَوَّلَ نهضته بالكوفة، مِمَّن انضوى إلى لوائه من ذُنابَى الحزب الأُمويّ المنقطعين عن الشام، وقَتَلَ من بعد الوقعةِ

---

(١) ذوب النُّضار: ١٤١ ـ ١٤٢.

(٢) إثبات الوصيّة: ١٤٢ ـ ١٤٣.

(٣) الفَرْق بين الفِرَق: ٤٦.

(٤) شذرات الذهب ١: ٧٤.

عالَماً من جنود ابن سُميَّة، وكان بعد خروجِ ابن الأشتر إلى قتال ابن سميّة ثورةُ الكوفيّين مِن قَتَلَة السبط الشهيد عليه السلام، فأخمَدَ لهبَها باسترجاع إبـراهـيم، وقَتَلَ فيها مَنْ قتَلَ.

وقد ذكر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي السبط في «تذكرته»: أنّه بعد نفي ابن مطيع من الكوفة أَخَذَ مَنْ شهد قتل الحسين عليه السلام بالقتل، قال: فلم يُبْقِ من الستّة آلاف الَّذين قاتلوا مع عمر بن سعد وملكوا الشرائع أحداً(١).

وفي «الفَرْق بين الفِرَق» للبغدادي: أنّه قتل كُلَّ من كان بالكوفة من الّذين قاتلوا الحسين بن علي [عليهما السلام] بكربلاء(٢).

وبهذا ومثله تتمّ رواية المحقّق الأردبيلي في «حديقة الشيعة»، والقطب الإشكوري في «محبوب القلوب»: من أنّ عدد قتلى المختار كان ينوف على الثمانين ألفاً(٣).

وروى القاضي التستري في «المجالس» عن الشيخ الأجل عبدالجليل الرازي في نقض الفضائح: أنّه قَتَلَ مائة ألف(٤).

فكان أولياء هؤلاء القتلى يحقدون على المختار بطبع الحال، وهنالك البقيَّةُ من رجرجةِ الشام، وأذنابِ آل حرب، كان يَسُرُّهم أن يُصيبَ الرجلَ أيُّ مكروه، وَقَفَتْهُمْ زبائنُ آل الزبير يومَ أَكْدَتْ ظُنُونهم، وخابت آمالُهُم منه، وعادَ المختارُ أكبرَ المعاثر في سبيل سَيْرِهِم، والعقبةَ الكَأْداء دون مجرى أهوائهم.

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٢) الفَرْقُ بين الفِرَق: ٤٥.

(٣) حديقة الشيعة: ١١٤.

(٤) مجالس المؤمنين ٢: ٢٥١.

أضف إلى ذلك كلّه: أنّ المختار علويُّ النَّزْعة، لا يبارح الدعوة إليها بأعلى هتافه، ويغضب لآل عليّ عليهم السلام وينتقم لهم، ويطلب ثاراتهم.

كُلُّ ذلك مِنْ أبْهَظِ الأثقال على الأمويّين وآل الزبير العثمانيّين، فتوغّل القومُ في الوقيعة، ورَمِيِ المختار بقذائف البَهْت والمُثْلَةِ لغاياتٍ مرَّت الإشارة إليها.

واتّخذها مَنْ بعدهم أُصولاً مسلَّمة بين من وقعت إليه على غِرَّةٍ فحسبها صحيحة، ومَنْ شارك الأوَّلِينَ في الحقد والغضب، فهَمْلَجَ بها في ضَوْضاءٍ ولَجَب، لكنَّ المُسْتَقْبَلَ الكشّاف أماطَ الحجابَ عن حقيقة الحال، وعَرَفَ البحثُ والتنقيبُ ما هنالك من أغراضٍ مستهدفة، فألقاها في هُوَّةِ الهوان.

وكان يكفي المختار ـ مِنَ العلم برضا أهل البيت عليهم السلام بنهضته المقدَّسة ـ ما تلقَّاه من البشائر بأمره، على تقدير أنّه لم يكن فيه إذنٌ صريحٌ. وسوف نعقد لذلك بحثاً على حِدَةٍ إن شاء الله تعالى.

المختار والبشائر بنهضته

لم يكن المختار مباغِتاً في قيامه، ولا استولى على الإمرة على حين غفلة من الملأ، وإنّما كانت البشائر ترنّ في المسامع منذ العهد العلويّ وقبله، فلم تبرِح مَأْلُكةً[1] في الأفواه، وبشارةً في قلوب قوم، ومَوْجِدَةً في أفئدة آخرين، ولذلك تداولته أعماق السُّجُون غير مرّة حِذارَ بادرته، فإنّ تلك البشائر كان يلهج بها البَرُّ والفاجرُ.

روى الفقيه ابن نما في «ذوب النُّضار»: أنّه لمّا عاد المختار إلى الكوفة أيّام ولاية المغيرة بن شعبة بها مِن قِبَلِ معاوية، ركب مع المغيرة يوماً، فمرّ بالسوق، فقال المغيرة: يالَها غارةً، ويالَهُ جَمْعاً، إنّي لأعلم كلمة لو نَعَقَ لها ناعق ـ ولا ناعقَ لها ـ لاتّبعوه، لاسيّما الأعاجم الّذين إذا أُلقِيَ إليهم الشيء قبلوه.

فقال له المختار: وما هي يا عمّ؟ قال: يَسْتَأْدُونَ[2] بآل محمّد [صلّى الله عليه وآله وسلّم]، فأَغْضَى عليها المختار، ولم يزل ذلك في نفسه، ثمّ جعل يتكلّم بفضائل آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وينشر مناقب عليّ والحسن والحسين

---

(١) المَأْلُكة: الرسالة.

(٢) يستأدون: يستعينون.

عليهم السلام ويُسَيِّرُ ذلك ويقول: إنّهم أحقُّ من كُلِّ أحدٍ بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ويتوجّع لهم ممّا نزل بهم.

ففي بعض الأيّام لقيه معبدُ بن خالد الجدليّ ـ جدلية قيس ـ فقال له: يا معبد، إنّ أهل الكُتُب[1] ذكروا أنّهم يجدون رجلاً من ثقيف يقتل الجبّارين، وينصر المظلومين، ويأخذ بثار المستضعفين، ووصَفُوا صفته، فلم يذكروا صفةً في الرَّجل إلّا وهي فِيَّ، غير خصلتين: أنّه شابٌّ، وقد جاوزتُ السّتّين، وأنّه رديءُ البَصَر، وأنا أَبْصَرُ من عُقاب.

فقال معبد: أمّا السِّنُّ فإنَّ ابن السّتّين والسّبعين عند أهل ذلك الزمان شابٌّ، وأمّا بصرك فما تدري ما يُحدِثُ الله فيه، لعلّه يَكِلُّ.

قال: عَسَى. فلم يزل على ذلك حتّى مات معاوية، وولي يزيد، ووجّه الحسينُ عليه السلام مسلمَ بن عقيل [عليه السلام] إلى الكوفة فأسكنه المختارُ دارَهُ وبايعه. فلمّا قتل مسلم سُعِيَ بالمختار إلى عبيدالله بن زياد فأحضره، وقال له: يا ابن عُبَيد، أنت المبايع لأعدائِنا؟ فشهد له عمرو بن حريث: أنّه لم يفعل، فقال عبيدالله: لولا شهادة عمرو لقتلتك، وشَتَمَهُ، وضربَهُ بقضيبٍ في يده فشَتَرَ عينَهُ، وحَبَسَهُ، وحبس أيضاً عبدالله بن الحارث بن عبدالمطّلب.

وكان في الحبس ميثم التمّار، فطلب عبدُالله حديدةً يزيلُ شعر بدنه، وقال: لا آمنُ ابنَ زياد يقتلني، فأكونَ قد ألقيتُ ما علَيَّ من شعر.

فقال المختار: واللهِ لا يقتلني ولا يقتلك، ولا يأتي عليك إلّا قليل حتّى تَلِيَ البصرة.

---

(١) الكتاب ـ خل.

فقال ميثم للمختار: وأنت تخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام، فتقتُلُ هـذا الذي يريد قتلنا، وتطأُ بقدمك على وجنتيه[١]، ولم يزل ذلك يتردّد في صـدره حتّى قُتِلَ الحسين عليه السلام.

وكتب المختار إلى أُخته صفيّة بنت أبي عبيد ـ وكانت زوجة عبدالله بن عمر ـ تسأله مكاتبة يزيد بن معاوية، فكتب إليه، فقال يزيد: نُشَفِّع أبا عـبدالرحـمن، وكاتبته هند بنت أبي سفيان في عبدالله بن الحارث ـ وهي خـالته ـ فكـتب إلى عبيدالله بن زياد، فأطلقهما بعد أن أَجَّلَ المختار ثلاثة أيّام ليخرج من الكوفة، وإن تأخّر عنها ضَرَبَ عُنُقَهُ.

فخرج هارباً نحو الحجاز حتّى إذا صار بواقصة[٢] لقـي الصَّـقْعَب بـن زهـير الأَزدي، فقال: يا أبا إسحاق مالي أرى عينك على هذه الحال؟ قال: فعل بي ذلك عبيدالله بن زياد، قتلني الله إن لم أقتله، وأقطع أعضاءه، ولأقتلنَّ بالحسين عليه السلام عَدَدَ الّذين قُتِلُوا بيحيى بن زكريّا عليه السلام وهم سبعون ألفاً.

ثمّ قال: **والّذي أَنزل القُرآن، وبيَّن الفُرقان، وشَرَعَ الأديـان، وكَـرِهَ العـصيان، لأَقتلنَّ العُصاة من أَزْدِ عُمّان، ومَذْحِجَ وهَمْدان، ونَهْدٍ[٣] وخَوْلان، وبَكْرٍ وهَزّان، وثُعَلٍ ونَبْهان، وعَبْسٍ وذُبْيان، وقَبائِلِ قَيْسِ عَيْلان، غَضَباً لابن بنت نبيِّ الرَّحمن. نعم يا صقعب: وحقِّ السَّميع العليم، العليّ العـظيم، العَـدْل الكـريم، العـزيزِ**

(١) وكلمة ميثم رواها ابن أبي الحديد في الشرح ٢: ٢٩٣. وابن حجر في الإصابة ٦: ٢٥٠ في ترجمة ميثم التمّار برقم ٨٤٩٣.

(٢) واقصة: منزل في طريق مكّة بعد القرعاء نحو مكّة.

(٣) وفهد ـ خ ل.

الحكيم، الرَّحمن الرَّحيم ـ لأَعْرِكَنَّ عَرْكَ الأَديم، بَني كندة وسَلِيم، والأَشراف من بني تميم.

ثمّ سار إلى مكّة.

قال ابن العرق: رأيتُ المختار أَشترَ العين، فسألته فقال: شترها ابن زياد اللّعين. يا ابن العرق، **إنّ الفتنة أَرْعَدَتْ وأَبْرَقَتْ، وكأَنْ قد أَيْنَعَتْ، وألقَتْ خِطامها، وخَبَطَتْ ومَشَتْ، وهي رافعةٌ ذيلَها، وقائلةٌ ويلَها، بدِجْلَةَ وحولها.**

فلم يزل على ذلك حتّى مات يزيد لعنه الله يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وستّين، وقيل: سنة أربع[١]... إلخ.

وفي رسالة ابن نما أيضاً: أنّه لمّا انجلت الغُبرة عن سُلَيْمان بن صرد وأصحابِه شهداءَ أو متفرِّقين، أُنْهِيَ إلى المختار نَبؤُهُمْ وهو في سجنه الأخير، وكان يقول لأصحابه: **عُدُّوا لغارتكم هذه أَكْثَرَ من عَشْر، ودُونَ الشَّهْر، ثمّ يجيئكم نبأٌ هَتْر، من طَعْنٍ بَتْر، وضَرْبٍ هَبْر، وقتل جَمٍّ، وأَمْرٍ هَمٍّ، فمَنْ لها؟ أنَا لها لا يكذّب أنالها**[٢].

وفي الرسالة لابن نما أيضاً: أنّه كتب إلى البقيّة من أصحاب سليمان: **أمَّا بعدُ، فإنَّ الله أعظَمَ لكُمُ الأجرَ، وحطَّ عنكم الوِزْرَ، بمُفارقةِ القاسِطين، وجهادِ المحلّين، إنّكم لم تنفقوا نفقةً، ولم تقطعوا للّهِ عَقَبة، ولم تَخْطُوا خطوة، إلّا رفع الله لكم بها درجة، وكتب لَكُمْ حَسَنَة، فأَبْشِرُوا، فإنِّي لو خرجتُ إليكم جَرَّدت فيما بين المشرق والمغرب من عَدُوِّكم السيف بإذن الله، وجعلتهم بإذن الله رُكاماً، وقتلتُهُم فَذّاً وتُؤاماً، فرحَّبَ الله بمن قارب منكُمْ واهتدى، ولا يُبْعد إلّا من عَصَى وأَبَى، والسلام يا أهل الهدى.**

(١) ذوب النُّضار: ٦٧ ـ ٧١.

(٢) ذوب النُّضار: ٩١.

فلمّا جاء كتابه وقف عليه جماعة من رؤساء القبائل، وأعادوا الجواب: قَرَأْنا كتابك، نحن حيث يَسُرُّك، فإن شئت أن نأتيك حتَّى نخرجك من الحبس فعلنا. فأخبره الرسولُ، فسُرَّ باجتماع الشيعة، وقال: لا تفعلوا هذا، فإنِّي أخرج في أيّامي هذه(١)... إلخ.

وهذه الرواية الأخيرة رواها الطبري أيضاً في «التاريخ»، وابن الأثير في «الكامل» وفيها بعد قوله «حَسَنَة»: «إلى ما لا يُحصِيه إلَّا اللهُ من التَّضْعِيف، فأَبْشِروا»(٢)... إلخ.

وسيوافيك حديث الصقعب السابق بنحو أوفى إن شاء الله تعالى.

وهذه الملاحم وإن كانت قُبَيْلَ خروجه، إلَّا أنّها مأخوذة عن عهدٍ متقادم، فإنّ ميثماً كان قد تلقّى من أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام علم المنايا والبلايا، فربّما كان ينبئ عن مستقبل الإنسان، ومنتهى أمره، ومُنْصَرَم عمره. وقصّته مع حبيب بن مظاهر ـ شهيد الطفّ معروفة مشهورة ـ رواها الكشّيّ في «رجاله»(٣) وغيره. ومن ذلك ما أخبر به من مصير أمر المختار، وتوثّبه للتأثر. وكان له نظراء من بطانة أميرالمؤمنين عليه السلام، كحبيب هذا، ورشيد الهجري. وليس بذلك البعيد أن يكون منهم المختارُ، بقرينة أنّه كان يخبر عن مُقْتَبَل أمره بنحو الجزم واليقين، أو

(١) ذوب النُّضار: ٩٢ ـ ٩٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٨٧.

(٣) في رجال الكشّي ١: ٢٩٢/ح١٣٣ بسنده عن فضيل بن الزبير، قال: مرّ ميثم التمّار على فرس له، فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد، فتحدّثا حتّى اختلفت أعناق فرسيهما. ثمّ قال حبيب: كأنّي بشيخ أصلع، ضخم البطن، يبيع البطّيخ عند دار الرزق قد صُلب في حبّ أهل بيت نبيّه عليهم السلام، ويبقر بطنه على الخشب. فقال ميثم: وإنّي لأعرف رجلاً أحمر له ضفيرتان يخرج لينصر ابن بنت نبيّه، فيقتل ويُجال برأسه بالكوفة... الحديث.

أنّه تلقّاه من الكَهَنة، أو من أهل الكتب كما يظهر من كلمته السابقة لمعبد الجدليّ، وجواب معبد له.

وأمّا قول المغيرة، فإنّه وإن كان بالتفرّس أشبه، غير أنَّ الظاهر أنّه كان أُنْهِيَ إليه ذلك النبأ على العهد العلوي، وكان قد استيقنتها نفسه، لكنّ سريرته الرَّذيلة حَدَتْهُ إلى ستر الحقيقة، فأفرغها في قالب مُشَوَّهٍ لِما كان ينصبه من العداء لوليّ المؤمنين ـ صلوات الله عليه وآله ـ وذويه.

فقد رُوي ذلك عنه عليه السلام. ففي «حديقة الشيعة» ـ للمحقّق الأردبيلي قُدِّس سرّه المصارحة والنصّ منه سلام الله عليه بوثوب المختار للطّلب بثارات ولده الشهيد بعد الإخبار عن شهادته عليه السلام[١].

ومثله قطب الدين الإشكوري في «محبوب القلوب»، وإن اختلفت روايتا كُلٍّ منها في عدد مَنْ قتله المختار من أعداء آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وفي كتاب «ذخيرة المحشر في شرح الباب الحادي عشر»[٢] للعلّامة الحجّة الحاج الميرزا علي التبريزي ـ نزيل خراسان المشرَّفة ودفينها ـ عند سرد مغيَّبات أميرالمؤمنين عليه السلام المسلَّمة محتجّاً بها على أعلميّته عليه السلام، ما لفظه: وإخباره بخُرُوجِ المختار ومطالبته بثار الحسين عليه السلام.

وفي «التفسير[٣] المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام»: قال

(١) انظر حديقة الشيعة: ١١٣.

(٢) الكتاب مخطوط، ونسخة منه بخطّ المؤلّف، موجودة في مكتبة الشيخ محمّد علي الأُوردبادي. انظر الذريعة ١٠: ١٨/ الرقم ٨٩.

(٣) اعتمد على هذا التفسير شيخنا الصدوق في كتبه، والطبرسي في الاحتجاج، والعلّامة المجلسي في البحار، وشيخنا الحرّ في الوسائل.. وكثير من القدماء والمتأخّرين. (المؤلّف).

أميرالمؤمنين عليه السلام: كما أنّ بعض بني إسرائيل أطاعوا فأُكْرِمُوا، وبعضهم عصوا فعُذِّبوا، فكذلك تكونون أنتم.

قالوا: فمن العصاة يا أميرالمؤمنين؟

قال: الذين أُمروا بتعظيمنا أهلَ البيت، وتعظيمِ حقوقنا، فخانوا وخالفوا ذلك، وجحدوا حقوقنا، واستخفُّوا بها وقتلوا أولادنا أولاد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ الّذين أُمِرُوا بإكرامهم ومحبّتهم.

قالوا: يا أميرالمؤمنين: إنَّ ذلك لكائن؟

قال: بلى، خَبَراً حقّاً، وأمراً كائناً، سيقتُلُون ولدَيَّ هٰذين: الحسن والحسين.

ثمّ قال أميرالمؤمنين عليه السلام: وسيصيب الَّذين ظلموا رِجْزٌ في الدنيا بسيوف بَعْضِ من يسلِّطُهُ الله تعالى عليهم للانتقام منهم بما كانوا يفسقون، كما أصاب بني إسرائيل الرِّجْزُ.

قيل: ومن هو؟

قال: غلام من ثقيف، يقال له: المختار بن أبي عبيد[1]... إلخ.

وقال بعد تفاصيل حذفناها:

وقال عليُّ بن الحسين عليه السلام لأصحابه ـ وقد قالوا له: يا ابن رسول الله، إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام ذكر من أمر المختار ولم يقل متى يكوّن قتله لمن يقتل؟

فقال عليُّ بن الحسين عليه السلام: أَوَلا أخبركم متى يكون؟ قالوا: بلى، قال: يوم كذا إلى ثلاث سنين من قولي هذا، وسُيؤتى برأس عبيدالله بن زياد، وشمر بن

---

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٥٤٦ ـ ٥٤٧/ح٣٢٧.

ذي الجوشن في يوم كذا وكذا، وسنأكل وهما بين أيدينا ننظر إليهما.

قال: فلمّا كان اليوم الذي أخبرهم أنّه يكون فيه القتل من المختار لأصحاب بني أُميّة، كان عليّ بن الحسين عليه السلام مع أصحابه على مائدة، إذ قال لهم: معاشر إخواننا، طِيبُوا نَفْساً، فإنّكم تأكلونَ وظَلَمَةُ بني أُميَّة يُحْصَدُون. قالوا: أينَ؟ قال: في موضع كذا، يقتلهم المختار، وسيُؤْتَى برأسين يوم كذا، وكذا.

فلمّا كان في ذلك اليوم أُتي بالرَّأْسين، لمَّا أراد أن يقعد للأكل، وقد فرغ من صلاته، فلمَّا رآهما سجد، وقال: الحمد للّه الذي لم يُمِتْني حتَّى أراني. فـجعل يأكل وينظر إليهما[١]... إلخ.

ورواه قطب الدين الإشْكِوَري في «محبوب القلوب»[٢] عن تفسير أهل البيت عليهم السلام.

ولقد أعطينا البيان حقّه في صدر الرسالة في دلالة قول أميرالمؤمنين عليه السلام للمختار وقد أجلسه حجره يعطف عليه، ويمسح رأسه: «يا كَيِّس يا كَيِّس»، على مثل ما تدلّ عليه هذه الأنباء والملاحم.

بهذه وأمثالها ممّا تلقّاه عن أميرالمؤمنين عليه السلام، وبما وجد في الكُتُب، كان على يقينٍ من مصير أمره، وقد يهتف به في غضون كلامه.

روى الطبري في «التاريخ»: عن هشام، عن أبي مخنف، عن الصَّقْعب بن زهير، عن ابن العرق مولىً لثقيف ـ أنّه لمَّا خرج المختار من الكوفة في اليوم الثالث من خروجه من حبس ابن زياد، وكان قد أجّله في الكوفة ثلاثاً ـ قال ابن العرق: أقبلتُ

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٥٥٢ ـ ٥٥٣/ح٣٢٧.

(٢) انظر محبوب القلوب (خ): ٣٨٦، نسخة مجلس الشورى.

من الحجاز حتّى إذا كنتُ بالبسيطة من وراء واقِصَةَ، استقبلتُ المختار بن أبي عبيد خارجاً يريد الحِجاز حين خلّى سبيلَهُ ابنُ زياد، فلمّا استقبلته رحَّبْتُ به، وعطفتُ إليه، فلمّا رأيتُ شَتَرَ عينه استرجعتُ له وقلتُ له بعد ما توجَّعت له: ما بال عينك؟ صرف الله عنك السوء. فقال: خَبَطَ عيني ابنُ الزانية بالقضيب خبطةً صارت إلى ما ترى، فقلت له: ماله شُلَّت أنامله، فقال المختار: قتلني الله إن لم أَقْطَعْ أنامله، وأَباجِلَه(١)، وأعضاءَهُ إِرْباً إِرْباً.

قال: فعجبتُ لمقالته، فقلت له: ما عِلْمُك بذلك رحمك الله؟ فقال ليَ: ما أقول لكَ فاحفظه عنّي حتَّى ترى مصداقه.

قال: ثمّ طفق يسألني عن عبدالله بن الزبير، فقلت له: لجأ إلى البيت ـ فقال: إنّما أنا عائذ بربِّ هذا البَنِيَّة ـ والناسُ يتحدّثون: أنّهُ يُبايَعُ سرّاً، ولا أُراهُ إلّا لو قد اشتدّت شكوته، واستكشف من الرجال إلّا سيظهر الخلاف، قال: أجل لا شكَّ في ذلك، أما إنّه رجلُ العرب اليوم، أما إنّه إن يَخْطُطْ في إِثْري، ويسمعْ قولي، أكْفِهِ أمرَ الناس، وإلّا يفعل فوالله ما أنا بدون أحد من العرب.

يا ابن العرق، إنّ الفتنة قد أَرْعَدَتْ وأَبْرَقَتْ، وكأَنْ قدِ انبعثَت، فَوَطِئَتْ في خِطامها، فإذا رأيتَ ذلك، وسمعتَ به بمكانٍ قد ظهرت فيه، فقيل: إنّ المختار في عصائبه من المسلمين يطلُبُ بدم المظلوم الشَّهيد المقتول بالطّفّ سيّد المسلمين وابن سيّدها الحسين بن علي، فو ربّك لأقتلنَّ بقتله عدّة القتلى الّتي قُتِلَتْ على دم يحيى بن زكريّا عليه السلام.

---

(١) الأباجِل: العروق، جمعُ الأبْجَل بمعنى العِرْق.

قال: فقلت له: سبحان الله! وهذه أُعْجُوبة مع الأُحْدوثة الأُولى! فقال: هو ما أقولُ لك فاحفظه عنِّي حتَّى ترى مصداقه.

ثمّ حرّك راحلته، فمضَى ومضيت معه ساعة أدعو الله له بالسلامة، وحُسْن الصحابة.

قال: ثمّ إنَّه وقف فأقسم عَلَيَّ لَمَّا انصرفتُ، فأخذتُ بيده فودَّعته، وسلَّمْتُ عليه وانصرفتُ عنه. فقلتُ في نفسي: هذا الذي يذكر لي هذا الإنسان ـ يعني المختار ـ ممّا يزعم أنّه كائن، أَشَيْءٌ حَدَّث به نفسه؟! فوالله ما أطْلَعَ اللهُ على الغيب أحداً، وإنّما هو شيءٌ يتمنّاه فيرى أنّه كائن، فهو يوجب رأيه، فهذا والله الرأيُ الشَّعاعُ[1]، فوالله ما كُلُّ ما يَرى الإنسانُ أَنَّه كائنٌ يكون.

قال: فوالله ما متُّ حتَّى رأيت كُلَّ ما قاله.

قال: فوالله لَئن كان ذلك من علمٍ أُلْقِيَ إليه لقد أُثْبِتَ له، ولئن كان ذلك رأياً رآه وشيئاً تمنّاه لَقَدْ كان.

قال أبو مخنف: فحدّثني الصقعب بن زهير، عن ابن العرق، قال: فحدَّثتُ بهذا الحديث الحجّاج بن يوسف، فضحك، ثمّ قال لي: إنّه كان يقول أيضاً: ودافَعةٍ[2] ذَيلَها، ودَاعيَةٍ ويلَها، بدجلة أو حَولَها.

فقلت له أترى هذا شيئاً كان يخترعه، وتَخَرُّصاً يتخرَّصه، أم هو من علم كان أُوتيه؟

فقال: والله ما أدري ما هذا الذي تسألني عنه، ولكنْ للّهِ دَرَّهُ أيَّ رَجُلٍ دنيا،

---

(١) الرأي الشعاع: الباطل المتفرّق.

(٢) كذا في المصدر، والصواب: ورافعة.

ومِسْعَرَ حرب، ومُقارِعَ أعداءٍ كانَ[(١)]، انتهى. ورواه ابن الأثير في «الكامل»[(٢)].

كان ابن العرق كمن حذا حذوه، يقصر عن غايات العلماء، إذ لم يكن له في العلم أشواط بعيدة، ولذلك كان يحسب كُلَّ تنبُّؤٍ بما يأتي مِنَ المغيَّب الّذي اختَصَّ بالوقوف عليه المولى سبحانه، وكأَنَّهُ عزب عنه قوله عزّ من قائل: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾[(٣)]، فكان أكبرُ من ارتضاه من رسولٍ نبيَّنا الأَعظمَ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وعنده ما أودعه من مغيَّباته حسب ما اقتضت الحكمة البالغة. وكان أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام باب علمه بنصّه المتواتر بين الفريقين: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»[(٤)]، إلى نصوص كثيرة قاضية بأنّه عليه السلام عَيْبَةُ علمه، وأقضى أُمّته، وأفضل من خلّفه بعده، فبَهَرَ الناسَ كلَّهم بذلك العلم الجمّ، وخَصَّ كُلّاً من بطانته بشيء من ذلك بمقدار ما يسعه وعاؤه، وتتحمَّلُه مُنَّتُهُ[(٥)] كما عرفت الإيعاز إليه، فكانَ يَنْضَحُ من كُلٍّ منهم في الفَيْنَةِ بعد الفَيْنَةِ ما حَظِيَ به من ذلك العلم المخزون.

وكان منه الإخبار بنهضة المختار الّذي مرّ عن ميثم التّمّار، وسبقت روايته عنه عن غير واحد من العلماء، وماذا على المختار لو كان ممّن تلقّى من إمامه ما عرفه

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٤٢ ـ ٤٤٤.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٤: ١٦٩ ـ ١٧٠، ذكره باختصار.

(٣) الجنّ: ٢٦ ـ ٢٧.

(٤) كتب في تصحيح هذا الحديث المتواتر ـ العلّامة المحدّث المعاصر (الشيخ أحمد بن محمّد بن الصدّيق الغماري الشافعي) المتوفّى سنة ١٣٨٠ ـ كتاباً حافلاً أسماه: «فتح المَلِك العلي بصحّة حديث باب مدينة العِلم علي»، وقد طبع مرّتين، وفيه من الفوائد ما ينبغي لكلِّ باحثٍ أن يقف عليه.

(٥) المُنَّة: القُوّة.

عنه غيره، أو انتهى إليه بواسطة من حمل عنه علماً، فأخبت به وأخبر عنه؟

على أنّ الرجل نصَّ في كلامه السابق لمعبد بن خالد الجدلي بأنّه وجد شيئاً منه في الكتب، فأينَ هو مِن علم الغيب الّذي صعّد له ابنُ العرق وصوَّب؟ وإلى الأخير لم يهتدِ إلى صواب الأمر، فطَفِقَ يستفتي فيه الحجّاج العدوَّ الألدَّ للمختار وشيعته.

ومن جملة ما صارح به المختار بأخذه تلكم الأنباء من الكتب، ما رواه أبو حنيفة الدينوري في «الأخبار الطوال»: من أنّ المختار عقد ليزيد بن أنس الأسدي في عشرين ألف رجل، وقوّاهم بالسلاح والعدّة، وولّاه الجزيرة، وما غلب عليه من أرض الشّام، فسار يزيد حتّى نزل نصيبين، وبلغ ذلك عبدالملك بن مروان، فخرج بأهل الشام، فوافوا في نصيبين، وقاتل يزيدَ بن أنس فهَزَمَهُ، وقتل من أصحابه مقتلةً عظيمةً، وبلغ المختارَ ذلك، فقال لإبراهيم بن الأشتر: أيُّها الرجل، إنّما هو أنا وأنت، فسِرْ إليهم، فوالله لتقتلنَّ الفاسق عبيدالله بن زياد، ولتقتلنَّ الحصين بن نمير، وليهزمنَّ اللهُ بك ذلك الجيشَ، أخبرَني بذلكَ مَنْ قرأ الكتابَ[١] وعَرفَ الملاحم.

قال إبراهيم: ما أحسبك أيُّها الأمير بأحرص على قتال أهل الشام، ولا أحسن بصيرة في ذلك منّي، وأنا سائر. فانتخب له المختارُ عشرين ألف رجل، وكان جُلُّهم أبناءَ الفرس الّذين كانوا بالكوفة، ويُسَمَّون: الحمراء، وسار نحو الجزيرة،

(١) لم يُشِر المؤلّف قدّس سرّه إلى أنّه ربّما يكون المختار أشار بقوله «من قرأ الكتاب» إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، فهو الذي عنده علم الكتاب، وهو الذي كان يُخبر ـ بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ـ بالملاحم، ولذلك سكت إبراهيم وتلقّى قوله بالقبول.

ورَدَّ من كان انهزم من أصحاب يزيد بن أنس، فصار في نحو من ثلاثين ألف رجل[١]... إلخ.

ويظهر من جواب معبد بن خالد للمختار فيما سبق من رواية ابن نما بقوله: «إنّ ابن السّتّين والسّبعين عند أهل ذلك الزمان شابٌّ»... إلخ، أنّ حديث التبشير بنهضة المختار كان مأثوراً عن عهد متقادم، كانت الأعمار فيه متطاولة، لا أنّه هتف به أهلُ الحِساب بعصره، أو الكَهَنَةُ قُبَيْلَهُ، فهو من أهمِّ الملاحم التي تعاقبت بالهتاف بها العُصُر الخالية، واتّصل التنبّؤ بها بالظروف الإسلاميّة، ولم يختلف التعبير عنه بـ«الغلام» إيذاناً بتطابُق المصادقين في الحديث والقديم.

فجاء في خطبة سيّدنا الحسين عليه السلام يوم الطفّ إذ استَنْصَتَ القومَ فأَنْصَتُوا، ثمّ خطب فأبلغ. وفي آخرها دعا على القوم، فقال عليه السلام: «اللّهمّ احبِسْ عنهم قَطْرَ السَّماء، وابعث عليهم سِنينَ كسنيّ يوسف، وسلِّط عليهم غلامَ ثقيف، فيسومُهُم كأساً مُصَبَّرة»[٢]... إلخ.

وفي رواية أُخرى: «اللّهمّ سلِّط عليهم غلامَ ثقيف، يسقيهم كأساً مصبَّرة، ولا يدع فيهم أحداً إلّا قتله، قتلةً بقتلة، وضربةً بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي، وأشياعي منهم»[٣]، انتهى.

ولا شكّ أنّ المختارَ هو المعنيّ بهذا الدعاء، لا الحجّاج بن يوسف، فإنّ الإمام عليه السلام لا يسأل الله تقييض ذلك الفاسق الفاجر الّذي كان اعتداؤُه على

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

(٢) اللهوف: ٦٠.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام، للخوارزمي ٢: ١٠/ح ٩.

أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم أكثرَ منه على أعدائه، ولم يك عنوان وقيعته في الناس الانتقام له عليه السلام، وإنّما كان ذلك المختار رحمه الله.

ويقرب من هذا الدعاءِ دعاؤُهُ عليه السلام على عمر بن سعد ـ لعنه الله تعالى ـ لمّا برز ابنه عليّ الأكبر عليه السلام إلى القتال، إذ صاح بعمر بن سعد: «مالك قطع الله رحمك، ولا بارك لك في أمرك، وسلّط عليك من يذبحك على فراشك، كما قطعت رحمي، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلّى الله عليه وآله»[١]... إلخ.

وكان المسلّط عليه هو المختار، وذبحه أَبُو عَمْرَة ـ وكان على شرطة المختار ـ على فراشه كما دعا الحسين عليه السلام؛ أتاه صباحاً، فقال: أجب الأمير، فقام فعثر في جبّته وضربه أبو عمرة بسيفه فقتله، وجاء برأسه في أسفل قبائه حتّى وضعه بين يدي المختار[٢].

وليس بذلك البعيد من هذا قولُهُ عليه السلام بعد أن خاطَبَ القوم في مشهد يوم الطّفّ بقوله: وايم الله إنّي لأرجو أن يكرمني ربّي بالشهادة بهوانكم، ثمّ ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون.

فصاح به الحصين بن مالك السكوني: وبماذا ينتقم لك منّا يا ابن فاطمة؟ قال: «يُلْقي بأسكم بينكم، ويسفك دماءكم، ثمّ يصبّ عليكم العذاب الأليم»[٣].

وأنت تعلم بأنّ ما هدّدهم به الإمام عليه السلام ـ من الانتقام، وسفك دمائهم لذلك ـ لم يتحقّق إلّا من المختار وحزبه، وكذلك إلقاء بأسهم بينهم، حيث إنّه

(١) الفتوح، لابن أعثم ٥: ١١٤، مقتل الحسين عليه السلام، للخوارزمي ٢: ٣٥/ح٩.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٣٢، البداية والنهاية ٨: ٣٠١.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٦، الفتوح لابن أعثم ٥: ١١٨.

نهض بالكوفة، ولاث به أهلوها الأبرياء من دم السبط الشهيد عليه السلام، وجرت بينهم وبين بقيّة الكوفيّين ـ حشد ابن سميّة ـ حروب طاحنة حتّى شتّتوا شملهم، وأوردوهم مناهل الحتف زُرافاتٍ ووِحْدانا.

وأمّا التوّابون، فلم يحتدم لهم مع أهل الكوفة نضال، ولا كان بينهم بأس، وإنّما خرجوا إلى عين الوردة لمناجزة ابن زياد في حشد الشّامي، ولم يلبث أمرهم حتَّى عادوا لأوَّلِ الأَسِنَّةِ غرضاً، وأُبيدوا شهداءَ سلام الله عليهم.

من الواضح أنّ هذه المغيَّبات ليست كإخبار النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأميرالمؤمنين عليه السلام، عن ملك بني العبّاس، وعَيْثِ الدّجّال، وتغلّب السّفياني، وعن ملوكيّة مروان، وإمرة الحجّاج، إلى نظرائهم من أئمّة الضَّلال، بكَلِمٍ تَنِمُّ عن خبث سرائرهم، ومساقط أهوائهم، فإنَّكَ إذا أخذتَ بمجامع ما جاء في أمر المختار، لم يَعْدُ مفكِّرَتَكَ أنَّها أنباءٌ عن أمرهم ينوء به هذا الرجل العظيم، ولم يُذكَر فيها إلَّا ما هو من أشرف الغايات؛ ألا وهو الطَّلب بثار الإمام الشهيد عليه السلام.

وأيُّ رجلٍ يقيّضه المولى سبحانه لمثل ذلك لا يعدوه الفضلُ الباهر إلَّا أن يقرنه بما يشين ذلك من نيّة فاسدة، أو عمل غير مُرْضٍ، أو خيانةٍ في الأمرِ، فيكون قد نصب ما يُبْديه من قول مبهرج، أو فعلٍ صالح، فَخّاً لقنص الرَّعاع من الناس، كما تَبَدّى ذلك في وثبة العبّاسيّين يوم شحنوا الفضاء صَخَباً وطنيناً بالاستياء لآلِ محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلّم، حتَّى إذا احتَفَّ بهم الجيش اللُّهام، وخفقت عليهم البنودُ، قلبوا لهم ظَهْرَ المِجَنِّ، وهمُّوا بأَنْ لا يُبْقُوا منهم على وجه الأرض نافِخَ ضَرَمَةٍ.

[من الكامل]

تـاللّهِ مـا فـعَلَتْ عُـلُوجُ أُمـيَّةٍ مِعْشارَ ما فَعَلَتْ بَنُو العَبَّاسِ[١]

وكما ظهر ذلك الغدرُ الكمينُ في مجالي أعمال ابن الزبير، إذ كان يستثير الناس على يزيد ويوثّبهم للطّلب بدم الحسين عليه السلام أحياناً، حتّى إذا توطّدت له الأُمور، ومَلَكَ الأَعنَّةَ ردحاً بعد هلاك يزيد، ناصَبَ أهلَ البَيْتِ وأَسْقَطَ ذكر النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ من الخطبة أربعين جمعة[٢]، وأراد أن يُحرِقَ مَن في مكّة من رجالاتهم، وكان المختار هو الذي أنقذ سادات بني هاشم من مخالبه[٣].

ولقد دَحَضْنا في هذه الرسالة عنه كُلَّ شائنة ألصقها به أعداؤه، فلم يبق إلّا هو وأعماله الكريمة المقرونة بحُسْنِ النّيّة، وسَدادِ الرأي، المطابقةِ لأقواله اللّائحة عليها لوائح الصدق، وشارةِ الثقافة، وسِمَةِ الحصافة. وبعد ذلك كلّه، فمعنا أَصالَةُ الصّحّة في أقوال هذا المسلم العظيم وأفعاله، وهو أصل ثابت في نِحْلَتِنا المقدّسة، ومن أجلى طقوسها.

فكان الملأ الديني يرقبون في آناء اللّيل وأطراف النهار، ظهور تلك الشخصيّة البارزة، والتخطّي بهاتيك النفسيّة الكريمة المبشَّر بها على ألسنة أئمّة الهدى ـ عليهم السلام ـ لرَحْضِ[٤] معرَّة الإلحاد، وشفاء الصدور، ممّا دهمها من جرَّاء ما جَنَتْهُ أيدي بني أُميّة الأثيمة، وما انتاب سَرَوات المجد من أهل بيت الوحي من

---

(١) البيت دون عزو في سمط النجوم العوالي ٣: ٣٦٢.

(٢) انظر تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦١، ومقاتل الطالبيّين: ٣١٥، شرح النهج الحديدي ٤: ٦١.

(٣) انظر تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦١، وتاريخ الطبري ٤: ٥٤٤ ـ ٥٤٥، وتاريخ ابن الأثير ٤: ٢٤٩.

(٤) الرَّحْض: الغَسْل.

الخَطْبِ الفادح، والرّزيّة المفجعة، حتّى أُتيحت لهم الأُمنيَّة، ووافتهم البشائر، بظهور بطل النهضة، ورَجُلِ الحِفاظ.

وَجاءَ في مُرْتَكَضِ الفَضائِلِ   يَرْفُلُ مُخْتارُ الهُدَى والنّائِلِ
وقَد تَجَلَّى هُوَ والمَفاخِرُ   تَحُفُّهُ الأَنْباءُ والبَشائِرُ
يَرقُبُ مِنهُ مَلأُ الإيمانِ   مَشْهُورَةَ[١] السُّيوفِ والمُرَّانِ
تَهَشُّ[٢] نَحوَ يَومِهِ الطِّباعُ   حَيثُ تَقَفَّى[٣] النَّظَرَ السَّماعُ
فإِصْبَعٌ تُوْمي وعَينٌ تَطْرِفُ   وأَنْفُسٌ لِحُبِّهِ تُرَفْرِفُ[٤]
حَتَّى إذا أَتاهُمُ والنَّصْرُ   واْعتَرَكَ الحَرْبُ وشُدَّ الأَزْرُ
ثارَتْ هُناكَ الأُسُدُ الضَّوارِي   يَنْضُونَ أَطْماراً لَهُمْ مِن عارِ
مُنْذُ توانَوا عَن هُدَى الحُسَيْنِ   أَو جَرَّعُوهُ أَكْؤُساً مِن حَيْنِ
فَسارَ إذ حَقَّتْ عَلَيهِ الكَلِمُ   مَقانِبٌ[٥] رَفَّ عَلَيْهِ العَلَمُ
يَمُوجُ في الدُّرُوعِ والمَغافِرِ   لَوابِدٌ في صِفَةِ العَساكِرِ
وكانَ في مُحْتَدَمِ الكَتائِبِ   مَفازَةٌ لِكُلِّ نَدْبٍ طالِبِيْ
وَسَلْوَةٌ فيهِ لآلِ المُصْطَفَى   عَمَّا جَنَتْ عَلَيْهِمُ أَيْدِي الجَفا
ولَم يَكُنْ في تِلْكُمُ البَشائِرِ   إلَّا اهْتداءٌ لِفَخارٍ ظاهِرِ

---

(١) مشتهر ـ خل.
(٢) هَشَّ يَهَشُّ: ارتاحَ ونشط.
(٣) تَقفَّى الشيءَ: تَتبَّعَهُ.
(٤) أخذه من قول البحتري:
وافْتَنَّ فيكَ الناظرون فاصبعٌ   يُومَى إليك بها وعينٌ تَنْظُرُ
(٥) مقانِب: جمع مِقْنَب، وهي جماعة الخيل والفرسان.

بأَنَّ شيخَ الثّارِ سوفَ يَرْتَدِي قَشائِباً مِن نَسْجِ هذا السُّؤْدَدِ
في مَوْقِفٍ تَحْكُمُ فيهِ السُّمْرُ عَلى الكُماةِ والسُّيُوفُ البُتْرُ
يَوْمَ[١] تَطِيشُ عِنْدَهُ الحُلُومُ وتَأْلَفُ الأَنْصُلَ والكُلُومُ
وفي ظَلامِ القَسْطَلِ المُثارِ يَأْتَلِقُ السَّيفُ وشَيخُ الثَّارِ
يُزْلِفُهُ ذاكَ الجِهادُ النَّاجِعُ لِربِّهِ والأَمْرُ فيهِ ناصِعُ[٢]

كان المختارُ على يقينٍ من تَحقُّق هذه البشائر فيه لا غيره، وأنّ الله سبحانه سوف يُولِيهِ بتلك المأثرة الكريمة غداةَ يرفُّ عليه النَّصر، وتخفق مع الظَّفرِ أعلامُهُ.

أضف إلى ذلك ما كان يجدُهُ في نفسه من الحِنْكَةِ في الأمر، والجدارةِ لقيادة الأَزِمَّة، إلى غيرها ممّا لم يكن يجدُهُ في غيره. وبطبع الحال إنَّ من يرى هذا الرأي لا يستصوب لغيره النهوضَ بما تهشُّ إليه نفسه، ويحدوه إليه دينه، لاسيّما إذا كان لا يرى فيه ما يراه عندَهُ من حسن السياسة الإداريّة، والتَّضلّع من فنون الحرب، وإن كان ذلك الغير من أبرّ عباد الله، إشفاقاً عليه وعلى من يحذو حذوه من الهلكة، وفَرَقاً من أن يبقى الأمر مُخْدَجاً[٣] متى عاد هذا المتصدّي حَرَضاً أو كان من الهالكين[٤].

ومن هذا ما كان يبديه المختار من العقيدة في سليمان بن صُرَد الخزاعي يوم

(١) يصحّ فيها الجرّ والرفع أيضاً.
(٢) من أُرجوزة لشيخنا المؤلّف ـ قدّس سرّه ـ في المختار رحمه الله تعالى.
(٣) المُخْدَج: الناقص.
(٤) نظر إلى قوله تعالى في الآية ٨٥ من سورة يوسف: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**﴾. الحَرَض: الهرم، والمشارفة على الموت والهلاك.

كان يتأهَّب للوثبة، وقد التفَّت به جموعُ الأتقياء الأخيار «التَّوّابون»، فكان يقول: «إنّه ليس له خبرة بالحرب، وإنّه يقتلكم، ويقتل نفسه»[١]، فما كان ذلك إلَّا خشية منه أن تَنْشَبَ بهذا البرِّ التَّقيِّ، وحشدِهِ الأبرار الصلحاء، أنيابُ المنيّة قبل بلوغهم القصد، فتكون في غاية نهوضهم مجزرةٌ لقومٍ مؤمنين، وتلك هي ضالَّة آل أُميّة المنشودة، وقد انتهى الأمر إلى حيث تَهَجَّسَ.

وقد سبق ممّا يؤكّد هذه النظريّة كتابُ المختار إلى البقيَّة من أصحاب سليمان بعد منقلبهم عن عين الوردة، وهو في سجنه الأخير، فراجع.

هذا ما حَدَتنا إليه النَّظْرةُ العميقةُ في سيرة الرجل، وأَخْباره ونواياه، لا ما بعث إليه القائلُ بواعثَهُ من أنّه كان يحسد سليمان بن صرد، ولا ما حسبه آخر من أنّه كان يُنفّرُ الناس عنه، وجاء في مزعمةِ ثالثٍ من وقيعته في سليمان، وتحرّيه الأمر بالتزوير، وتوسّع حاقد بأنّه كان يثبِّط الناسَ عنه وعن صحبه ممّن أراد الخروج معه، فكان لهم معه بذلك خطب طويل.

وأعجب من هذا كلّه ما جاء به فاضل معاصر في كتاب له فيما نصُّهُ: «إنّ سليمان يريد أمراً، والمختار يريد غيره. يريد سليمانُ ومَن معه أن يتداركوا ما فاتهم من القتل في سبيل نصرة الحسين عليه السلام، وجهاد عدوّه، لا يطلبون في ذلك بقاءً، ولا ملكاً ولا سلطاناً. ويريد المختار أن يقتل أعداءَ الحسين وقاتليه، يطلب بذلك الملك والسلطنة على المسلمين، يرى أنّ ذلك أحسن وسيلة تُبْلِغُهُ مرادَهُ، وأقرب طريق يوصله لقصده، وغيرُ منكور عليه ذلك إذا سار بالعدل،

---

(١) انظر سير أعلام النُّبلاء ٣: ٥٤٠/ ترجمة المختار ١٤٤، وتاريخ الإسلام للذهبي ٥: ٤٦. ونصّ العبارة «إنّ سليمان لا يصنع شيئاً، إنّما يلقي الناس إلى التهلكة، ولا خبرة له بالحرب».

ومضى على الحقّ، ولم يخالف إمام العصر من أهل البيت عليهم السلام»... إلخ.

ثمّ أردفه بنُقُولٍ عن «تاريخ الطبري» لا شاهد له فيها.

وليت شعري من أين عرف هذا الفاضل ذلك المغزى من عمل المختار؟! هل فتَّشَ قلبه فوجده مطويّاً في نواياه؟! أو صارحه هو بذلك القصد ممّا يقوله ويفعله؟! أو أنّه وجد نصّاً بذلك ممّن لا يُتَّهَمُ في مثل المقام؟! أو أنّه سُوءُ ظنٍّ منه لتوارد التَّهْويلات المتعاقبة من أضداد المختار إلى مسامعه وإن لم يأبه بها هو؟!

نعم، كان مزيجُ نفسيّة المختار حُبَّ النهوض للانتقام من أضدادِ الهدى أعداء البيت النبوي، ولقد تمرّن على حُبّهم منذ عهد الصّبا؛ إذ كان منقطعاً إليهم بعد شهادة أبيه، مستبدلاً إيَّاهم عن أهله أَهْلاً، وقبيلِهِ قَبِيلاً، وما كان يمكنه الحصول على أُمنيّته تلك إلّا بالسيطرة والملك، حتَّى يتَسَنَّى له قيادة الجيوش، وسَوْق العساكر للتَّدْمِيرِ على من يُريد إبادتهم، واكتساح معرَّتهم.

فلماذا لم يحتمل صاحبُنا الفاضل أنَّ ما كان يتراءَى من تطلُّب القُوَّة والسلطة كان وسيلةً لنيل مقصده الأسنى؟! ولماذا ترجَّح عنده أنَّ نهضته بتلك الصِّفةِ كانت في سبيل طلب الملك؟! فأين أصالة الصحّة؟! وأَين طُقُوس المذهب «ضَعْ أَمْرَ أخيك على أحسنه»[١] «كذِّبْ سمعك وبَصَرَك في أَخِيكَ، فإن شهد عندك خمسون قسامةً، وقال لك قولاً فصدِّقه وكذِّبهم»[٢]؟

(١) هو قول أميرالمؤمنين عليه السلام، كما في الكافي ٢: ٣٦٢/ح٣، أمالي الصدوق: ٣٨٠/ح٤٨٣، تحف العقول: ٣٦٨، الاختصاص: ٢٢٦.

(٢) هو قول الإمام الكاظم عليه السلام، كما في الكافي ٨: ١٤٧/ح١٢٥، ثواب الأعمال: ٢٤٧.

المختار وهداياه

قد يتشبّث الحاقد على المختار بما في بعض الروايات من ردّ بعض أئمّة الدين هديَّته، فحسب ذلك لعلمٍ منه عليه السلام بسوءِ نيّته، أو ضِلَّةٍ في معتقده، أو تَصَدِّيه للأمر بغير رضا منه عليه السلام. وأنت إذا أوليتَ للبحثِ حقَّه في ما ورد عنهم عليهم السلام، لَوَجَدْتَهُمْ إِلْباً واحداً في استطابة هدايا المختار.

وقد عرفت في ذكر «المختار والوقيعة فيه» قولَ الإمام الباقر عليه السلام فيه: «وزوّج أراملنا، وقسّم فينا المال على العسرة»[1]، وفي حديث الحكم بن المختار السابق قوله عليه السلام: «أخبرني أبي والله أنَّ مَهْر أُمِّي كان ممّا بعث به المختار، أَوَلم يَبْنِ دورنا»[2]... إلخ.

وروى الفقيه ابن نما في «ذوب النُّضار»: عن أبي حمزة الثمالي، قال: كنت أزور عليَّ بن الحسين عليه السلام في كلِّ سنة مرّة في وقت الحجّ، فأتيته سنةً، وإذا على فَخِذِهِ صبيٌّ، فقام الصبيُّ فوقع على عتبة الباب فانشجَّ، فوثب إليه مهرولاً فجعل ينشّفُ دمه، ويقول: إنِّي أُعيذُك أن تكون المصلوبَ بالكُناسة، فقلت: بأبي أنت وأُمِّي، وأيُّ كناسةٍ؟ قال: كُناسة الكوفة، قلت: ويكون ذلك؟

---

(١) رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال) ١: ٣٤٠/ح١٩٧، ذوب النُّضار: ٦٢.

(٢) رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال) ١: ٣٤٠/ح١٩٩، ذوب النُّضار: ٦٢.

قال: إنّي والّذي بعثَ محمّداً بالحقّ، لئن عشت بعدي لَتَرَيَنَّ هذا الغلام في ناحية من نواحي الكوفة وهو مقتولٌ، مدفون، منبوش، مسحوبٌ، مصلوب في الكناسة ثمّ يُنْزَلُ فيُحرق ويُذَرَّى في الهواء(١).

فقلت: جعلت فداك، وما اسم هذا الغلام؟ فقال: ابني زيد.

ثمّ دمعت عيناه، وقال: لأُحدِّثنّك بحديثِ ابني هذا: بينما أنا ليلةً ساجدٌ وراكعٌ، ذهب بي النوم، فرأيتُ كأنّي في الجنّة، وكأنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين قد زَوَّجوني حوراءَ من الحور العين، فواقعتها، واغتسلت عند سدرة المنتهى، ووَلَّيْتُ. وهَتَفَ بي هاتف: لِيَهْنِكَ زيدٌ، فاستيقظت، وتطهّرت، وصلّيت صلاة الفجر، فدقّ البابَ رجلٌ فخرجتُ إليه، فإذا معه جارية ملفوفٌ كُمُّها على يده، مُخَمَّرةٌ بخمار، فقلت: ما حاجتك؟ قال: أُريدُ عليَّ بن الحسين عليه السلام. قلت: أنا هو، قال: أنا رسول المختار بن أبي عبيد الثقفي، يُقْرِؤُكَ السلامَ، ويقول: وقعتْ هذه الجارية في ناحيتنا، فاشتريتها بستمائة دينار، وهذه ستمائة دينار فاستعن بها على دهرك. ودفع إليَّ كتاباً كتبتُ جوابه، وقلت: ما اسمُكِ؟ قالت: حوراء، فهيَّؤوها لي وبتُّ بها عروساً، فعَلِقْتُ بهذا الغلام، فأسميته زَيْداً، وسترى ما قلت لك.

قال أبو حمزة الثمالي: فوالله لقد رأيت كُلَّ ما ذكره عليه السلام في زيد(٢).

ورواه غياث الدين السيّد عبدالكريم بن طاووس في «فرحة الغري»: عن صفي الدين محمّد بن معدّ الموسوي، عن بعض كتب الحديث القديمة، عن

---

(١) في البَرّ ـ خ ل.

(٢) ذوب النُضار: ٦٣ ـ ٦٦.

أبي العبّاس أحمد بن حميد بن سعيد، عن الحسن بن عبدالله بن محمّد الأزدي، عن الحسين بن علي الأزدي، عن أبيه، عن الوليد بن عبدالرحمن، عن أبي حمزة الثمالي ـ مثله[١]. وفيه بعد قوله: «فوالله.. إلخ» في آخر الحديث مختصرٌ من حال زيد.

وفي تفسير سورة يوسف من «تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي» من قدماء أصحابنا: عن سعيد بن عمر القرشي، عن الحسين بن عمر الجعفري، عن أبيه، قال: كنت أُدْمِنُ الحَجَّ، فأَمُرُّ على عليّ بن الحسين عليه السلام، فأُسلِّمُ عليه، ففي بعض حِجَجِي غدا علينا عليٌّ بن الحسين عليه السلام ووجهه مُشْرِق، فقال: جاءني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في ليلتي هذه حتّى أخذ بيدي، فأدخلني الجنّة فزوَّجني حوراء، فواقعتها فعَلِقَتْ. فصاح بي رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا عليّ بن الحسين، سَمِّ المولودَ منها: زيداً.

قال: فما قمنا من مجلس عليٍّ بن الحسين عليه السلام ذلك اليوم ـ وعليٌّ بن الحسين عليه السلام يقصُّ الرؤيا ـ حتَّى أرسل المختار بن أبي عبيد بأُمِّ زيدٍ؛ أرسلَ بها إليه المختارُ بن أبي عبيد هديّةً إلى عليّ بن الحسين عليه السلام شراها بثلاثين ألفاً، فلمَّا رأينا إشغافه[٢] تفرَّقنا من المجلس.

فلمّا كان من قابلٍ حججتُ ومررتُ على عليّ بن الحسين عليه السلام لأُسلِّم عليه، فأخرجَ زيداً على كتفه الأيسر وله ثلاثة أشهر، وهو يتلو هذه الآية ويومئ

---

(١) انظر فرحة الغري: ١٣٨ ـ ١٤٠/ح ٨٠. وفي السند بعض الاختلاف في الأعلام.
(٢) إشفاقه ـ ظ. (المؤلّف).

بيده إلى زيد وهو يقول: ﴿هٰذا تَأْوِيلُ رُؤْيايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً﴾[١].[٢]

وروى ابن نما عن عمر بن علي عليه السلام: أنّ المختار أرسل إلى عليّ بن الحسين عليه السلام عشرين ألف دينار فقبلها، وبَنَى منها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت[٣]، انتهى.

اكتفى ابن نما بهذا المقدار، لكنّ الكشّي زاد في «رجاله» قوله: «ثمّ إنّه بعث إليه بأربعين ألف دينار بعد ما أظهر الكلام الذي أظهره، فردّها ولم يقبلها»[٤].

وما جاء في مساق التعليل للردّ من قوله: «بعد ما أظهر»... إلخ، غير معلوم المفاد، فإنّ ممّا أطبقت عليه كتب التاريخ والسير أنَّ المختار منذ علا هتافه إلى آخر نفس لَفَظَهُ لم تكن له إلَّا دعوة واحدة، فكان بها يستحثّ الناس على أخذ الثار، ويعزو الأمر إلى محمّد بن الحنفيّة، أو قل: إنّه مع ذلك كان قد يصفه بالمهدي، وقد عرفت معناه بما لا مزيد عليه على تقدير ثبوته، وأوقفناك فيما

---

(١) يوسف: ١٠٠.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٢٠٠/ح ٢٦١.

تنبيه: ليس في هذه الأحاديث أيّ إشارة إلى أنّ الإمام عليه السلام أصابته جنابةٌ بسبب تلك الرؤيا. أمّا حديثُ فراتٍ فواضحٌ، وأمّا حديث ابن نما، وابن طاووس فقوله عليه السلام: «وتطهّرت.. إلخ»، معناه الوضوء للصلاة، لا الغسل عن الجنابة، والسِّياق يوعزُ إلى ما قلناه، مع فقدان أيّ إشعار لخلافه. وعلى تقدير الجنابة ـ كما قد يلهج به من لا يفهم معاريض الكلام ـ فهي رؤيا صادقة لا تَصَرُّفٌ شيطانيٌّ حتّى يناقضه ما ثبت من المذهب من عدم تصرّف الشيطان فيهم بكُلِّ معانيه، وأنه مندفعٌ عنهم حتّى في عالم الأطياف، فإنّه عليه السلام لم يشاهد إلَّا الحقيقة، وتزويجاً واقعيّاً في عالَم هو فوق عالم الشهود، ولا حزازة حينئذٍ لو بقي أثرٌ من آثاره إلى وقت تجلّيه في عالم الملك. (المؤلّف).

(٣) ذوب النُّضار: ٦٦.

(٤) رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال) ١: ٣٤٠ ـ ٣٤١/ح ٢٠٤.

سلف من هذه الرسالة على أنّ استناده الواقعي في النهضة كان إلى إذن الإمام السجّاد عليه السلام ورضاه، وإنّما كان يستظهر بأمر ابن الحنفيّة لِما قدَّمناه من المصلحة العائدة إلى نفس الإمام عليه السلام.

بأيّ معنىً فَسَّر متحرّي الوقيعة في المختار هذا الهتاف والعمل؟ فهو سيّان في بدء أمره وغايته، فلم يكن هناك قول أحدثه في منتصف أمره، أو غضون إمرته، حتّى يكون الإمام عليه السلام قَبِلَ هديّته قَبْلَهُ، وردَّها بعدَهُ. وكذلك كُلّ ما بهتوا به المختار من نِسَبٍ مُختَلَقة، فَكأَنَّ نسبة الكذب إليه أمرٌ دُبِّرَ بليلٍ، في مقتبل سلطته، وكان وَثَّابةُ الشَّرَهِ، والهيَّابةُ من نكير سيفه، يعلّلونه تارة بأنّه يدّعي ولاء أهل البيت عليهم السلام، ويُشْرِكُ الموالي مع السادات في الفَيء، وطوراً بأنّه ينتمي إلى محمّد بن الحنفيّة في دعوته ونهضته، ولم يأذن له فهو كذّاب. وقد عرفت مبلغ هذه الهملجات من الوهن والضَّعة.

وأمّا نسبة نزول الوحي المفتعلة إليه، فإنّها على ما قال القائل: قد استحوذ بها على الأعراب ودهماء الناس. فبطبع الحال إنّه كان في مُبْتَدءِ أمرِهِ، رغم ما علمته من كذب هذه النِّسبة إليه وبواعثِ الاختلاق.

ودعوى الكيسانيّة لا مستند لها سوى ما قلناه من هتافه باسم مُحَمَّد بن الحنفيّة على النَّحو الذي بيّنّاه، فإنْ كان ذلك كيسانيَّةً ـ وقد عَدَتْهُ ـ فهو شَرَعٌ سواء في سائر أَيَّامه.

وكُلُّ ضِلَّةٍ تُنْسَبُ إليه فهي من يوم استقلاله بالأمر، أو قُبَيْلَهُ منذ انفصاله عن ابن الزبير كما مرّ عن ابن حجر. وحال الجميع واحد في الضَّعف. إذَنْ فليس له قول لم يكن مُظْهِراً له إلَّا بعد استفحال أمره، كما تُفِيدُهُ رواية الكشّي.

ولو كان لهذا التَوهُّم مقيلٌ في مستوى الحقيقة، لَـما تـعاقَبَ التَّـرَحُّمُ عـليه، والتَّأبينُ له، والثَّناءُ عليه، وشُكْرُهُ من أئمّة الدين ـ سلام الله عليهم ـ بعد مـوته، وبطبعِ الحال بعد الكلام الذي أظهره وذهب فيه ذهن السامع إلى كُلِّ مذهب.

والذي يظهر لي من معنى الرواية ـ بعد الغَضِّ عن إسنادها، وخلُوِّ رواية الفقيه ابن نما عن هذه الزيادة مع اتّحاد الراوي واللّفظ في الكتابين، ولا نـحتمل فـي الشيخ الأجل إلَّا الأمانة والتُّقى ـ أنَّ المختار بعث المال فـي المـرّة الأُولى قـبل استفحال أمره، وشيوعِ خبرِهِ، أيَّام كانَ يُداهِنُ ابن الزبير، ويُـهادِنُهُ، ويسـتكفيه عاديته، ليتفرّغ إلى قَتَلَةِ السِّبط الشهيد عليه السلام ويكون جهاده في جهةٍ واحدةٍ، وهَمُّهُ همّاً واحداً، فهو أَدْعَى للغلبة، وأَوْصَلُ للغاية.

فكان في هذه الأُويقات قد بعث العشرين ألف دينار، فقبلها الإمام عليه السلام إذ لم يكن هناك ما يحاذره.

أمَّا المختار فهو من شيعته. وأمّا ابن الزبير المسيطر في الحـجاز، فـلا يـعلم بحقيقة أمر المختار، وتنمُّره له، ومن قضاءِ الطبيعة أنّه ما كان يأبى من أن يَصِلَ[١] مسالمٌ له مُسالماً له. وأمّا طغمة الأمويّين فكانت سلطتهم يومئذ مُكْـتَسَحَة عـن الحجاز.

وأمّا الذي بعثه في المرّة الثانية فكـان بـعد مـا أظـهر الخـلاف لكُـلِّ مـناوئ لأهل البيت عليهم السلام، وتَظاهَرَ بالدعوة الحسينيّة، وبدَتِ البغضاءُ بينه وبين ابن الزبير، فكانَ ما يَهتِفُ به ويتظاهرُ به بين أعماله وزحوفه، وعـلى الأعـواد، وعلى رؤوس الأشهاد من ذلك، هو الكلام الذي أظهره، فـبَهَظَ أَهْـل الأهـواء،

(١) أي يَصِلَهُ بالمال.

فنصبوا له العداء، وكان الإمام عليه السلام في مَباءَةٍ يرفّ عليها اللّواء الزبيري، ووراءه دَعارةٌ في الأخلاق، وخُشُونةٌ في الخطّة.

نعم، ابنُ الزبير هو ذلك الفَظّ الذي أراد إحراق الهاشميّين بمكّة لتأخّرهم عن بيعته[1]، فكيف به لو علم بصلة المختار للإمام عليه السلام وتبادل العلائِق الودّيّة بينهما، وهو يحسِبُ المختار من أشدّ أعدائِه؟

وقد سبق في هذه الرسالة أنّ المختار بعث إلى محمّد بن الحنفيّة ثلاثين ألف دينار، فقسمها محمَّد في أهله وشيعته بمكّة والمدينة، وعلى أولاد المهاجرين والأنصار[2].

وقبولُ محمَّدٍ هذا المال مشمولٌ لعموم نيابته عن الإمام عليه السلام في أمر المختار السابق تفصيله في ذكر «المختار ونهضته الكريمة»، أو أنّه مشفوع مع ذلك بإذن خاصٍّ.

وعلى أيٍّ، فقد انضمّ إليه تقريرُهُ عليه السلام، وهو الحُجَّةُ كقوله وفعله. وما كان محمّدٌ بالذي يحيد عن الإمام أو يتصدّى لأمر مهمٍّ من دون إذنه، لاسيّما فيما يعود إلى جامعة أهل البيت، ويمسّ بقاعدة شرفهم لو كانت فيه حزازة.

وما كان الإمام عليه السلام بالّذي يغضي عن أخذ المال من غير حِلِّه، وتقسيمه على آحاد ذويه، وأفراد عشيرته، لو كان فيه تلويث لأذيال طهارتهم، وتدنيسٌ لعفاف مآزرهم، لاسيّما إذا كان المتصدّي لذلك مثلُ محمَّدٍ كبيرِ البيت العلوي سنّاً، وعظيمهم سناءً بعد الإمام عليه السلام.

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦١، وتاريخ الطبري ٤: ٥٤٤، وتاريخ ابن الأثير ٤: ٢٤٩.

(٢) ذَوْبُ النُّضار: ١٤٤.

ومن المستحيل أن يخفى مثل هذا الأمر عليه(١)، كما أنّه من المتعذّر أن يَحْرِمَ عليه السلام محمّداً من ذلك، وهو يقسّمه على آحاد ذويه والإمامُ سَيِّدُهُم.

إذا عرفت ذلك كُلِّه تجلّى لك كالشمس الضاحية أنّهم عليهم السلام ـ وفيهم الإمام حجّة العصر ـ قبلوا تلكم الهدايا والأموال الطائلة، واستطابوها، وشكروا المختار عليها، وعَدُّوها من مزاياه الفاضلة ولو لم يجدوها طَيِّبةً سائغةً لما تهنَّأُوا بها، ولا صرفوها في الأعراض من تزويج الأرامل، وهُنَّ نواميس آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأعظمُ منها قبول الحوراء أُمّ زيد الشهيد، والبناءُ بِها، واتّخاذ الإمام عليه السلام إيَّاها عِرْساً(٢) له وإيلادها.

وأمَّا مهر أُمِّ الباقر عليه السلام ـ المنصوص عليه في حديث الحكم بن المختار السابق ـ فيجب أن يُرادَ به أداءُ مهرها ممّا بعثه المختار، فإنّ تزويج الإمام السّجّاد عليه السلام بأُمِّ ولده الإمام الباقر عليه السلام كان على عهد أبيه الحسين عليه السلام، وكان ولده هذا موجوداً في مشهد يوم الطّفّ ابنَ ثلاثٍ، أو أربعٍ، أو أكثر سنة ٦١. فليس من الجائز أن يكون مَهْرُها من مال المختار المُسْدَى إليه أيَّام إمارته التي كان مبدؤها سنة ٦٦، فلابدّ من أن يكون أداؤه ممَّا بعثه(٣)، وفيه للمختار من

---

(١) هذا على سبيل المسالمة والمماشاة مع القاصرين، وإلّا فإنّا لا نعتقد بإمام لا يكون المخبّأ عن نظره الظاهري كالذي يرنو إليه بباصرته، ولا يكون حيطته على المغيَّبات عنه كحيطته على مشهوداته. نعم قد لا تقتضي المصلحة إبداء ما علمه بعلم غير عادي، ولذلك لم نُنِطْ هاهنا بهذا العلم شيئاً. (المؤلّف).

(٢) عِرْس الرجل: امرأته.

(٣) أقول: الأَوْلى أن يكون المختار ممّن كان يصل الأئمّة عليهم السلام قبل ثورته وإمارته، وكان قد أعطى الإمامَ السَّجّاد عليه السلام مَهْرَ أُمّ الإمام الباقر عليه السلام قبل ثورته وإمارته، وهذا ما يدلّ

المجدِ الباذخِ، والسؤدد والشرف ما يعجز عن وصفه المِدْرَهُ[1] النَّابِهُ، حيث تسنّى له الحصول على عظمة يصرف معها بِرَّهُ الفاضلَ على مغرس الإمامة، ويسقي بنمير سَيْبِهِ دوحَ الخلافة، ولولا أنَّه أَطْيَبُ ما تمكّن منه الإمام عليه السلام لما وَجَّهَهُ إلى هذه الجهة الثابتة فيها غايةُ القداسة، ومُنتهى النزاهة عن أيٍّ شائنة، وأقصى البعد عن أيٍّ شِيَة.

ويلي ذلك كلّه صرف تلكم الأموال في بناء دورهم وعمارتها، وهي معاهد ومشاهد لسَرَوات بيت الوحي، ومختلف الملائكة، ومنتجع رُوَّاد المؤمنين.

إذن فمن الدخيل ما رواه الكشّيّ عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كتب المختار ابن أبي عبيد إلى عليّ بن الحسين عليه السلام، وبعث إليه بهدايا من العراق، فلمّا وقفوا على باب عليٍّ عليه السلام دخل الآذِنُ يستأذن لهم، فخرج إليهم رسوله، فقال: أميطوا عن بابي فإنِّي لا أَقبل هدايا الكذّابين، ولا أقرأ كتبهم. فمَحَوا العُنوان فكتبوا للمهدي محمّد بن علي.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «والله لقد كَتَبَ إليه بكتاب ما أعطاه فيه شيئاً، إنّما كتب إليه: يا ابن خير من طَشَى ومَشَى». فقال أبو بصير: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: أمَّا المشيُ فأنا أعرفه، فأيُّ شيءٍ الطَّشْي؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: «الحياة»[2].

ولو كان أبو جعفر عليه السلام يروي مثل هذا عن أبيه، فكيف يَجْبَهُ القالَةَ بأنّه

على قِدَمِهِ وتمحّضه في موالاة أهل البيت عليهم السلام، وهذا فيه تفنيد لمزعمة من زعم أنّه تظاهر بحبِّ أهل البيت عليهم السلام لينال مآربه السياسيّة والحكوميّة.

(١) المِدْرَه: الخطيب المتكلّم الذّكيّ.

(٢) رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال) ١: ٣٤١/ح ٢٠٠.

كذّاب ويُعدِّدُ مزاياه وفواضله؟! ومنها ما يقتضي قبول هداياه، من أداءِ مهر أُمِّه منها ـ كما مرّ في حديث الحكم بن المختار ـ وأنّه بنى دورهم، وأنّه ينهى عن سبِّه في خبر آخر لفضائل كانت فيه منها: أنّه زوَّج أراملهم، وقسَّم فيهم المال على العسرة، وعرفتَ في خبر أبي حمزة قبول السجّاد عليه السلام للجارية والمال معها، وكتابته الجواب لكتاب المختار... إلى غير ذلك.

ثمّ كيف يُثْني عليه السلام عليه ويشكره ويترحَّم عليه هو وابنه الإمام الصادق عليه السلام؟! والإمامُ السّجّاد عليه السلام لا تتناقض أفعالُهُ بقبول هدايا المُختارِ مراراً وردّها مرّة؛ معلّلاً له بتعليل هو موجود، على فرض صحَّته في جميعها.

قال ابن داود في «رجاله»: إنّ إنفاذه الهديّة يستلزم حُسْنَهُ، وأمّا ردُّ الثانية فلعلَّهُ لعلَّةٍ عارضةٍ اقتضت ذلك، وهو لا ينافي صحّة عقيدة المختار، وأمّا تعليل ردِّه إيَّاها بقوله: «لا نقبل هدايا الكذّابين»، فبعيد، إذ هذه العلّة موجودة في الأُولى، وحاشا الإمام عليه السلام من هذا القول بعد قبول الأُولى(١)، انتهى.

على أنَّ ظاهر السِّياق يعطي قبول محمَّدٍ المالَ، وقد نُصَّ عليه في حديث آخر أسلفنا ذكره، وبيّنّا هنالك أنّ ذلك لا ينفكُّ عن مرضاة الإمام عليه السلام، وأَسْتَقْرِبُ جدّاً أنّ هذا الرّدّ على فرض صحَّته هو الذي سبق في رواية أُخرى أنّه عليه السلام ردّ الأربعين ألف دينار بعد ما أظهر الكلام الذي أظهره، وهو بعد قبوله العشرين ألف دينار قبله، وبيَّنّا عن ذلك معنى الكلام المذكور، وما يمكن أن يقال حوله من بيان خوفه عليه السلام عاديةَ المُرْجِفِين، كما نصّ عليه الشيخ

---

(١) رجال ابن داود: ٢٧٨/ الترجمة ٤٩٣.

أبو عليّ في رجاله[١]، غير أنّ الأَيْدِي الدّسَّاسة عملت له روايةً، ونحتت لها علّةً.

والأعجب من الكلّ ما أسنده صاحب كتاب «المحتضر» إلى القيل: من أنّ المختار بن أبي عبيد بعث إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام بمائة ألف درهم، فكره أن يقبلها منه، وخاف أن يردّها، فتركَها في بيتٍ، فلمّا قُتِلَ المختار كتب إلى عبدالملك يخبره بها، فكتب إليه: خُذْها طيِّبةً هَنِيئةً[٢]... إلخ.

ونحن بعد الغَضّ عن ضعف الإسناد المنحطّ إلى درجة القيل، نرى أنّ الإمام عليه السلام ما كان يُحاذر في رَدِّهِ المال أيَّ بادرةٍ من المختار، لِما علمتَ غيرَ مرَّةٍ من انحياز سلطته عن الحجاز، ولم يسيطر عليها حتّى قُتِلَ، وإنّما كان يخاف أن يكون ذلك فتّاً في عَضُدِهِ، ومُوجِباً لانفضاضِ الناس عنه إذا بلغهم الأمرُ على ظاهره، من غير ما وقوف لهم على حقيقته وأسبابه التي سنبيّنها إن شاء الله تعالى[٣]، وفيه تخوير لعزائم المختار، وتفكيك لعرى نهضته التي كانت عن رضاه، وفي مَظنَّة سُروره وابتهاجه بها كما عرفت ذلك في غضون هذا الكتاب.

وإنّما كره أن يَقبَله خوفاً من السلطةِ الأجنبيَّةِ المشارِفةِ للمدينة، بل السائدة

---

(١) انظر منتهى المقال ٦: ٢٤٣/ الترجمة ٢٩٥٢، وفيه: لا يخفى أنّه إنّما دعا إليه [أي إلى محمّد بن الحنفيّة] في ظاهر الأمر بعد ردّ عليّ بن الحسين عليه السلام كتبه ورسله خوفاً من الشُّهْرَة، وعِلْماً بما يَؤُول إليه أمره واستيلاء بني أُميَّة على الأُمَّةِ بعدَهُ.

(٢) نقلها المجلسي في بحار الأنوار ٤٥: ٣٤٦/ح١٦ عن المحتضر، وهي غير موجودة في كتاب المحتضر المطبوع.

(٣) هكذا أشار شيخنا المصنّف قدّس سرّه في أنّه سيذكر ما يتعلّق بالموضوع الذي هو بصدد بيانه في هذا المقام، مع أنّ هذا الفصل هو آخر فصول الكتاب، ولعلّه كان ينوي بسط القول أكثر ممّا مرّ في هذه الرسالة التي أفاض القول فيها، ولم يُبْقِ في القوسِ مَنْزعاً، ولكن عاقته الأيّام وحواجز الزمان عن إنجاز ما وعد به، ولعلّه كتبه ولم نعثر عليه.

فيها، والّتي هي وأمرُ المختار على طرفي نقيض، فكره الإمام عليه السلام الشهرة برابطته حذار ما كان يوشك أن يصيبه منها في الوقت، أو بعد تقلُّص أيَّام المختار، أو بعد تَصَرّم الحكومتين، واستيلاء طغمة الأمويّين على البلاد.

فطبيعة الحال كانت تُعقِّب وتعاقب المرتبطين بأعدائِها، لاسيّما المختار المدمِّر على جيشهم اللُّهام في وقعة خازر، وقد أباد فيه عدَّتهم والعتادَ، وأزهق قُوَّادَهُم وأُمراءَهم وصناديد الشام، فركب الإمام عليه السلام لذلك كُلِّه وَسَطاً بين الأَمرين، فأخذ المال تطييباً لخاطر المختار، وتنشيطاً له على أمره حيث كان يرى أنّ من واجبه ذلك، لكنْ من ناحية أُخرى جعل المال في بيتٍ حتّى تهدأ فورة عاهل الحجاز لو بلغه الأمر، ثمّ بعد قتلِهِ وانصرامِ أيَّام الحجازيِّين أخبرَ عبدَالملك به يستأمن بوادره إن بلغه الخبر.

ولو كان الإمام عليه السلام متحرّجاً من أخذ تلك الهديّة من الوجهة الدينيّة فليس له في إذن عبدالملك مخرجٌ، وهو لا يرى له مِنَ الأمر شيئاً، ولم يفقِد الرَّجُلُ من أمر دنياه إلّا أهليَّة الخلافة.

على أنَّ المُلِمَّ بسِيرة المعصومين عليهم السلام يرى أنَّ هذا الرَّدَّ لا يُشبِهُ ما عهده منهم مع متغلِّبي عصورهم، فلقد كان الإمام المجتبى عليه السلام يقبل جوائز معاوية، وكذلك أخوه السبط الإمام الشهيد صلوات الله عليه، وأبوهما أميرُالمؤمنين عليه السلام ما كان يمتنع من قبول عطائه ممَّن كان يرى لنفسه التَّقَدُّمَ عليهم، وكذلك باقي أئمَّة الهدى سلام الله عليهم.

ولم يكن الإمام السّجّاد صلوات الله عليه ببِدْعٍ من سلفه الطاهِر لو كان في المختار شيءٌ يذمُّ ويعابُ به، فإنَّ المال في كلّ هاتيك الموارد للإمام، وإنّما تغلَّب

عليه المتغلِّب من غير حلّه، فإذا رُفِعَ الحَجْزُ عن شيءٍ منه فأيُّ مُوجِبٍ لردّهِ؟ لاسيَّما ورجالات البيت النبوي في حالةٍ بائسةٍ، وليس فيه بمجرَّده أيُّ دعايةٍ لباطل المعطي، لاسيّما بعد أن يُنْهَى إلى الملأ، أو البطانة ـ ولو تحت ستار الخوف، ومع حواجز من تُقاة ـ أنَّ الحقَّ لذويه، كما فعلوه مع أُولئك المبطلين.

إذن فالموجب للرَّدِّ على فرض صحّته لا يمكن أن يكون إلَّا ما ذكرناه، أو أنَّه من الأباطيل التي أرادوا أن يشينوا بها سمعة المختار، ولعلّه أوفق بالاعتبار.

وبهذا كلّه تعرف الوهن البالغ فيما تقدَّم من تشبُّث شُذّاذٍ من النَّاس في إثبات كيسانيّة الرجل بردِّ الإمام عليه السلام هداياه، ودَلَلْناكَ هنالك على أنّه على تقديرٍ ليس فيه أيٌّ من الدّلالات الثلاث[١].

ومن الأراجيز المناسبة لهذا الفصل ما عملته في ذي قبل[٢]:

وَحَسْبُ مُختارِ النَّدَى مِن سُؤْدَدِ ... مــا كــانَ أَسْـداهُ لآلِ أَحْـمَدِ
أَوْلاهُـمُ مِـنْهُ جَـزِيلَ الوَفْـرِ ... وَسـامَهُمْ يُسْـراً غَـداةَ العُسْـرِ
فـمِنْهُ إذ فـاضَ العَطاءُ الشَّامِلُ ... مِـن آلِ طـه زُوِّجَتْ أرامِـلُ
وبُـنِيَتْ لَـهُم عَـلالي الشَّـرَفِ ... وكانَ رَسْمُ المَجْدِ مِنها قَد خَفِي[٣]
وَشُـيِّدَتْ مَـعاهِدُ التَّـنْزِيلِ ... مَأْوَى الهُـدَى مُنْتَجَعِ الدَّخِـيلِ[٤]
وَفـي أداءِ مَـهْرِ أُمِّ البـاقِرِ ... مِـن ذٰلِكَ البَـحْرِ المَـدِيدِ الوافِـرِ
كَـمْ حـازَ فَـخْراً لَـمْ يَـنَلْهُ فِكْـرُ ... يَـضِيقُ مَـهْمَا قُـلْتَ عَـنهُ الشِّـعْرُ

---

(١) أي الدلالة المطابقيّة والضمنيّة والالتزاميّة.

(٢) من أرجوزة للمؤلّف رحمه الله في أحوال المختار.

(٣) عُفِي ـ خ ل.

(٤) أراد بالدَّخيل هنا المستجير.

وأُمُّ زَيْـدٍ وَهِـيَ الحَـوْراءُ مِـن وَفْـرِ مُـخْتارِ النَّـدَى حَـباءُ
وقَد كَفَى في المَجْدِ شَيخَ الثّارِ أَنْ سُـرَّ مِـنْهُ عِـتْرَةُ المُـخْتارِ
فَـقُوبِلَتْ بِـالشُّكْرِ والقَـبُولِ مِـنهُ الهَـدايا لِـبَني الرَّسُـولِ
إِذَنْ فَـلا نَـحْفِلُ بـالتَّهْوِيلِ فـيهِ بِـغَيْرِ دامِـغِ الدَّليـلِ
إِلَيْكَ شيخَ الثّارِ مِنْ نَسْجِ الهَنا قَشـائِباً أَبْـرادَ مَـدْحٍ وَثَـنا
إن يَـمَّمَتْكَ زُمَـرُ القَـرِيضِ رَقَتْ لأَوْجِ المَجْدِ مِن حَضِيضِ
مُـنذُ سَلَكْتَ مَسْلَكَ الفَخارِ بِـنُصْرَةِ الدِّيـنِ وأَخْـذِ الثّـارِ
فَـيا أَمِـيراً مَـلَكَ القُـلُوبا وزَحْـزَحَ الأَشْـجانَ والكُـرُوبا
يَـهْنِيكَ ما قَـد حُزْتَهُ مِن ذِكْرِ وأَوْفَـرِ الشُّكْـرِ غَـداةَ الأَجْـرِ
وَإِنَّ مِـن جُـهْدِ المُـقِلِّ مَدْحِي وَشَـدْوُهُ المُـبْهِجُ عِـنْدَ الصَّدْحِ
عُـذْراً إِلى عُـلاكَ مِن قُصُورِي فَـإِنَّ هٰـذا غـايَةُ المَـقْدُورِ

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للّه ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين.

نظمتُ جُمانَهُ في تبريز سنة ١٣٥٢ عند منصرفي من زَوْرَةِ مشهد الإمام الرضا صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه ١٩ شهر ربيع الآخر.

محمّد علي الغروي الأُوردبادي عفي عنه

شهادته

[كانت شهادة المختار على يدي مصعب بن الزبير في الرابع عشر من شـهر رمضان المبارك سنة ٦٧ في الكوفة، وهو ابن سبع وستّين سنة كما ذكره الطبري في تاريخه ٤: ٥٥٨].

[المختار وقبره الظاهر اليوم][1]

قد يحسب الباحث أنّ المكان المعروف الآن بقبر المختار في زاوية مسجد الكوفة الجنوبيّة الشرقيّة ليس بمرقده، لِما عرفته من الفقيه ابن نما من أنّ قبّته تكون لمن يخرج من حرم مسلم بن عقيل عليه السلام كالنَّجْم اللّامع[2]، انتهى.

وهذا يقتضي بُعْدَهُ عن حرم مسلم بما يصدق عليه ما ذكره للخارج منها، وأن يكون من جهة الشمال للحرم، فإنَّ مخرجه من تلك الجهة، فلا ينطبق على هذا المحلِّ الّذي هو خلفه من الجهة الجنوبيّة، وهو لا يُرَى للخارج من زيارة مسلم عليه السلام.

وإلى هذا التّقريب جنح العلّامة النوري[3] قدّس سرّه، وتبعه محدّث العصر الحاضر شيخنا الحاج الشيخ عبّاس القمي سلّمه الله تعالى[4].

وابنُ نما من مشايخ آية الله العلّامة الحلّيّ المتوفّى سنة ٧٢٦، فيكون عصره متقارباً مع ابن بطوطة الذي يقول في «الرحلة» أنّه شاهد على قرب جبّانة الكوفة

---

(١) هذا الموضوع خارج عن أَصل الكتاب وجدته في وُريقات مستقلّة.

(٢) انظر ذوب النُّضار: ٥١.

(٣) تحيّة الزائر: ٥٠.

(٤) انظر سفينة البحار ٢: ١٤٩ «خير» و٤: ٢٩٠ «لجم».

الغربيّة (قبّةً) أُخْبِرَ أنّها قبر المختار بن أبي عبيد[١].

فهذا الرَّحَّالة دخل الكوفة في أواخر سنة ٧٢٥، ومقتضى كلامه أن يكون المرقد بمُنْتَزَحٍ عن هذا المكان إلى جهة المغرب.

وهاتان الكلمتان بظاهرهما تنفيان كون هذا المكان قبرَهُ وإن اختلفتا في تعيين الجهة.

لكنّا نقول: إنَّ كلمة ابن نما ليست بنصٍّ فيما قرّرناه عن المحتجّ بها، فمن الممكن أنّه يريد كونه كالنَّجْمِ اللّامع المعنويِّ[٢]، أو معروفيّة المحلّ واختلاف الناس إليه إذا خرجوا من حرم مسلم بن عقيل عليه السلام، كقبر هاني بن عروة اليوم.

فالغرض معرفة الناس بمحلّه وبحالِ مَن حلَّ به من العظمة، كما يقال للشيء الجليّ الواضح: إنّه كالشمس الضّاحية، أو كالشمس في رائعة النّهار، فهم يريدون شهرته، وذيوع أمره، لا شخوصه في العين على كُلِّ حال.

وأمّا كلمة ابن بطوطة فليس فيها تعيين حقيقيّ يضادّ كونه في هذا المحلّ، فقُصارى ما فيها أنّه كان بمقربة من الجبّانة الغربيّة، من غير تعيين لمحلّ الجبّانة من الجهة الغربيّة ولا مقدار دنوّ القبّة منها، فمن الجائز انطباقها عليه.

ولنا على تعيين قبره في زاوية المسجد ما حدّثني به شيخُنا العلّامة الوالدُ قدّس سرّه والعالمُ البارع السيّد مرتضى الشهير بالسيّد الحاج آقا الميلانيّ التبريزي، عن

---

(١) انظر رحلة ابن بطوطة: ١٠٢ «مدينة الكوفة».

(٢) من المعلوم عند العرب أنّ من ضَلّ في القفار يتّخذ النَّجْمَ أَمامَهُ دليلاً له، وقبر المختار هو أمام المُصَلّي عند مرقد مسلم بن عقيل عليه السلام، فلذا شَبَّهَ ابنُ نما قدّس سرّه قبر المختار بالنّجم لمن توجَّه من قبر مسلم بن عقيل إليه على جهة القبلة.

الشيخ المتقدّم الزاهد أبي الرضا الشيخ محمّد حسين المامقاني نزيل تبريز: أنّ العلّامة الأوحد الشيخ عبدالحسين الطهراني ـ الملقَّب بشيخ العراقين قدّس سرّه ـ لمّا يمَّم العراق، ونهض بعمارة المشاهد المقدّسة، ووصل إلى مسجد الكوفة، فحص هنالك عن مرقد المختار من نواحي المسجد ليجدّد عمارته، وكانت علامةُ قبره في صحن مسلم بن عقيل سلام الله عليه الملاصق للجامع فوق الدّكَّة الكبيرة أَمام قبّة هاني بن عروة رضوان الله عليه، فحفروا المحلَّ، فظهر فيه علامات الحمّام، وبان أنّه ليس بقبره[١]، فمحا الشيخُ الأَثَرَ.

ثمّ لم يزل يتجسّس حتَّى أُنْهِيَ إليه عن العلّامة الرّضا، عن أبيه آية الله بحرالعلوم الطباطبائي: أنّه كان كلَّما مرّ على الزاوية الشرقيّة بجنب الحائط القِبْلِيّ ـ حيث يعرف بقبره الآن ـ يقفُ ويقول: لنقرأ الفاتحة للمختار.

فأمر الشيخُ بحفرِ الموضع فنجمت ...[٢].

---

(١) إن كان في الآثار الباقية شيءٌ ينطبق عليه ظاهر المنقول عن ابن نما، فهو هذا الذي عرف حاله لكنَّ البعيد جدّاً انطباقه عليه.

(٢) إلى هنا كلُّ ما عثرتُ عليه، ويظهر أنّ للبحث تتمّة، لأنّ الكلمة الأخيرة (فنجمت) في صفحة أُخرى وهي الصفحة الثالثة لهذا البحث.

المحتويات

المقدّمة ٥
تعريف بالكتاب ١٠
تمهيد ١١
من هو المختار؟ ١٢
أبوه ١٣
عمّه ٢١
نشأته ٢٧
ولادته ٢٧
أُمُّهُ وإخوته ٢٧
زوجته ٢٨
أُخته ٢٨
عُمُر المختارِ عندَ شهادةِ أبيه ٣١
الحنان العلوي ٣٢
حقائق راهنة ٣٢
انقطاعه لأهل البيت عليهم السلام ٣٥

جدارته في قيادة الأُمّة ٣٨
عبادته ٤٢
فصاحته ٤٦
مدائحه ٤٧
مؤرّخو المختار ٦٦
من إرهاصات أوائل حياته ٧٢
المختار في عقيدته ٧٥
المختار والنبوّة ٧٨
المختار وولاء أهل البيت عليهم السلام ١٢٢
دفعُ شبهة ١٤٦
هل المختار غالٍ في دينه؟ ١٦٠
المختار والكيسانيّة ١٦٤
المختار والقول بالبداء ١٨٢
المختار صدوق في لهجته ١٩٢
الشّعبيّ ورميه المختار بالكذب ١٩٤
ابن الحرّ الجعفي ورميه المختار بالكذب ٢١١
مصعب بن الزبير ورميه المختار بالكذب ٢١٨
سويد بن أبي كاهل ورميه المختار بالكذب ٢١٩
جيش ابن زياد ورميهم المختار بالكذب ٢٢٠
الحجّاج ورميه المختار بالكذب ٢٢١
ابن حجر ورميه المختار بالكذب ٢٢٣
روايات سقيمة في كذب المختار ٢٣٨
المختار والوقيعة فيه ٢٤٥

المختارُ وقِيلُهُ عن نفسيّته ٢٥٤
استجابة دعاء الإمام السجّاد عليه السلام على يديه ٢٦١
قتله لعمر بن سعد ٢٦٤
انتقامه من أعداء الله ٢٧١
عزلُهُ شريحاً عن القضاء ٢٧٣
بعض أدواره المُشَرِّفة ٢٧٥
دعوات مجابة للمختار ٢٨١
تقديرات لمساعي المختار وشكره عليها ٢٨٩
المختار ونهضته الكريمة ٢٩٧
المختار والبشائر بنهضته ٣٠٧
المختار وهداياه ٣٢٧
شهادته ٣٤١
المختار وقبره الظاهر اليوم ٣٤٢